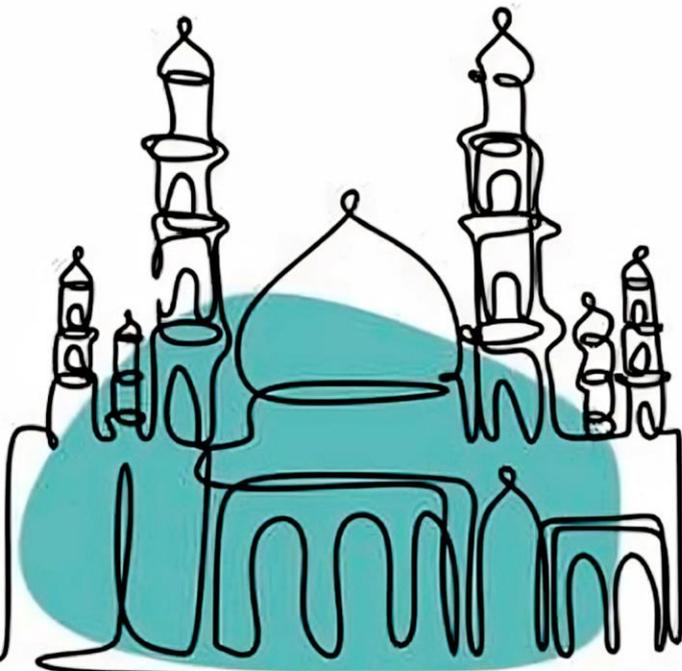


حامد عبد الخالق أبو الذهب

الفيوضات الربانية من الخطب المنبرية

خطب العام الأول
الجزء الثاني: (رجب - ذى الحجة)



الفيوضات الربانية

من الخطب المنبرية

خُطْبُ العام الأول

الجزء الثاني: الأشهر (رجب-ذى الحجة)

حامد عبد الخالق أبو الذهب

الكتاب: الفيوضات الربانية من الخطب المنبرية خُطبُ العام الأول الجُزءُ

الثانى: الأشهر (رجب-ذى الحجة)

تأليف: حامد عبد الخالق أبو الذهب

تدقيق: حامد عبد الخالق أبو الذهب

النوعية: ديني

الإصدار: 2024

تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

- 5 المقدمة:
- 6 حُطْبُ شهر رجب:
- 6 الخطبة الأولى: (مقدمات الإسراء والمعراج) أو (الفرج بعد الشدة) (خ: 1)
- 43 الخطبة الثانية: (الإسراء والمعراج اختبار للإيمان الصادق بالغيب): (خ: 1)
- 55 الخطبة الثالثة: (فضائل برِّ الوالدين): (خ: 1)
- 66 الخطبة الرابعة: (فضائل صلة الرحم وذم قطيعتها): (خ: 1)
- 103 حُطْبُ شهر شعبان:
- 103 الخطبة الأولى: (تحويل القبلة): (خ: 1)
- 103 الخطبة الثانية: (سلسلة من ثمرات التقوى): (1) (خطبة عامة في فضائل التقوى والمتقين ومعاني التقوى وصفات المتقين): (خ: 1)
- 132 الخطبة الثالثة: (سلسلة ثمرات التقوى): (2) (الإنفاق في وجوه الخير): (خ: 1)
- 147 الخطبة الرابعة: (محاسبة النفس): (خ: 1)
- 157 حُطْبُ شهر رمضان:
- 167 الخطبة الأولى: (استقبال رمضان وبعض أحكامه ومقاصده): (خ: 1)
- 167 الخطبة الثانية: (من مظاهر التيسير في أحكام صيام رمضان): (خ: 1)
- 187 الخطبة الثالثة: (رمضان شهر القرآن): (خ: 1)
- 201 الخطبة الرابعة: (رمضان شهر الجود): (خ: 1)
- 213 حُطْبُ شهر شوال:
- 234 الخطبة الأولى: (عيد الفطر): (خ: 1)
- 234 الخطبة الثانية: (دوام الطاعة بعد رمضان): (خ: 1)
- 267

- 279 الخطبةُ الثالثةُ: (فضائلُ حسنِ الجوارِ):
- 289 الخطبةُ الرابعةُ: فضائلُ الإیثارِ:
- 301 الخطبةُ الخامسةُ: (سلسلةُ التحذیرِ من آفاتِ اللسانِ):
- 311 خطبُ شهرِ ذی القعدةِ: (سلسلةُ التحذیرِ من آفاتِ اللسانِ): (2)
- 311 الخطبةُ الأولى: (التحذیرُ من الغيبةِ): (خ: 1)
- 326 (سلسلةُ التحذیرِ من آفاتِ اللسانِ) (3) الخطبةُ الثانيةُ: (التحذیرُ من التَّيَمِّمةِ):
- 335 (سلسلةُ التحذیرِ من آفاتِ اللسانِ): (4) الخطبةُ الثالثةُ: (الكلامُ فیما لا یعنى):
- 345 الخطبةُ الرابعةُ: (سلسلةُ التحذیرِ من آفاتِ اللسانِ): (4) (إفشاءُ الأسرارِ)
- 369 خطبُ شهرِ ذی الحجَّةِ:
- 369 الخطبةُ الأولى: (فضائلُ العفوِ):
- 376 الخطبةُ الثانيةُ: (فضائلُ الحجِّ المبرورِ):
- 390 الخطبةُ الثالثةُ: فضائلُ العشرِ الأوائلِ من ذی الحجَّةِ:
- 402 الخطبةُ الرابعةُ: (فضائلُ یومِ عرفةِ والأضحیةِ وبعضِ أحكامِها):
- 416 الخطبةُ الخامسةُ: (عیدُ الأضحی):

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أمَّا بعدُ: هذا هو الجزء الثاني من كتابي (الفيوضات الربانية من الخطب المنبرية) وسوف يحتوى - إن شاء الله - على خطب الأشهر (رجب - ذى الحجة)

خُطْبُ شَهْرِ رَجَبِ:

الخُطْبَةُ الْأُولَى: (مقدمات الإسراء والمعراج)

أو (الفرج بعد الشدة)

(خ: 1) (ع) 1- الابتلاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ (الشواهد مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ): قَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214] في (تفسير ابن كثير): (يَقُولُ تَعَالَى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلُوا وَتُخْتَبَرُوا وَتُمْتَحَنُوا كَمَا فَعَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ} وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَالْأَسْقَامُ وَالْأَلَامُ وَالْمَصَائِبُ وَالنَّوَائِبُ). وفي (التفسير الوسيط): (والمعنى على أن أم للاستفهام الإنكاري: أظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان دون أن يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من شدائد في الأنفس والأموال، ومن مخاوف أزعجتهم وأفزعتهم حتى بلغ الأمر برسولهم وبالمؤمنين معه أن يقولوا وهم في أقصى ما تحتمله النفوس البشرية من

آلام: متى نصر الله!! لا- أيها المؤمنون- إنى أنهاكم أن تظنوا هذا الظن،
 وآمركم أن تتيقنوا من أن الظفر بدخول الجنة يستلزم منكم التأسى بمن سبقكم
 من المتقين في الصبر والثبات. والمعنى على أن أم هنا هي المتصلة- أى:
 المشعرة بمحذوف دل عليه الكلام-: قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب
 واهتدوا إلى الحق فأذاهم الناس أذىً شديداً فصبروا على ذلك أفتصبرون
 مثلهم على المكاره وتثبتون ثباتهم على الشدائد؟ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
 دون أن يصيبكم ما أصابهم؟ والمعنى على أن أم هنا منقطعة- أى: تدل على
 الإضراب والاستفهام معاً-: لقد أوذيتم أيها المؤمنون في سبيل دينكم أذىً
 عظيماً، فعليكم أن تصبروا وأن تثبتوا كما فعل الذين من قبلكم، أم حسبتم
 أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء وصبر.. أى: بل أحسبتهم.. إن كان هذا هو
 حسبانكم فهو حسبان باطل لا ينبغي لكم). وقال: **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا**
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: 142]
 فى (التفسير الوسيط): (ثم بين سبحانه أن طريق الجنة محفوف بالمكاره،
 وأن الوصول إلى رضا الله- تعالى- يحتاج إلى جهاد عظيم، وصبر طويل
 فقال- تعالى:- **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ**
وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ} وأم هنا يرى كثير من العلماء أنها منقطعة، بمعنى بل

الانتقالية، لأن الكلام انتقل من تسليتهم إلى معاببتهم على ما حدث منهم في غزوة أحد من مخالفة بعضهم لأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفرارهم عنه في ساعة الشدة. والهمزة المقدرة معها للإنكار والاستبعاد. وقوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ} معطوف على جملة {وَلَا تَهْنُؤُوا} وذلك أنهم لما مسهم القرع فحزنوا واعتراهم شيء من الضعف، بين الله لهم أنه لا وجه لهذا الضعف أو الحزن لأنهم هم الأعلون، والأيام دول، وما أصابهم فقد سبق أن أصيب بمثله أعداؤهم، ثم بين لهم هنا: أن دخول الجنة لا يحصل لهم إذا لم يبذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل الله، فإذا ظنوا غير ذلك فقد أخطأوا. والمعنى: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة، وتناولوا كرامة ربكم، وشرف المنازل عنده مع أنكم لم تجاهدوا في سبيل الله جهاد الصابرين على شدائده ومتاعبه ومطالبه، إن كنتم تحسبون هذا الحسبان فهو ظن باطل يحب عليكم الإقلاع عنه. ويحتمل أن تكون أم هنا للمعادلة بمعنى أنها متصلة لا منقطعة، ويكون المعنى عليه: أعلمتم أن الله - تعالى - سنا في النصر والهزيمة، وأن الأيام دول، وأن الوصول إلى السنة يحتاج إلى إيمان وجهاد وصبر، أم حسبتم وظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مجاهدة واستشهاد؟) وقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

تُرْجَعُونَ {الأنبياء: 35} فی (مصباح التفاسیر): (قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بالشدة والرشاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء. وقال ابن يزيد: نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون. وقال الكلبي: بالشر بالفقر والبلاء والخير بالمال والولد فأخبر سبحانه أن الغنى والفقر مطيئا للابتلاء والامتحان.) وقال سبحانه: **{أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}** [العنكبوت: 3-1] فی (التفسيرة الوسيط): (والمعنى: أظن الناس أن يتركوا بدون امتحان، واختبار، وابتلاء، وبدون نزول المصائب بهم، لأنهم نطقوا بكلمة الإيمان؟ إن ظنهم هذا ظن باطل، وهم فاسد، لأن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، بل هو عقيدة تكلف صاحبها الكثير من ألوان الابتلاء والاختبار، عن طريق التعرض لفقد الأموال والأنفس والثمرات، حتى يتميز قوى الإيمان من ضعيفه. قال القرطبي: والمراد بالناس قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، كسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والوليد بن الوليد.. فكانت صدورهم تضيق بذلك، وربما استنكروا أن يمكن الله الكفار من المؤمنين. قال مجاهد

وغيره: فنزلت هذه الآیة مسلیة ومعلمة أن هذه هی سیرة الله فی عباده، اختبار للمؤمنین وفتنة. قال ابن عطیة: وهذه الآیة، وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما فی معناه من الأقوال، فهی باقیة فی أمة محمد صلی الله علیه وسلم، موجود حکمها بقیة الدهر. وقوله سبحانه: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}** مؤکد لما قبله من أن ظن الناس أن یتروکوا بدون ابتلاء، لقولهم آمننا، هذا الظن فی غیر محله؛ لأن سنة الله قد اقتضت أن یدفع الناس بعضهم ببعض، وأن یتصارعون مع المؤمنین، إلا أن العاقبة فی النهاية للمؤمنین. والمقصود بقوله تعالى: **{فَلْيَعْلَمَنَّ...}** إظهار علمه سبحانه، أو المجازاة علی الأعمال. أى: ولقد فتنا الذین من قبل هؤلاء المؤمنین من أصحابك، أيها الرسول الکریم **{فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا...}** أى: فلیطهرن الله تعالى فی عالم الواقع حال الذین صدقوا فی إيمانهم، من حال الكاذبین منهم، حتى ینکشف للناس ما هو غائب عن علمهم. أو المعنى: ولقد فتنا الذین من قبلهم من المؤمنین السابقین، کأتباع نوح وهود وصالح وغيرهم، فلیجزین الذین صدقوا فی إيمانهم بما یتحقون من ثواب، ولیجزین الكاذبین بما یتحقون من عقاب، ولترتب المجازاة علی العلم، أقیم السبب مقام

المسبب. قال الإمام ابن جریر: قوله: **{فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا}** أى: فليعلمن الله الذين صدقوا منهم في قولهم آمنا، وليعلمن الكاذبين منهم في قولهم ذلك، والله عالم بذلك منهم، قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قوله آمنا بالله، من كذب الكاذب منهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين، عذبهم المشركون، ففتن بعضهم، وصبر بعضهم على أذاهم، حتى أتاهم الله بفرج من عنده.) وقال: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ}** [مُحَمَّد: 31] فى (التفسير الوسيط): (ثم بين سبحانه سنة من سننه في خلقه فقال: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ}** أى: ولنعاملنكم، أيها الناس معاملة المختبر لكم بالتكاليف الشرعية المتنوعة، حتى نبين ونظهر لكم المجاهدين منكم من غيرهم، والصابرين منكم وغير الصابرين **{وَلَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ}** أى: ونظهر أخباركم حتى يتميز الحسن منها من القبيح. فالمراد بقوله: **{حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ..}** إظهار هذا العلم للناس، حتى يتميز قوى الإيمان من ضعيفه، وصحيح العقيدة من سقيمها.)

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَلَا مَثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ" المُسند. حديث (1481) قال مُحققوه: إسناده حسن. أما الآثارُ فمنها:

1-3 في (صفة الصفة): (وعن أحمد بن محمد الزيايدي قال: سمعتُ أبا سعيد الخراز يقول: العافيةُ سترت البر والفاجر. فإذا جاءت البلوى، يتبين عندها الرجال... وعن أبي وائل كردوس بن عمرو، قال: فيما أنزل الله عز وجل: إن الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع صوته... وقال: عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابةً فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها. فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس.).

4- في (الفوائد) لابن القيم: (يا مخنت العزم أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، ودبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء

دَاوُدَ وَسَارَ مَعَ الْوَحْشِ عَيْسَى، وَعَالَجَ الْفَقْرَ وَأَنْوَعَ الْأَذَى مُحَمَّدًا. تَزَهَا أَنْتَ
بِاللَّهْوِ وَاللَّعْبِ؟!)

(ع) 2- ابتلاء النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام (صُورٌ مِنْ ذَلِكَ):

1- في (الرحيق المختوم) ل/صفي الرحمن مباركفوري: (قال ابن إسحاق: كان
النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبا لهب، والحكم
ابن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن
الأصداء الهذلي - وكانوا جيرانه - لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي
العاص، فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي،
وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجرًا ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا طرخوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم
يقول: يا بني عبد مناف! أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق. وازداد عقبة بن
أبي معيط في شقاوته وخبثه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو
جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني
فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن

أبی معیط) فجاء به فنظر، حتی إذا سجد النبی لله وضع علی ظهره بین كتفیه، وأنا أنظر، لا أغنی شیئاً، لو كانت لی منعة، قال: فجعلوا یضحكون، ویحیل بعضهم علی بعض - أي: یتمایل بعضهم علی بعض مرحاً وبطراً-، ورسول الله صلی الله علیه وسلم ساجد، لا یرفع رأسه حتی جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم علیك بقریش ثلاث مرات، فشق ذلك علیهم إذ دعا علیهم، وقال: وكانوا یرون أن الدعوة فی ذلك البلد مستجابة، ثم سمى اللهم علیك بأبی جهل، وعلیک بعتبة بن ربیعة، وشببة بن ربیعة، والولید بن عتبة. وأمیه بن خلف، وعقبة بن أبی معیط- وعد السابع فلم یحفظه- فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذي عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب، قليب بدر. وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه. وفيه نزل: **{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}** قال ابن هشام: الهمزة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه، ويغمز به. واللمزة: الذي يعيب الناس سرا ويؤذيهم. أما أخوه أبي بن خلف فكان هو وعقبة بن أبي معيط متصافيين. وجلس عقبة مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه، فلما بلغ ذلك أبياً، أنبه وعاتبه وطلب منه أن يتفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل. وأبي بن خلف نفسه فت عظاما رميما

ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وصفه القرآن بتسع صفات تدل على ما كان عليه، وهي في قوله تعالى: **{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}** [القلم: 10 - 13]. وكان أبو جهل يجيء أحياناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه القرآن، ثم يذهب عنه فلا يؤمن ولا يطيع، ولا يتأدب ولا يخشى، ويؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول، ويصد عن سبيل الله، ثم يذهب مختالاً بما يفعل، فخوراً بما ارتكب من الشر، كأنما فعل شيئاً يذكر، وفيه نزل: **{فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى}** الخ. وكان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة منذ أول يوم رآه يصلي في الحرم، ومرة مر به وهو يصلي عند المقام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا، وتوعده فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره. فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إنني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل **{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}** وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بخناقه، وهزه، وهو يقول له: **{أُولَى لَكَ فَأُولَى. ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى}** فقال عدو الله: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإنني لأعز من مشى بين جبلتيها. ولم يكن أبو جهل ليفيق من غباوته بعد هذا الانتهاز،

بل ازداد شقاوة فيما بعد. أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم! فقال: واللوات والعزى، لئن رأيت لأطئن على رقبتة ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ رقبتة، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخدقا من نار وهولا، وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً". كانت هذه الاعتداءات بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع ما لشخصيته الفذة من وقار وجلال في نفوس العامة والخاصة، ومع ما له من منعة أبي طالب أعظم رجل محترم في مكة، أما بالنسبة إلى المسلمين - ولا سيما الضعفاء منهم - فإن الإجراءات كانت أقسى من ذلك وأمر، ففي نفس الوقت قامت كل قبيلة تعذب من دان منها بالإسلام أنواعاً من التعذيب، ومن لم يكن له قبيلة فأجرت عليهم الأوباش والسادات ألواناً من الاضطهاد، يفرغ من ذكرها قلب الحليم. كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أُنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال، والجاه، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به. وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصار من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته. ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه

أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية. وكان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، وكان أمية شده شدةً ثم يضربه بالعصا، وكان يُلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يُكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجها إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول-وهو في ذلك-: أحد، أحد، حتى مر به أبو بكر يوماً وهم يصنعون ذلك به فاشتراه بغلام أسود، وقيل: بسبع أواق أو بخمس من الفضة وأعتقه. وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون- وعلى رأسهم أبو جهل- يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: "صبراً آل ياسر! فإن موعدكم الجنة"، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية- أم عمار- في قُبُلها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى. وقالوا: لا نتركك

حتى تسب محمداً، أو تقول: في اللات والعزى خيراً، فوافقهم على ذلك مكرهاً، وجاء باكيًا معترًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ} الآية: [النحل: 106] وكان أبو فكيهة- واسمه أفلح- مولى لبني عبد الدار، فكانوا يشدون برجله الحبل، ثم يجرونه على الأرض. وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعًا منض التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقه تلوية عنيفة وأضجعه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرا؛ حتى لا يستطيع أن يقوم. وكانت زبيدة والنهدية وابنتها وأم عبيس إماء أسلمن، وكان المشركون يسومونهن من العذاب أمثال ما ذكرنا. وأسلمت جارية لبني مؤمل- وهم حي من بني عدي- فكان عمر بن الخطاب- وهو يومئذ- مشرك- يضربها، حتى إذا مل قال: إني لم أترك إلا ملالة. وابتاع أبو بكر هذه الجواري فأعتقهن، كما أعتق بلائًا وعامر بن فهيرة. وكان المشركون يلفون بعض الصحابة في إهاب الإبل والبقر، ثم يلقونه في حر الرمضاء، ويلبسون بعضًا آخر درعًا من الحديد ثم يلقونه على صخرة ملتهبة. وقائمة المعذبين في الله طويلة ومؤلمة جدا، فما من أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وأذوه.

2- وفيه أيضًا: (عام الحزن: وفاة أبي طالب: ...وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة- على اختلاف القولين... تراكم الأحزان: وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة، فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فقد كانوا تجرأوا عليه، وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غمًا على غمٍّ، حتى يئس منهم وخرج إلى الطائف، رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه... قال ابن إسحاق: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا، ودخل بيته، والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب.)

أمَّا الأحاديثُ فمنها:

1- في (صحيح البخارى) الحديثين (3612 - 6943) ولفظ أولهما: عَنْ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاَكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» في (دليل الفالحين): (قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأم عمار، فأما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون: فألبسوهم أدرع الحديد ثم أصبروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله من حرّ الحديد والشمس. قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خباباً عما لقي من المشركين؟ فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال: ما رأيتُ كالיום ظهر رجل. قال خباب: لقد أوقدت نار وسجيت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري... وقد وقع ما أخبر به

المصطفى كما أخبر، فعم الإسلام وظهر، وصار الراكب لا يخشى مَنْ يفتنه ويصده عَنْ دينه: إنما يخشى بوائق الحدثان وبالله المستعان، فهو من جملة علامات نبوته، ولا يخالف هذا الحديث ما نقله ابن الأثير في «أسد الغابة» عن أبي صالح قال: «كان خباب قيناً يصنع السيوف؛ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يألفه ويأتيه/ فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة الموحمة فتضعها على رأسه، فشكا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: " اللهم انصر خباباً"؛ فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها، فكانت تعوي مثل الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة الموحمة فيكوي بها رأسها»

(خ: 2) (ع) 3-الفرج بعد الشدة: قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: 5-6] في (تفسير ابن كثير): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُوجَدُ الْيُسْرُ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ حَمَادِ بْنِ أَبِي خُوَارِ أَبُو الْجَهْمِ، حَدَّثَنَا عَائِدُ بْنُ شَرِيحٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَحْيَالَهُ حَجْرٌ، فَقَالَ: لَوْ جَاءَ الْعُسْرُ فَدَخَلَ هَذَا الْحَجْرَ لَجَاءَ الْيُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ فَيُخْرِجَهُ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ
 الْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ حميد بن حماد وَلَفْظُهُ: «لَوْ جَاءَ
 الْعُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ هَذَا الْحَجْرَ لَجَاءَ الْيُسْرُ حَتَّى يُخْرِجَهُ» ثُمَّ قَالَ: {فَإِنَّ مَعَ
 الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ثُمَّ قَالَ الْبَزَّازُ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ إِلَّا عَائِدُ
 بْنُ شَرِيحٍ. [قُلْتُ]: وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: فِي حَدِيثِهِ ضَعْفٌ، وَلَكِنْ
 رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا. وَقَالَ
 ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنِ، حَدَّثَنَا
 الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَغْلِبُ عُسْرٌ وَاحِدٌ
 يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثور عن معمر
 عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ
 يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، فَإِنَّ مَعَ
 الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» وَكَذَا رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ
 وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا. وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: ذَكَرْنَا أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ أَصْحَابَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ
 يُسْرَيْنِ» وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْعُسْرَ مُعْرَفٌ فِي الْحَالَتَيْنِ فَهُوَ مُفْرَدٌ وَالْيُسْرُ مُنْكَرٌ،
 فَتَعَدَّدَ وَلِهَذَا قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ» يَعْنِي قَوْلُهُ: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا { فَالْعُسْرُ الْأَوَّلُ عَيْنُ الثَّانِي وَالْيُسْرُ تَعَدَّدَ. وَقَالَ
 الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا خَارِجَةُ عَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ
 أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ: «نَزَلَتِ الْمَعُونَةُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَنَزَلَ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ
 الْمُصِيبَةِ» وَمِمَّا يُرْوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:
 (صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا ... مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا)
 (مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَدَى ... وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا)
 وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ:
 (إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ... وَصَاقَ لِمَا بِهِ الصِّدْرُ الرَّحِيبُ)
 (وَأَوَطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَلَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ)
 (وَلَمْ تَرَ لَا نَكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَعْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ)
 (أَتَاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمْنُ بِهِ اللَّطِيفِ الْمُسْتَجِيبُ)
 (وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ)
 وَقَالَ آخَرُ:
 (وَلَرَّبٌّ نَازِلَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ... ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ)

(كَمَلْتُ فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتُ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرَجُ) وفي الحديث: "واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً" وفي (فقه السيرة) للبوطي: (عام الحزن: وهو العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد توفيت فيه زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وتوفي فيه عمه أبو طالب، ويقول ابن سعد في طبقاته: «كان بين وفاة خديجة وأبي طالب شهر وخمسة أيام». وقد كانت خديجة رضي الله عنها، كما قال ابن هشام، وزير صدق على الإسلام، يشكو الرسول إليها ويوجد عندها أنسه وسلواه. أما أبو طالب، فقد كان عضدا وحرزا في أمره، وكان ناصرا له على قومه. يقول ابن هشام: «فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك». ولقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العام اسم (عام الحزن) لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة.

العبر والعظات: ترى، ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله تعالى في استلاب أبي طالب من الحياة، قبل أن يشتد ساعد المسلمين في مكة ويتكون لهم شيء من المنعة؟ ومعلوم أنه قد كان يحمي الرسول - قدر الإمكان - من كثير من المصائب والشدائد، وما الحكمة في أن يتعجل القضاء باستلاب زوجته خديجة رضي الله عنها، وقد كان يجد عندها أنسه وسلواه، وينفض بمساعدتها عن كاهله كثيرا من أحاسيس الشدائد والآلام؟ تبرز هنا ظاهرة هامة تتعلق بأساس العقيدة الإسلامية. فلو أن أبا طالب بقي إلى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة وريثما ينجو الرسول من أذى المشركين وقبضتهم، لكان في ذلك ما قد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، وأنه هو الذي كان يدفعها إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه، وإن لم يظهر الإيمان بها والانضواء تحت لوائها، ولجاء من يطيل ويطنب في بيان الحظ الحسن الذي تهيأ للرسول صلى الله عليه وسلم أثناء قيامه في الدعوة، بسبب حماية عمه له، بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين من حوله، فأوذوا وهو محفوظ الجانب، وتعذبوا وهو مستريح البال. لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبا طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، ويفقد من حوله من كان في الظاهر حاميا له

ومؤنسا، حتى تتجلی حقیقتان هامتان: أولاهما: أن الحماية والعناية والنصر، إنما يأتي كل ذلك من الله عز وجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء كان ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن، فهو معصوم من الناس وستبلغ دعوته منتهاها من النصر والتوفيق. ثانيتهما: ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذاباً أو اضطهاداً، وإنما معنى العصمة التي تعهد بها الله عز وجل بقوله: **{ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }** [المائدة: 67] العصمة من القتل ومن أي صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يذوق الأنبياء من ذلك قدرًا غير يسير، وذلك لا ينافي العصمة التي وعد بها أنبياءه ورسله. ولذلك يقول الله عز وجل لنيبه بعد قوله: **{ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّآ كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }**، يقول له: **{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }** [الحجر: 97-98] ومن الحكم الجليلة لما قضت به سنة الله عز وجل، من أن يلاقي الرسول ما لاقى من المحنة في طريق الدعوة، أن يستسهلها ويستخف بها عامة المسلمين في كل عصر ممن أنيطت بهم مسؤولية الدعوة الإسلامية. فلو أن النبي صلى الله عليه وسلم نجح في دعوته بدون أي مشقة

أو جهد، لطمع أصحابه والمسلمون من بعده بأن يستريحوا كما استراح، ولا استثقلوا المصائب والمحن التي قد يجدونها في طريقهم إلى الدعوة الإسلامية. أما، والحالة هذه، فإن مما يخفف وقع المحنة والعذاب على المسلمين شعورهم أنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنهم يسيرون في الطريق ذاتها التي أو ذى فيها رسول الله. ومهما أصابهم من ألم السخرية بهم وإهانة الناس لهم، فإن ذلك لا يفت في عضدهم بعد أن رأوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ألقى التراب في السوق على رأسه حتى اضطر أن ينقلب إلى بيته لتقوم إحدى بناته فتغسل عن رأسه التراب، مع أنه حبيب الله وصفوته من خلقه. وسجد في هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف وما لاقاه إذ ذاك ما يجعل المسلمين يستسهلون كل محنة وعذاب في سبيل أن يضربوا مع رسولهم بنصيب مما قاساه وعاناه في سبيل الدعوة الإسلامية. هذا شيء. والشيء الآخر، الذي يتعلق بهذا المقطع من سيرته عليه الصلاة والسلام هو أن بعض الناس يحسبون أن سبب تسمية الرسول لهذا العام عام الحزن إنما هو مجرد فقدته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، وربما استساغوا إقامة علائم الحزن والحداد على موتاهم مدة طويلة من الزمن مستدلين بهذا. والواقع أن هذا خطأ

في الفهم والتقدير؛ فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحزن على فراق عمه وفراق زوجته ذلك الحزن الشديد، ولم يطلق على تلك السنة: عام الحزن، لمجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم. بل سبب ذلك ما أعقب وفاتهما من انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه، فقد كانت حماية عمه له تترك مجالات كثيرة للدعوة وسبلا مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم. وكان يرى في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمره به ربه. أما بعد وفاته، فقد سدّت في وجهه تلك المجالات، فمهما حاول وجد صدًا وعدوانًا، وحيثما ذهب وجد السبل مغلقة في وجهه، فيعود بدعوته كما ذهب بها؛ لم يسمعها أحد ولم يؤمن بها أحد، بل الكل ما بين مستهزئٍ ومعتدٍ، ومتهكم به، فيحزنه أن يعود وهو لم يأت من الوظيفة التي كلفه الله بها بنتيجة، فمن أجله سمي ذلك العام عام الحزن. بل، لقد كان حزنه على أن لا يؤمن الناس بالحق الذي جاء به، شيئًا غالبًا على نفسه، في أكثر الأحيان. ومن أجل تخفيف هذا الحزن عليه كانت تنزل الآيات مواسية له ومسلية، ومذكّرة إياه بأنه ليس مكلفًا بأكثر من التبليغ، فلا داعي إلى أن يذهب نفسه عليهم حسرات إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا. استمع مثلاً إلى هذه الآيات: **{قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، وَلَكِنَّ**

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام: 33- 35]

هجرة الرسول إلى الطائف: ولما نالت قريش من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصفناه من الأذى، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل. ولما انتهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله، فردوا عليه ردا منكرا، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمح القول، فقام رسول الله من عندهم وهو يرحومهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذن، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضا. ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شخّ في رأسه عدة شجاج، حتى وصل رسول الله إلى بستان لعتبة بن ربيعة، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد

عليه الصلاة والسلام، وقد أنهكه التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه. فلما اطمأن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم في ذلك الظل، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» ثم إن ابني ربيعة- صاحبي البستان- تحركت الشفقة في قلبيهما، فدعوا غلاما نصرانيا لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفًا من العنب في طبق، فلما وضع عداس العنب بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم وقال له: كُلْ، مدَّ الرسول يده قائلاً: بسم الله. ثم أكل، فقال عداس متعجبا: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول: ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى (قرية بالموصل)، فقال الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: ذلك

أخي، كان نبيا وأنا نبي.. فأكَبَّ عدَّاس على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل رأسه ويديه وقدميه». قال ابن إسحاق: «ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمرَّ به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا. وقد قصَّ الله خبرهم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} إلى قوله: {وَيُجْرِكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الأحقاف 29 / 46]، وقوله: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ..} الآيات [الجن: 1] ثم عاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعه زيد بن حارثة - يريد دخول مكة. فقال له زيد: «كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه». ثم أرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه داخل مكة في جواره، فاستجاب مطعم لذلك. وعاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة «العبر والعظات: إذا تأملنا، في هذه الهجرة التي قام بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما انطوت عليه من العذاب الواصب الذي رآه عليه الصلاة والسلام، ثم في شكل عودته إلى مكة، نستخلص الأمور التالية:

أولاً: إن ما كان يلاقه النبي عليه الصلاة والسلام من مختلف ألوان المحنة، لا سيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف، إنما كان من جملة أعماله التبليغية للناس. فكما أنه جاء يبلغنا العقيدة الصحيحة عن الكون وخالقه، وأحكام العبادات والأخلاق والمعاملات، كذلك جاء يبلغ المسلمين ما كلفهم الله به من واجب الصبر، ويبين لهم كيفية تطبيق الصبر والمصابرة اللذين أمر بهما في قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } [آل عمران: 200] ولقد علمنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القيام بالعبادات بالوسيلة التطبيقية، فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال: «خذوا عني مناسككم» وبناء على هذا المبدأ نفسه قاسى أمر أنواع المحن في سبيل الدعوة ليقول بلسان حاله لجميع الدعاة من بعده: «اصبروا كما رأيتموني أصبر» وليبين أن الصبر ومصارعة الشدائد من أهم مبادئ الإسلام التي بعث بها إلى الناس كافة. وربما يتوهم من اطلع على ظاهر سيرة هجرته عليه الصلاة والسلام إلى الطائف، أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غلب على أمره هناك، وأن الضجر قد نال منه، وأنه ربما استعظم كل تلك المحن والمشاق التي أصابته، ولذلك توجه إلى الله بذلك الدعاء بعد أن اطمأن في بستان ابني ربيعة. ولكن الحقيقة أنه عليه السلام قد استقبل تلك المحن راضياً،

وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً، وإلا فقد كان بوسعه - لو شاء - أن ينتقم من السفهاء الذين آذوه ومن الزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء وردوه ذلك الرد المنكر، ولكنه عليه السلام لم يشأ ذلك. ودليل ذلك، ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال رسول الله: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» إذن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه وأمته من بعده بما كان يلاقيه، الصبر، بل وفن الصبر أيضاً على جميع الشدائد والمكاره في سبيل الله عز وجل. ربما يقول

قائل: فما معنى ارتفاع صوته بالشكوى إذن، وما معنى دعائه الذي تدل ألفاظه وصيغته على الضجر والملل من طول المحاولة التي لم تأت بنتيجة إلا الأذى والعذاب؟ والجواب، أن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة. وللمحن والمصائب حكم، من أهمها: أنها تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى وتلبسه جلباب العبودية له، فليس إذن بين الصبر على المكاره والشكوى إلى الله تعالى أي تعارض، بل الواقع أن رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يعلمنا في حياته كلا الأمرين، فكان بصبره الشديد على المحن يعلمنا أن هذه هي وظيفة المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة، وكان بطول ضراعتة والتجائه إلى الله تعالى يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها. على أن النفس البشرية مهما تسامت فهي لا تتجاوز دائرة بشريتها على كل حال، والإنسان مجبول في أصل فطرته على الإحساس والشعور.. الشعور بلذة النعيم والشعور بألم العذاب، وهو مجبول على الركون إلى الأول والفرع من الثاني. وهذا يعني أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى وهو يوطن نفسه لتلقي كل أنواع الضر والعذاب في سبيل ربه فهو مع ذلك بشر، يتألم للضر ويستريح للنعيم. ولكنه مع هذا يفضل الضر مهما كانت آلامه، على النعيم مهما كانت لذائذه، إرضاء لوجه ربه وأداء

لحق العبودیة علیه. ولا ریب أن هذا هو مناط استحصال الثواب وظهور معنی التكلیف للإنسان. ثانیاً: إذا تأملت فی مشاهد سیرته، صَلَّى اللهُ علیه وسلم، مع قومه، وجدت أن ما كان یجده صَلَّى اللهُ علیه وسلم من الأذى فی هذه المشاهد قد یكون قاسياً شديداً، بید أنك واجد فی كل مشهد منها ما یعتبر رداً إلهیاً على ذلك الإیذاء وما یهدف إلیه أربابه. كی یكون فی ذلك مواساة للرسول علیه الصلاة والسلام، وكی لا یتجمع فی النفس من عوامل التألم والضجر ما یدخل إلیها الیأس. ففي مشهد هجرته صَلَّى اللهُ علیه وسلم إلی الطائف، وما قد اكتنفها من العذاب المصنئی: عذاب الإیذاء وعذاب الخیبة- مما قد مرّ ذكره- تجد رداً إلهیاً واضحاً على سفاهة أولئك الذین آذوه ولحقوا به واعتذارا له عن سفاهتهم وغلظتهم، تجد ذلك فی مظهر الرجل النصرانی (عدّاس) حیما جاء یسعی إلیه وفی یده طبق فیهِ عنب، ثم انكب فجعل یقبل رأسه ویدیهِ ورجلیهِ وذلك عندما أخبره علیه الصلاة والسلام أنه نبی. وحسبنا لتصویر مشهد هذا الاعتذار من إیذاء أولئك السفهاء، أن ننقل لك كلام مصطفى صادق الرافعی رحمه الله فی ذلك، بعد أن ذكر القصة: «یا عجباً لرموز القدر فی القصة! لقد أسرع الخیر والكرامة والإجلال، فأقبلت تعتذر عن الشر والسفاهة والطیش، وجاءت القبالات بعد كلمات

العداوة. وكان ابنا ربیعة من ألد أعداء الإسلام، وممن مشوا إلى أبي طالب عم النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم من أشرف قريش يسألونه، أن يكفه عنهم أو يخلي بينهم وبينه، أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين. فانقلبت الغريزة الوحشية إلى معناها الإنساني الذي جاء به هذا الدين لأن المستقبل الديني للفكر لا للغريزة. وجاءت النصرانية تعانق الإسلام وتعزه. إذ الدين الصحيح من الدين الصحيح كالأخ من أخيه، غير أن نسب الأخوة الدم، ونسب الدين العقل. ثم أتم القدر رمزه في هذه القصة، بقطف العنب سائغا عذبا مملوءا حلاوة. فباسم الله كان قطف العنب رمزا لهذا العنقود الإسلامي العظيم الذي امتلأ حبا، كل حبة فيه مملكة. «ثالثا؛ وفيما كان يفعله زيد بن حارثة رضي الله عنه، من وقاية للرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم بنفسه، من حجارة السفهاء، حتى إنه شج في رأسه عدة شجاج، نموذج لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم بالنسبة لقايد الدعوة، من حمايته له بنفسه ودفاعه عنه وإن اقتضى ذلك التضحية بحياته. هكذا كانت حال الصحابة رضي الله عنهم بالنسبة لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم. ولئن كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم غير موجود اليوم بيننا، فلا يتصور الدفاع عنه على النحو الذي كان يفعله أصحابه رضي الله عنهم، فإن ذلك يتحقق على نحو آخر؛ هو أن لا نضن على

أنفسنا بالمحن والعذاب في سبيل الدعوة الإسلامية وأن نسهم بشيء من تحمل الجهد والمشاق التي تحملها النبي عليه الصلاة والسلام. على أنه ينبغي أن يكون هنالك قادة للدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن، يخلفون قيادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة. فعلى المسلمين كلهم أن يكونوا من حولهم جنوداً مخلصين لهم، يقدونهم بالمهج والأموال، كما كان شأن المسلمين مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رابعاً: فيما قصه علينا ابن إسحاق من استماع النفر من الجن إليه، وهو يصلي من جوف الليل بنخلة، دليل على وجود الجن وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله ومنهم من كفر ولم يؤمن. وقد ارتفعت هذه الدلالة إلى درجة القطع، بحديث القرآن عنهم في نصوص قاطعة صريحة، كآيات التي في صدر سورة الجن، وكقوله تعالى في سورة الأحقاف: **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ}** إلى قوله تعالى: **{وَيَجْرِكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}** [الأحقاف: 29-31]. واعلم أن هذه القصة التي ساقها ابن إسحاق ورواها ابن هشام في سيرته، قد ذكرها البخاري ومسلم والترمذي على نحو قريب وبتفصيل آخر. واللفظ الذي رواه البخاري بسنده عن ابن عباس «أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين

وبین خبر السماء، وأرسلت علیهم الشهب، فرجعت الشیاطین فقالوا: ما لكم قد حیل بیننا و بین خبر السماء وأرسلت علینا الشهب؟ قال: ما حال بینکم و بین خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بینهم و بین خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بینکم و بین خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: **{يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا}**، وأنزل الله عز وجل على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن}**، وإنما أوحى إليه قول الجن «واللفظ الذي رواه مسلم والترمذي، متفق مع هذا، ولكنهما زادا عليه في صدر الحديث: «ما قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجن ولا رآهم، انطلق في طائفة..» الحديث. قال في الفتح: «فكان البخاري حذف هذه اللفظة عمدا، لأن ابن مسعود أثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ على الجن، فكان ذلك مقدما على نفي ابن عباس، وقد أشار إلى ذلك مسلم، فأخرج عقب حديث ابن

عباس هذا حديث ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: أتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرأت عليه القرآن، ويمكن الجمع بالتعدد» أي: يمكن الجمع بين الروایتين بتعدد الحادثة. ثم إن هذا الذي رواه مسلم والبخاري والترمذي يختلف عما رواه ابن إسحاق من ناحيتين: الأولى: أن رواية ابن إسحاق خالية عن الإشارة إلى أنه كان يصلي بأصحابه، بل هي تفيد أنه كان يصلي منفرداً، في حين أن الروايات الأخرى ذكرت أنه كان يصلي بأصحابه. الثانية: أن رواية ابن إسحاق ليس فيها تقييد الصلاة بالفجر، والروايات الأخرى تنص على أنه كان يصلي الفجر. فأما رواية ابن إسحاق فلا إشكال فيها. غير أن الرواية الأخرى تشكل من ناحيتين: الأولى: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن معه في ذهابه إلى الطائف ورجوعه منها إلا زيد بن حارثة، كما قد علمت، فكيف يستقيم أنه كان يصلي بطائفة من أصحابه؟ الثانية: أن الصلوات الخمس لم تشرع إلا ليلة الإسراء والمعراج، وإنما كان المعراج بعد ذهاب الرسول إلى الطائف، على ما ذهب إليه كثير من المحققين، فكيف يستقيم أنه كان يصلي الفجر؟ والجواب عن الإشكال الأول، أنه يحتمل أن يكون قد التقى ببعض من أصحابه عندما وصل إلى نخلة (وهو مكان قريب من مكة) فصلى بهم الفجر هناك. أما الإشكال

الثاني، فجوابه، أن يقال بأن حادثة الجن واستماعهم للقرآن منه صَلَّى اللهُ عليه وسلم تكرر أكثر من مرة، فقد رويت مرة عن ابن عباس ورويت بصورة أخرى عن ابن مسعود، وكل منهما صحيح، وهذا ما ذهب إليه جمهور المحققين هذا على القول بأن حادثة الإسراء والمعراج كانت بعد الهجرة إلى الطائف. أما على القول بأنها كانت قبل ذلك فلا إشكال البتة. والذي يهمنا أن نعلمه بعد هذا كله، هو أن على المسلم أن يؤمن بوجود الجن، وبأنهم كائنات حية كلفها الله عز وجل بعبادته كما كلفنا بذلك، ولئن كانت حواسنا ومداركنا لا تشعر بهم، فذلك لأن الله عز وجل جعل وجودهم غير خاضع للطاقة البصرية التي بثها في أعيننا، ومعلوم أن أعيننا إنما تبصر أنواعا معينة من الموجودات بقدر معين وبشروط معينة. ولما كان وجود هذه الخليقة مستنداً إلى أخبار يقينية متواترة وردت إلينا من الكتاب والسنة، وكان أمرها معلوماً من الدين بالضرورة أجمع المسلمون على أن إنكار الجن أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام. إذ أن إنكارهم إنكار لشيء علم أنه من الدين بالضرورة، عدا أنه يتضمن تكذيب الخبر الصادق المتواتر الوارد إلينا عن الله عز وجل وعن رسوله. ولا ينبغي أن يقع العاقل في أشد مظاهر الغفلة والجهل من حيث يزعم أنه لا يؤمن إلا بما يتفق مع (العلم)، فيمضي

یتبجح بأنه لا یعتقد بوجود الجن، من أجل أنه لم یر الجن ولم یحسّ بهم. إن من البداهة بمكان أن مثل هذا الجهل المتعالّم، یرتدّ عن إنکار كثير من الموجودات الیقینیة لسبب واحد هو عدم إمكان رؤیتها. والقاعدة العلمیة المشهورة تقول: عدم الوجدان لا یرتدّ عن الوجود؛ أي عدم رؤیتك لشيء تفتش عنه لا یرتدّ عن أن یرتدّ عن ذاته مفقوداً أو غیر موجود.

خامساً: ما موقع كل ما رآه النبی صلی الله علیه وسلم في سیاحته هذه في الطائف وما أثر كل هذا الذي عاناه، في نفسه؟ یرتدّ عن الجواب علی هذا فیما قاله النبی علیه الصلاة والسلام لزيد بن حارثة، حینما سأله زيد متعجباً: «كيف تعود یا رسول الله إلى مكة وهم أخرجوك»؟ فقد أجابه في ثقة واطمئنان قائلاً: «یا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دینه ومظهر نبيّه» وإذن فإن كل ذلك الذي رآه وعاناه في الطائف، بعد القسوة والعذاب اللذين رآهما في مكة، لم یكن له أي تأثير علی ثقته بالله تعالی أو علی قوة العزيمة الإيجابية في نفسه. ولا والله، لیست هذه عزيمة بشر أوتي طبعه مزيداً من التحمل أو قوة الإرادة. ولكنه یقین النبوة كان ثابتاً في قلبه صلی الله علیه وسلم فهو یعلم أنه إنما ینفذ أمر ربه ویسير في الطریق التي أمره الله أن یسير فیها، ومما لا ریب فیها أن الله بالغ أمره، وقد جعل لكل

شیء قَدراً. والفائدة التعليمية لنا في هذا الأمر، هي أن لا تصدنا المحن والعقبات التي تكون في طريق الدعوة الإسلامية عن السير، وأن لا تبث فينا روح الدعة والكسل، ما دمنا نسير على هدى من الإيمان بالله وتوفيقه فمن استمد القوة من الله جدير به أن لا يعرف لليأس والكسل معنى، إذ مادام هو الأمر، فلا شك أنه هو الناصر أيضاً. وإنما يأتي التخاذل والكسل واليأس بسبب العقبات والمحن التي تعترض السبل والمبادئ الأخرى التي لم يأمر بها الله عز وجل، إذ في مثل هذه الحال يركن العاملون إلى قوتهم الخاصة بهم وجهودهم التي يستقلون بها. ومعلوم أن كل ذلك محدود بنطاق بشري معين، فمن الطبيعي أن ينقلب كل من القوة والتصميم بسبب طول المعاناة والآلام والمحن، إلى يأس وتخاذل نظراً لمقياس القوة البشرية المحدودة). وصدق الإمام عليٌّ حين قال:

(وكم لله من لطفٍ خفيٍّ ... يدقُّ خفاهُ عن فهمِ الذكيِّ)
 (وكم يُسرِّ أتى من بعدِ عُسرٍ... ففرَّجَ كُرْبَةَ القلبِ الشَّجيِّ)
 (وكم أمرتساءً به صباحاً... وتأتيتك المسرةُ بالعشيِّ)
 (إذا ضاقت بك الأحوال يوماً... فتثقِّ بالواحدِ الفردِ العليِّ)

الخطبة الثانية: (الإسراء والمعراج اختبار للإيمان الصادق بالغيب):

(خ: 1) (ع) 1- الإسراء والمعراج في القرآن: قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1] في (تفسير ابن كثير): (يُمَجَّدُ تَعَالَى نَفْسَهُ، وَيُعَظَّمُ شَأْنَهُ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَيْلًا} أَي: فِي جُنْحِ اللَّيْلِ {مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وَهُوَ مَسْجِدُ مَكَّةَ {إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} وَهُوَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ الَّذِي بِبَيْلِيَاءِ مَعْدَنِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَدُنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ كُلُّهُمْ فَأَمَّهُمْ فِي مَحَلَّتِهِمْ وَدَارِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ، وَالرَّئِيسُ الْمُقَدَّمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} أَي: فِي الرُّزُوعِ وَالثَّمَارِ {لِنُرِيَهُ} أَي: مُحَمَّدًا {مِنَ آيَاتِنَا} أَي: الْعِظَامُ. وَفِي حَاشِيَةِ الصَّوْأَى عَلَى الْجَلَالِينِ): (قَوْلُهُ: {سُبْحَانَ} هُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ سَمَاعِي لَسْبَحِ الْمَشْدُدِ، أَوْ اسْمٌ مَصْدَرٌ لَهُ، ثُمَّ صَارَ عَلِمًا عَلَى التَّنْزِيهِ، أَي وَعَلَى كُلِّ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَسْبَحَ، فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ إِمَّا التَّنْزِيهِ فَقَطْ،

أي: تنزيه مَنْ هذا وصفه عن كل نقص، لأن هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم، أو المقصود التعجب فقط، على حد " سبحان الله، المؤمن لا ينجس"، أي: عجباً لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله، أو التنزيه مع التعجب، كأنه قال: عجباً لتنزيه الله تعالى عن كل نقص، حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة. قوله: {بِعَبْدِهِ} لم يقل بنبيه ولا برسوله، إشارة إلى أن وصف العبودية، أخص الأوصاف وأشرفها، لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه، بحيث لا يشرك به في عبادته له أحداً، فقد فاز وسعد، ولذا ذكره الله في المقامات الشريفة كما هنا، وفي مقام الوحي قال تعالى: {فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} [النجم: 10] وفي مقام الدعوة قال تعالى، {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ} الخ، ولذا قال القاضي عياض:

(ومما زادني شرفاً وتيهاً... وكدت بأحمصي أطأ الثريا)

(دخولي تحت قولك يا عبادي... وأن صيرت أحمد لي نبياً)

وهناك وجه آخر، وهو خلاف ضلال أمته به، كما ضلت أمة عيسى به حيث قالوا: ابن الله، وقوله: {بِعَبْدِهِ} أي: بروحه وجسمه على الصحيح، خلافاً لمن قال: إن الإسراء بالروح فقط... قوله: (إلى تقليل مدته) -قلت: (يقصد ما جاء في تفسير الجلالين: {لَيْلًا} نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ. وَالْإِسْرَاءِ سَيْرَ اللَّيْلِ. وَفَائِدَةٌ

ذَكَرَهُ الْإِشَارَةَ بِتَنْكِيرِهِ إِلَى تَقْلِيلِ مُدَّتِهِ) - أي: فقليل قدر أربع ساعات، وقيل ثلاث، وقيل قدر لحظة، قال السبكي في تائيته: وعدت وكل الأمر في قدر لحظة.) وقال تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ. لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ} [النَّجْم: 1-18]

(ع) 2- أهمية الإيمان بالغيب ودلالته على صدق الإيمان وتطبيق ذلك في الإسراء والمعراج: قال تعالى: {أَلَمْ يَكُن لِّكَ آيَاتٌ فِي الْقُرْآنِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالشَّجَرِ الْمَعِينِ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 1-5] وقال سبحانه: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: 60] في (تفسير ابن كثير): (يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - محرضًا على إبلاغ رسالته، مخبرًا له بأنه قد عصمه من الناس، فإنه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته. وقال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله: **{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}** أي: عصمك منهم، وقوله: **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}** الآية، قال البخاري: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ عَنْ عَمْرِو عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}** قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، **{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}** شَجَرَةَ الرَّقُومِ... وَتَقَدَّمَ أَنَّ نَاسًا رَجَعُوا عَنْ دِينِهِمْ بَعْدَ مَا كَانُوا عَلَى الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَمْ تَحْمِلْ قُلُوبُهُمْ وَعُقُولُهُمْ ذَلِكَ، فَكَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ثَبَاتًا وَيَقِينًا لِآخِرِينَ، وَلِهَذَا قَالَ إِلَّا فِتْنَةً أَيِ اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فَهِيَ شَجَرَةُ الرَّقُومِ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَرَأَى شَجَرَةَ الرَّقُومِ فَكَذَّبُوا بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ أَبُو جَهْلٍ عَلَيْهِ لِعَائِنِ اللَّهِ: هَاتُوا لَنَا تَمْرًا وَزَبْدًا، وَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا بِهَذَا، وَيَقُولُ: تَرَقَّمُوا فَلَا نَعْلَمُ الرَّقُومَ غَيْرَ هَذَا. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: **{أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ. فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ**

مِنْهَا الْبُطُونُ. ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ. ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ} [الصافات: 62-68] فی (تفسیر ابن کثیر): (یقولُ اللهُ تَعَالَى: أَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَأْكَلٍ وَمُشَارِبٍ وَمَنَآكِحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَاذِ خَيْرٌ ضِيافَةً وَعَطَاءً أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ؟ أَي: الَّتِي فِي جَهَنَّمَ. وَقَدْ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ مُعَيَّنَةٌ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَمْتَدُّ فُرُوعُهَا إِلَى جَمِيعِ مَحَالِّ جَهَنَّمَ كَمَا أَنَّ شَجَرَةَ طُوبَى مَا مِنْ دَارٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا وَفِيهَا مِنْهَا غُصْنٌ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ جِنْسَ شَجَرٍ يُقَالُ لَهُ الرَّقُومُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِالْكَالِينِ} [المؤمنون: 20] يَعْنِي الرَّيْتُونَ، وَيُوَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ} [الواقعة: 51-52]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} قَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَتْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ فَافْتَتَنَ بِهَا أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَقَالُوا: صَاحِبُكُمْ يُنْبِئُكُمْ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ فَانزَلَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} غَذِيَتْ مِنَ النَّارِ وَمِنْهَا خُلِقَتْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ: إِنَّمَا الرَّقُومُ التَّمْرُ وَالرُّبْدُ أَنْزَقَمُهُ. قُلْتُ: وَمَعْنَى الْآيَةِ إِنَّمَا أَخْبَرْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ اخْتِبَارًا نَخْتَبِرُ بِهِ النَّاسَ مَنْ

يُصَدِّقُ مِنْهُمْ مِمَّنْ يُكَذِّبُ كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: 60]. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15] فى (التفسير الوسيط): (أى: إنما المؤمنون حق الإيمان وأكمله، هم الذين آمنوا بالله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} أى: لم يدخل قلوبهم شئ من الريبة أو الشك فيما أخبرهم به نبيهم - صلى الله عليه وسلم - .وأتى سبحانه ب{ثُمَّ} التى للتراخى، للتنبية على أن نفى الريب عنهم ليس مقصوراً على وقت إيمانهم فقط، بل هو مستمر بعد ذلك إلى نهاية آجالهم، فكأنه سبحانه يقول: إنهم آمنوا عن يقين، واستمر معهم هذا اليقين إلى النهاية .) فى (سيرة ابن هشام): (وَكَانَ فِي مَسْرَاهُ، وَمَا ذُكِرَ عَنْهُ بَلَاءٌ وَتَمَحِيصٌ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فِيهِ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ وَثَبَاتٌ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى يَقِينٍ، فَأَسْرَى بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ شَاءَ، لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ، حَتَّى عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، وَقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا مَا يُرِيدُ.)

(خ: 2) (ع: 3- ثبات النبی بعد حادث الإسراء والمعراج وتصدیق أبی بكر له

وتكذیبُ المُشركین، وارتدادُ بعضِ ضِعافِ الإیمان:

فی (البداية والنهائة): (وَقَدْ عَايَنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأُمُورِ الَّتِي لَوْ رَأَاهَا - أَوْ بَعْضَهَا - غَيْرُهُ لِأَصْبَحَ مُنْذَهَشًا أَوْ طَائِشَ الْعَقْلِ، وَلَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ وَاجِمًا - أَي سَاكِنًا - يَخْشَى إِنْ بَدَأَ فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ، فَتَلَطَّفَ بِإِخْبَارِهِمْ أَوَّلًا بِأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ - رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُوَ جَالِسٌ وَاجِمٌ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ خَبْرٍ؟ فَقَالَ نَعَمْ! فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ لِكَتْخِبَهُمْ أَتْخِبُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ؟ قَالَ نَعَمْ! فَأَرَادَ أَبُو جَهْلٍ جَمْعَ قُرَيْشٍ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ ذَلِكَ وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْعَهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ ذَلِكَ وَيُبَلِّغَهُمْ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هِيَ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَقَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ أُنْدِيَّتِهِمْ فَقَالَ: أَخْبِرْ قَوْمَكَ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى وَأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَصَلَّى فِيهِ، فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَبَيْنِ مُصَفِّرٍ تَكْذِيبًا لَهُ وَاسْتِبْعَادًا لِحَبْرِهِ وَطَارَ الْخَبْرُ بِمَكَّةَ وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ

مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذًا وَكَذَا. فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُهُ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ قَالَهُ فَلَقَدْ صَدَقَ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَهُ مَشْرِكِي قُرَيْشٍ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ فَاسْتَعْلَمَهُ عَنْ صِفَاتِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْسَمَعَ الْمُشْرِكُونَ وَيَعْلَمُوا صِدْقَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ. وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَخْبَرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ فَالْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ الشَّيْءِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ وَأَنْعَتَهُ لَهُمْ. فَقَالَ: أَمَّا الصِّفَةُ فَقَدْ أَصَابَ. وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِخْبَارِهِ لَهُمْ بِمُرُورِهِ بِعَيْرِهِمْ وَمَا كَانَ مِنْ شَرْبِهِ مَائِهِمْ، فَأَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ وَاسْتَنَارَتْ لَهُمُ الْمَحَجَّةُ، فَأَمَّنَ مَنْ آمَنَ عَلَى يَتِيمٍ مِنْ رَبِّهِ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} أَي: اخْتِبَارًا لَهُمْ وَامْتِحَانًا. وَفِي (سِيْرَةِ ابْنِ هِشَامٍ): (ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ. فَقَالَ أَكْثَرُ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ الْإِمْرُ الْبَيِّنُ، - الْإِمْرُ (بِكَسْرِ الهمزة): الْعَجِيبُ الْمُنْكَرُ - وَاللَّهُ إِنْ الْعَيْرَ لَتَطْرُدُ، شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مُدْبِرَةً، وَشَهْرًا مُقْبِلَةً، أَفِيْذَهُبُ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ! قَالَ: فَارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ أَسْلَمَ،

وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذِهِ الدَّلِيلَةَ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَصَلَّى فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: بَلَى، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِيُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ لِيَأْتِيهِ (مِنْ اللَّهِ) مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأُصَدِّقُهُ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ هَذِهِ الدَّلِيلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَصِفْهُ لِي، فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ - قَالَ الْحَسَنُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَرَفَعَ لِي حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُهُ لِأَبِي بَكْرٍ، وَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، كَلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، حَتَّى (إِذَا) انْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَيَوْمَئِذٍ سَمَّاهُ الصِّدِّيقَ. قَالَ الْحَسَنُ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ ارْتَدَّ عَنِ إِسْلَامِهِ لِذَلِكَ: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَنُحَوِّفُهُمْ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا}... قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ أُمِّ

هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَاسْمُهَا هِنْدٌ، فِي مَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ فِي بَيْتِي، نَامَ عِنْدِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بَيْتِي، فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ نَامَ وَنَمْنَا، فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهْبْنَا-أَهْبْنَا: أَيْقَطْنَا-رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَصَلَيْنَا مَعَهُ، قَالَ: يَا أُمَّ هَانِي، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الْوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ قَدْ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرِينَ، ثُمَّ قَامَ لِيَخْرُجَ، فَأَخَذْتُ بِطَرْفِ رِدَائِهِ، فَتَكَشَّفَ عَن بَطْنِهِ كَأَنَّهُ قُبُطِيَّةٌ- الْقُبُطِيَّةُ (بِالضَّمِّ وَتَكْسُرُ): ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ تَنْسَجُ بِمَضْرٍ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَبْطِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ- مَطْوِيَّةٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَا تُحَدِّثْ بِهَذَا النَّاسِ فَيُكَذِّبُوكَ وَيُؤْذُونَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لِأَحَدْتَنَّهُمْوَهُ. قَالَتْ: فَقُلْتُ لِحَارِيَّةٍ لِي حَبَشِيَّةٍ: وَيْحَكَ اتَّبَعِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَسْمَعِي مَا يَقُولُ لِلنَّاسِ، وَمَا يَقُولُونَ لَهُ. فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ أَخْبَرَهُمْ، فَعَجِبُوا وَقَالُوا: مَا آيَةُ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَإِنَّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا قَطُّ، قَالَ: آيَةُ ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانَ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا، فَأَنْفَرَهُمْ حَسَّ الدَّابَّةِ، فَذَلَّلَهُمْ بَعِيرٌ، فَذَلَّلْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا مُوجَّهٌ إِلَى الشَّامِ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضَجْنَانَ- ضَجْنَانَ (بِالتَّحْرِيكِ):

جبل بِنَاحِيَةِ تَهَامَةَ، وَيُقَالُ: هُوَ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ مَكَّةَ. وَقَالَ الْوَأَقِدِيُّ: بَيْنَ ضَجْنَانَ وَمَكَّةَ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ مِيلاً - مَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطُّوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ عَيْرَهُمْ الْآنَ يَصُوبُ - يَصُوبُ: يَنْزِلُ مِنْ عَلٍ - مِنَ الْبَيْضَاءِ - الْبَيْضَاءُ: عَقَبَةٌ قَرِبَ مَكَّةَ تَهْبِطُكَ إِلَى فِخٍّ، وَأَنْتَ مُقْبِلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ تُرِيدُ مَكَّةَ، أَسْفَلَ مَكَّةَ مِنْ قَبْلِ ذِي طَوَى -، ثَبِيَّةِ التَّنْعِيمِ - التَّنْعِيمِ: مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ بَيْنَ مَكَّةَ وَسَرْفِ عَلَى فَرَسَخِينَ مِنْ مَكَّةَ - يَتَقَدَّمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ - الْأَوْرَقُ: الَّذِي لَوْنُهُ بَيْنَ الْغَبْرَةِ وَالسَّوَادِ -، عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ، إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءٌ، وَالْأُخْرَى بَرَقَاءٌ - الْبَرَقَاءُ: الَّتِي فِيهَا أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ - قَالَتْ: فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثَّنِيَّةَ فَلَمْ يَلْقَهُمْ أَوْلَ مِنْ الْجَمَلِ - يُرِيدُ أَنْ الْجَمَلُ كَانَ أَوْلَ مَا لَقِيَهُمْ - كَمَا وَصَفَ لَهُمْ، وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً ثُمَّ غَطُّوهُ، وَأَنَّهُمْ هَبُّوا فَوَجَدُوهُ مُعْطًى كَمَا غَطُّوهُ، وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً وَسَأَلُوا الْآخِرِينَ وَهُمْ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: صَدَقَ وَاللَّهِ، لَقَدْ أَنْفَرْنَا فِي الْوَادِي الَّذِي ذَكَرَ، وَنَدَّ لَنَا بِعَيْرٍ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ، حَتَّى أَخَذْنَاهُ. (وفى تاريخ الخلفاء) للسيوطى: (وأخرج أبو نعيم وابن عساكر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما كلمت في الإسلام أحدًا إلا أبا علي،

وراجعني الكلام، إلا ابن أبي قحافة، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه". وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، فقلت: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت" (وفى (الرياض النضرة فى مناقب العشرة) ل/ محب الدين الطبري: (وعن مولى أبي هريرة قال أبو بكر بن أبي قحافة: أراه قال عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال ليلة أسري به: "قلت لجبريل -عليه السلام: إن قومي لا يصدقونني، قال لي جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق". خرجهما في فضائل أبي بكر، وخرج الباقي الملا في سيرته وقيل: سمي صديقاً لبداره إلى تصديق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل ما جاء به عموماً، ويشهد لراجحية هذا القول أن الصديق في اللغة -فعل -معناها المبالغة في التصديق أي: يصدق بكل شيء أول وهلة).

الخطبة الثالثة: (فضائل برِّ الوالدين):

(خ: 1) (ع) 1- فضائل برِّ الوالدين في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36] وقال: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 23-24] وقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: 8] وقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: 14-15] وقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ} [الأخفاف: 15]

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: سَأَلْتُ
النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ
عَلَى وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (312)

2- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:
«أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟
قَالَ: «أَبُوكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟
قَالَ: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ
أَدْنَاكَ» «وَالصَّحَابَةُ» بِمَعْنَى: الصُّحْبَةِ. وقوله: «ثُمَّ أَبَاكَ» هَذَا هُوَ مَنْصُوبٌ
بِفِعْلِ مَحذُوفٍ، أَي: ثُمَّ بَرَّ أَبَاكَ. وفي رواية: «ثُمَّ أَبُوكَ»، وَهَذَا وَاضِحٌ. (رياض)
حديث (316) 3- وعنه، عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ

علیه وسلم - قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوهِ عِنْدَ الْكَبْرِ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (رياض) حديث (317)
 4- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ ابْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَبَاهِدْ» (رياض) حديث (321)

5- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهَا: «رَاغِبَةٌ» أَي: طَامِعَةٌ عِنْدِي تَسْأَلُنِي شَيْئًا؛ قِيلَ: كَانَتْ أُمُّهَا مِنَ النَّسَبِ، وَقِيلَ: مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ (رياض) حديث (325)

6- وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه: أن رجلاً أتاه، قال: إن لي امرأة، وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت، فأضغ ذلك الباب، أو أحفظه» رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح» (رياض) حديث (334)

7- وعن أبي بكره نفع بن الحارث - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» - ثلاثاً - قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه (رياض) حديث (336)

8- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري. «اليمين الغموس»: التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم (رياض) حديث (337)

9- وعنه أن رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ!»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» (رياض) حديث (338)

10- وعن أَبِي أُسَيْدٍ - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي - رضي الله عنه - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ أْبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا» رواه أَبُو داود (رياض) حديث (343)

أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: "رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ" [قال الشيخ الألباني]: حسن موقوفًا. وصَحَّ مرفوعًا. الصحيحة» (515)

2- وفى (حلية الأولياء): (عن ميمون بن مهران قال: ثلاث، المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها، من مسلم أو كافر؛ وبر الوالدين، قال تعالى: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [لقمان: 15].. الآية؛ والعهد، تفي به لمن عاهدت، من مسلم أو كافر.)

3-4- وفى (تنبيه الغافلين): (عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، عنهما، قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ لَهُ أَبْوَانٌ فَيُصْبِحُ وَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمَا، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَيَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَتَّى يَرْضَى». قيل: «وَأِنْ كَانَ ظَالِمًا. قَالَ: «وَأِنْ كَانَ ظَالِمًا»... وَعَنْ فَرْقَدِ السَّبَخِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْوَلَدِ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِذَا شَهِدَ وَالِدَيْهِ، إِلَّا بِإِذْنِهِمَا وَلَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِمَا وَلَا عَنْ يَمِينِهِمَا وَلَا عَنْ شِمَالِهِمَا إِلَّا أَنْ يَدْعُوهُ فَيُحِبِّبَهُمَا، وَلَكِنْ يَمْشِي خَلْفَهُمَا كَمَا يَمْشِي الْعَبْدُ خَلْفَ مُوَلَاهُ... وَيُقَالُ لِلْوَالِدَيْنِ عَلَى الْوَلَدِ، عَشْرَةٌ حُقُوقٍ: أَحَدُهُمْ: أَنَّهُ إِذَا احتَاجَ إِلَى الطَّعَامِ أَطْعَمَهُ. وَالثَّانِي: إِذَا احتَاجَ إِلَى الكُسُوةِ كَسَاهُ إِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 5] فَقَالَ: «المُصَاحِبَةُ بِالمَعْرُوفِ أَنْ

يُطِيعُهُمَا إِذَا جَاعَا وَيَكْسُوهُمَا إِذَا عَرِيَا» وَالثَّالِثُ: إِذَا اِحْتَاَجَ أَحَدُهُمَا إِلَى خِدْمَتِهِ خَدَمَهُ. وَالرَّابِعُ: إِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ وَحَضَرَهُ. وَالخَامِسُ: إِذَا أَمَرَهُ بِأَمْرٍ أَطَاعَهُ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْعَيْبَةِ. وَالسَّادِسُ: أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِاللِّينِ وَلَا يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِالْكَلامِ الْعَلِيظِ. وَالسَّابِعُ: أَنْ لَا يَدْعُوهُ بِاسْمِهِ، وَالثَّامِنُ: أَنْ يَمْشِي خَلْفَهُ. وَالتَّاسِعُ: أَنْ يَرْضَى لَهُ مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. وَالْعَاشِرُ: أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ كُلَّمَا يَدْعُو لِنَفْسِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} [نوح: 28]، وَهَكَذَا عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم: 40-41]، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(خ: 2) (ع) 2- نماذج في برِّ الوالدين:

1- إبراهيم-عليه السلام حين دعا أباه للإسلام بالحسنى: قال تعالى: {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي

مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} {مَرِيَمُ: الآيات 41-

[47

2- موقف إسماعيل من أبيه إبراهيم حين أخبره بأمر الله له بذبحه: قال تعالى:

{ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} {الصفات: 100 - 107]

3- برُّ يحيى عليه السلام بوالديه: قال تعالى: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا

عَصِيًّا. وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} {مريم: 14-

15] في (تفسير ابن كثير): (وقوله) {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} لَمَّا

ذَكَرَ تَعَالَى طَاعَتَهُ لِرَبِّهِ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ ذَا رَحْمَةٍ وَزَكَاةٍ وَتَقَى عَطْفَ بِذِكْرِ طَاعَتِهِ

لِوَالِدَيْهِ وَبَرَّهُ بِهِمَا، وَمَجَانِبَتَهُ عَقُوقَهُمَا قَوْلًا وَفِعْلًا، أَمْرًا وَنَهْيًا، وَلِهَذَا قَالَ:

{وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ جَزَاءً لَهُ عَلَى ذَلِكَ

{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} أَي: لَهُ الْأَمَانُ فِي هَذِهِ

الْثَلَاثَةِ الْأَحْوَالِ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عَيِينَةَ: أَوْحَشَ مَا يَكُونُ الْمَرْءُ فِي ثَلَاثَةِ

مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُوَلَّدُ فَيْرَى نَفْسَهُ خَارِجًا مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيْرَى قَوْمًا لَمْ يَكُنْ عَايِنَهُمْ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيْرَى نَفْسَهُ فِي مَحْشَرٍ عَظِيمٍ، قَالَ: فَأَكْرَمَ اللَّهُ فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فَخَصَّهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: { **وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** } (

4- بَرُّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَالِدَتِهِ: قَالَ تَعَالَى: { **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** } (فى تفسير ابن كثير): { **وَقَوْلُهُ: { وَبَرًّا بِوَالِدَتِي } أَي: وَأَمْرَنِي بِبِرِّ وَالِدَتِي، ذَكَرَهُ بَعْدَ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَثِيرًا مَا يُفْرِنُ بَيْنَ الْأُمْرِ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإِسْرَاءِ: 23] وَقَالَ: { أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [الْقَمَانِ: 14] وَقَوْلُهُ: { وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } أَي: وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا مُسْتَكْبِرًا عَنِ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَبِرِّ وَالِدَتِي، فَاشْتَقَى بِذَلِكَ قَالَ سَفِيانُ الثَّورِيُّ: الْجَبَّارُ الشَّقِيُّ الَّذِي يَقْتُلُ عَلَى الْعُضْبِ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تُجِدُ أَحَدًا عَاقًا لِوَالِدَيْهِ إِلَّا وَجَدْتَهُ جَبَّارًا شَقِيًّا، ثُمَّ قَرَأَ: { **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** } قَالَ: وَلَا تُجِدُ سَيِّئَ الْمَلَكَةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ مُخْتَلًا فَخُورًا، ثُمَّ قَرَأَ: { **وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا** } [النِّسَاءِ: 36] قَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرْنَا أَنَّ امْرَأَةً رَأَتْ ابْنَ مَرِيَمَ يُحْيَى**

الموتى وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ فِي آيَاتٍ سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِنَّ،
فَقَالَتْ: طوبى للبطن الذي حملك، وطوبى للشدي الذي أَرْضَعَتْ بِهِ، فَقَالَ
نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجِيبُهَا: طوبى لمن تلا كتاب الله فَاتَّبَعَ مَا فِيهِ،
وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا شَقِيًّا.)

5- مواقف للسلف فى برِّ الوالدين:

1- عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا مِّنَ
الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ
كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ
اللَّهُ، إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضُونَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا هَذَا
كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ أBRَ الْبِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَدُّ أَبِيهِ» وفي رواية عن
ابن دينار، عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ
إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ
إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، فَقَالَ:
أَرْكَبْ هَذَا، وَأَعْطَاهُ الْعِمَامَةَ وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ:
غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَغْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ

بِهَا رَأْسَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبْرِ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ وَدُّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مُسْلِمٌ (رِيَاضُ) حَدِيثٌ (342) 2-5-5-فِي (الْحَلِيَّةِ): (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَوْنٍ: أَنَّهُ نَادَتْهُ أُمُّهُ، فَأَجَابَهَا، فَعَلَا صَوْتَهُ؛ فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ. وَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ سَيِّرِينَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَيِّرِينَ يَكَلِّمُ أُمَّهُ قَطُّ، إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ. وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ سَيِّرِينَ، وَهُوَ عِنْدَ أُمِّهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ مُحَمَّدٍ، أَيَشْتَكِي شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، وَلَكِنْ هَكَذَا يَكُونُ حَالُهُ إِذَا كَانَ عِنْدَ أُمِّهِ. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ قَالَ: بَتَّ أَغْمَزَ رَجُلٌ أُمَّي، وَبَاتَ عَمْرٌ يَصِلِي؛ وَمَا يَسْرَنِي أَنْ لَيْلَتِي بَلِيلَتِهِ.) 6-7-وَفِي (بِرِّ الوَالِدِينَ) ل/أَزْهَرِي أَحْمَدُ مَحْمُودٌ: (وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غَايَةَ فِي بَرِّهِ بِأُمِّهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ مِنْ أَبْرِ النَّاسِ بِأَمِّكَ، وَلَسْنَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَهَا فِي صَحْفَةٍ؟ ! فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ عَيْنُهَا، فَأَكُونُ قَدْ عَقَّقْتُهَا! وَكَانَ ذَرُّ بْنُ عَمْرِ بْنِ ذَرٍّ؛ مِنْ أَبْرِ النَّاسِ بِأَبِيهِ، فَمَا مَشِيَ مَعَهُ فِي لَيْلٍ، إِلَّا وَكَانَ أَمَامَهُ، وَمَا مَشِيَ مَعَهُ فِي نَهَارٍ؛ إِلَّا كَانَ وَرَاءَهُ، وَمَا ارْتَقَى عَلَى سَقْفٍ تَحْتَهُ أَبُوهُ!)

الخطبة الرابعة: فضائل صلاة الرِّحِمِ وذمُّ قطيعتها):

(خ: 1) (ع) 1- فضائلُ صِلَةِ الرِّحِمِ وَذَمُّ قَطِيعَتِهَا فِي الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ: قال تعالى: {...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} [النساء: 1] في (تفسير ابن كثير): (أَي: وَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ. قال إبراهيم ومجاهد والحسن الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ أَي كَمَا يُقَالُ: أَسَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّحِمِ، وقال الضحاك: واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا وَلَكِنْ بَرُّوهَا وَصَلُّوهَا.) وفي (التفسير الوسيط): (والمعنى واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به، بأن يقول له على سبيل الاستعطاف: أسألك بالله أن تفعل كذا، أو أن تترك كذا. واتقوا الأرحام أن تقطعوها فلا تصلوها بالبر والإحسان، فإن قطيعتها وعدم صلتها مما يجب أن يتقى ويبتعد عنه، وإنما الذي يجب أن يفعل هو صلتها وبرها.) وقال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: 36] وقال: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ

الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 19-24] فى (التفسير الوسيط): (أى: أن من صفات أولى الألباب، أيضًا، أنهم يصلون كل ما أمر الله - تعالى - بوصله كصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإعانة المحتاج، والإحسان إلى الجار.) وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: 25] فى (تفسير ابن كثير): (هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر ما لهم في الآخرة، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض. كما ثبت في الحديث «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» وفي رواية «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»، ولهذا قال: {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ} وهي الإبعاد عن الرحمة، {وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}

وَهِيَ سُوءُ الْعَاقِبَةِ وَالْمَالِ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. وقال أبو العالية في قوله تعالى: { **وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ** } الآية، قَالَ: هِيَ سِتُّ خِصَالٍ فِي الْمُنَافِقِينَ، إِذَا كَانَ فِيهِمْ الظُّهْرَةُ عَلَى النَّاسِ أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِصَالَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اتَّيَمَّنُوا خَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَتِ الظُّهْرَةُ عَلَيْهِمْ أَظْهَرُوا الثَّلَاثَ الْخِصَالَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اتَّيَمَّنُوا خَانُوا. (وقوله: { **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** } أى: ويقطعون كل ما أوجب الله - تعالى - وصله، ويدخل فيه وصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاتباع والموالاة، ووصل المؤمنين بالمعونة، والمحبة، ووصل أولى الأرحام بالمودة والتعاطف، فالجملة الكريمة بيان لحال هؤلاء الأشقياء بأنهم كانوا على الضد من أولئك الأوفياء الأخيار الذين كانوا يصلون ما أمر الله به أن يوصل. وقوله: { **وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ** } بيان لصفة ثالثة من صفاتهم القبيحة. أى: أنهم كانوا يفسدون فى الأرض عن طريق حربهم لدعوة الحق، واعتدائهم على المؤمنين، وغير ذلك من الأمور التى كانوا يقترفونها مع أن الله تعالى قد حرمها ونهى عنها. وقوله تعالى: { **أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** } إخبار عن العذاب الشديد الذى

سیلقونه فی آخرتهم.أى: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الذمیمة {لهم} من الله تعالى {اللعنة} والطرد من رحمته. {ولهم} فوق ذلك، الدار السيئة وهى جهنم التى لیس فیها إلا ما یسوء الصائر إليها.)
أما الأحادیث فمنها:

1- عن أبی هريرة- رضی الله عنه- أن رسول الله - صلى الله علیه وسلم - قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (رياض) حدیث (314)

2- وعن عائشة، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حدیث (323)

3- وعن أبی هريرة - رضی الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله علیه وسلم - : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله علیه وسلم - : «افْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى

أَبْصَارَهُمْ} {محمد: 22 - 23} مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية للبخاري: فَقَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: «مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلَّتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ، قَطَعْتُهُ» (رياض) حديث (315)

4- وعن أنسٍ - رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

«من أحبَّ أن يُيسَّطَ له في رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ له في أثرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ

عَلَيْهِ ومعنى «ينسأ له في أثره»، أي: يؤخر له في أجله

وعمره (رياض) حديث (319) 5- وعن عبد الله

بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -

قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحِمَهُ

وَصَلَّاهَا». رواه البخاري. وَ «قَطَعْتَ» بِفَتْحِ الْقَافِ وَالطَّاءِ. «رَحِمُهُ» مَرْفُوعٌ

(رياض) حديث (322)

6- وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. فَقَالَ النَّبِيُّ -

صلى الله عليه وسلم: «تَعَبُدُ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي

الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (رياض) حديث (331)

7- وعن سلمان بن عامر - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَهُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا، فَالْمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ»، وَقَالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ». رواه الترمذي، وَقَالَ: «حديث حسن» (رياض) حديث (332)

8- وعن أبي محمد جبير بن مطعم - رضي الله عنه: أن رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (339)

أَمَّا الْآثَارُ:

1- في (صفة الصفوة) - في ترجمة - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - : (وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي قال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريقٍ. قال: قلت: جعلت فداك يا أبتِ من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها. قال: قلت: يا أبة وما دونها؟ يطمع فيها ثم لا ينالها. قال: قلت: يا أبة ومن الثاني؟ قال: قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه. قال: قلت: يا أبة ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يُبعدُ منك القريب، ويقرب منك البعيد. قال: قلت: يا أبة ومن الرابع؟

قال: لا تصحبن أحق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. قال: قلت: يا أبة ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع. -قلت: (هذه المواضع هي: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 26-27] وقوله: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: 25] وقوله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: 22-23] -

2- وفي (تنبيه الغافلين): (ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء: من عاهدته، ثق له بعهدك مسلماً كان أو كافراً؛ فإنما العهد لله. ومن كانت بينك وبينه قرابة، فصله مسلماً كان أو كافراً. ومن ائتمنك على أمانة، فأداه له مسلماً كان أو كافراً.)

(ع)2- أسباب قطيعة الأرحام وعلاج ذلك وكيفية صلة الرحم: فى (قطيعة الرحم: المظاهر - الأسباب - سبل العلاج)ل/محمد ابراهيم الحمد: ([أسباب قطيعة الرحم]: إذا نظرت إلى قطيعة الرحم، وجدت أنها تحدث لأسباب عديدة تحمل على القطيعة؛ منها:

1- الجهل: ؛ فالجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة يحمل عليها، ويقود إليها، كما أن الجهل بفضائل الصلة العاجلة والآجلة يقصر عنها، ولا يبعث إليها.

2- ضعف التقوى: فإذا ضعفت التقوى، ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يطمع بأجر الصلة، ولم يخش عاقبة القطيعة.

3- الكبر: فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجراً كبيراً- تكبر على أقاربه، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم؛ بحيث يرى أنه صاحب الحق، وأنه أولى بأن يزار ويؤتى إليه.

4- الانقطاع الطويل: فهناك من ينقطع عن أقاربه فترة طويلة، فيصيبه من جراء ذلك وحشة منهم، فيبدأ بالتسوية بالزيارة، فيتمادى به الأمر إلى أن ينقطع عنهم بالكلية، فيعتاد القطيعة، ويألف البعد.

5- العتاب الشديد: فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه بعد طول انقطاع- أمطر عليه وابلًا من اللوم، والعتاب، والتقريع على تقصيره في حقه، وإبطائه في المجيء إليه. ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه؛ خوفًا من لومه، وتقريعه، وشدة عتابه.

6- التكلف الزائد: فهناك من إذا زاره أحدٌ من أقاربه تكلف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وأجهد نفسه في إكرامهم، وقد يكون قليل ذات اليد. ومن هنا تجد أن أقاربه يقصرون عن المجيء إليه؛ خوفًا من إيقاعه في الحرج.

7- قلة الاهتمام بالزائرين: فمن الناس من إذا زاره أقاربه لم يبد لهم الاهتمام، ولم يصنع لحديثهم، بل تجده معرضًا مشيحًا بوجهه عنهم إذا تحدثوا، لا يفرح بمقدمهم، ولا يشكرهم على مجيئهم، ولا يستقبلهم إلا بكل ثقيل وبرود؛ مما يقلل رغبتهم في زيارته.

8- الشح والبخل: فمن الناس من إذا رزقه الله مالا أو جاها- تجده يتهرب من أقاربه، لا كبرا عليهم، وإنما خوفًا من أن يفتح الباب عليه من أقاربه، فيبدؤون بالاستدانة منه، ويكثرون الطلبات عليه، أو غير ذلك! وبدلًا من أن يفتح الباب لهم، ويستضيفهم، ويوسع عليهم ويقوم على خدمتهم بما

يستطيع، أو يعتذر لهم عما لا يستطيع، إذا به يعرض عنهم، ويصرمهم، ويهجرهم، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم - كما يزعم -! وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب؛ قال زهير بن أبي سلمى - وما أجمل ما قال :-
(ومنْ يكُ ذا فضل فيبخل فضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم)
وما أجمل قول البارودي:

(فلا تحسبن المال ينفع ربه ... إذا هو لم تحمد قراه العشائر)
ومما قيل في ذلك:

(ومن ذا الذي نرجو الأبعد نفعه ... إذا كان لم يصلح عليه الأقارب) .

9- تأخير قسمة الميراث: فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم؛ إما تكاسلا منهم، أو لأن بعضهم عنده شيء من العناد، أو نحو ذلك. وكلما تأخر قسم الميراث، وتقادم العهد عليه - شاعت العدواة والبغضاء بين الأقارب؛ فهذا يريد حقه من الميراث ليتوسع به، وهذا آخر يموت ويتعب من بعده في حصر الورثة، وجمع الوكالات حتى يأخذوا نصيبهم من مورثهم، وذاك يسيء الظن بهذا، وهكذا تشتبك الأمور، وتتأزم الأوضاع، وتكثر المشكلات فتحل الفرقة، وتسود القطيعة.

- 10- الشراكة بين الأقارب: فكثيرًا ما يشترك بعض الإخوة أو الأقارب في مشروع أو شركة ما- دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشركة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة، وإحسان الظن. فإذا ما زاد الإنتاج، واتسعت دائرة العمل- دب الخلاف، وساد البغي، وحدث سوء الظن، خصوصًا إذا كانوا من قبلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبدًا برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من الآخر؛ ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت الحال بهم إلى الخصومات في المحاكم، فيصبحون بذلك سبة لغيرهم، قال الله- تعالى:- {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} [ص: 24]
- 11- الاشتغال بالدنيا واللهث وراء حطامها: فلا يجد هذا اللاهث وقتًا يصل به قرابته، ويتودد إليهم.
- 12- الطلاق بين الأقارب: فقد يحدث طلاق بين الأقارب، فتكثر المشكلات بين أهل الزوجين، إما بسبب الأولاد، أو بسبب بعض الأمور المتعلقة بالطلاق، أو غير ذلك.

13-بُعْدُ المسافة والتكاسل عن الزيارة: فمن الناس من تنأى به الديار، ويشط به المزار، فيبتعد عن أهله وأقاربه، فإذا ما أراد المجيء إليهم بعدت عليه الشقة، فتشبط عن المجيء والزيارة.

14-التقارب في المساكن بين الأقارب: فربما أورث ذلك نفرة وقطيعة بين الأقارب، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: " مروا ذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا). قال الغزالي مُعلقاً على مقولة عمر: " وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم. وقال أكثر بن صيفي: " تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة ". ثم إن القرب في المسافة قد يسبب بعض المشكلات، التي تحدث بسبب ما يكون بين الأولاد من تنافس، أو مشادة، أو غير ذلك، وقد ينتقل ذلك إلى الوالدين، فيحاول كلُّ من الوالدين أن يبرئ ساحة أولاده، فتنشأ العداوة، وتحل القطيعة.

15-قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم: فبعضُ الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه، فبمجرد أي هفوة، أو زلة، أو عتاب من أحد من أقاربه يبادر إلى القطيعة والهجر.

16- نسيان الأقارب في الولائم والمناسبات: فقد يكون عند أحد أفراد الأسرة وليمة أو مناسبة ما، فيقوم بدعوة أقاربه إما مشافهة، أو عبر رقايع الدعوة، أو عبر الهاتف، وربما نسي واحدًا من أقاربه، وربما كان هذا المنسي ضعيف النفس، أو ممن يغلب سوء الظن، فيفسر هذا النسيان بأنه تجاهل له، واحتقار لشخصه، فيقوده ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

17- الحسد: فهناك من يرزقه الله علمًا، أو جاهًا، أو مالًا، أو محبة في قلوب الآخرين، فتجده يخدم أقاربه، ويفتح لهم صدره، ومن هنا قد يحسده بعض أقاربه، ويناصبه العدا، ويشير البلبله حوله، ويشكك في إخلاصه.

18- كثرة المزاح: ؛ فإن لكثرة المزاح آثارًا سيئة؛ فلربما خرجت كلمة جارحة من شخص لا يراعي مشاعر الآخرين فأصابت مقتلا من شخص شديد التأثر، فأورثت لديه بغضا لهذا القائل. ويحصل هذا كثيرا بين الأقارب؛ لكثرة اجتماعاتهم. قال محمود الوراق:

(تلقي الفتى يلقي أخاه وخذنه ... في لحن منطقه بما لا يغفر)

(ويقول كنتُ مُمَازِحًا ومُلاعِبًا ... هيهات نارك في الحشا تتسعر)

(ألهبتهما وطفقت تضحك لاهيًّا ... مما به وفؤاده يتفطر)

(أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... أن المزاح هو السباب الأكبر)

قال ابن عبد البر-رحمه الله:- "وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح؛ لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء "

19-الوشاية والإصغاء إليها: فمن الناس من دأبه وديدنه وهجيره- عيادا بالله- إفساد ذات البين، فتجده يسعى بين الأحبة لتفريق صفهم، وتكدير صفوهم، فكم تحاصت بسبب الوشاية من رحم، وكم تقطعت من أواصر، وكم تفرق من شمل.وأعظم جرما من الوشاية: أن يصغي الإنسان إليها، ويصيخ السمع لها.وما أجمل قول الأعشى:

(ومَنْ يُطْعِ الوَاشِينَ لَا يَتْرَكُوا لَهُ ... صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرَبًا)

20-سوء الخلق من بعض الزوجات: فبعض الناس يبتلى بزوجة سيئة الخلق، ضيقة العطن، لا تحتمل أحدا من الناس، ولا تريد أن يشاركها في زوجها أحد من أقاربه أو غيرهم، فلا تزال به تنفره من أقاربه، وتثنيه عن زيارتهم وصلتهم، وتتعد في سبيله إذا أراد استضافتهم، فإذا استضافهم أو زاروه لم تظهر الفرح والبشر بهم، فهذا مما يسبب القطيعة بين الأقارب. وبعض الأزواج يسلم قياده لزوجته فإذا رضيت عن أقاربه وصلهم، وإن لم ترض قطعهم، بل ربما أطاعها في عقوق والديه مع شدة حاجتهم إليه.هذه بعض الأسباب الحاملة

على الهجر وقطيعة الرحم.) وفيه أيضًا: ([علاج قطيعة الرحم]: مر بنا القطيعة، وأضرارها، وذكر شيء من الأسباب التي تحمل عليها. فإذا كان الأمر كذلك فما أجد العاقل أن يحذر قطيعة الرحم، وأن يتجنب الأسباب الداعية إليها، وما أحرى به أن يصل الرحم، وأن يببها ببلاها، وأن يعرف عظيم شأن الرحم، ويتحرى أسباب وصلها، ويرعى الآداب التي ينبغي مراعاتها مع الأقارب... بأي شيء تكون صلة الرحم؟ صلة الرحم تكون بأمر عديدة؛ فتكون بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، وإنزالهم منازلهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم وضعفتهم، وتعاهدهم بكثرة السؤال والزيارة- كما مر- إما أن يأتي الإنسان إليهم بنفسه، أو يصلهم عبر الرسالة، أو المكالمة الهاتفية. وتكون باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، وإعلاء شأنهم، وصلة القاطع منهم. وتكون- أيضًا- بمشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وتكون بالدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم، والحرص على تأصيل العلاقة وتثبيت دعائمها معهم. وتكون بعبادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم. وأعظم ما تكون به الصلة، أن يحرص المرء على دعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. وهذه الصلة

تستمر إذا كان الرحم سالحة مستقيمة أو مستورة. أما إذا كانت الرحم سافرة أو فاسقة فتكون صلتهن بالعظة والتذكير، وبذل الجهد في ذلك. فإن أعبته الحيلة في هدايتهم - كأن يرى منهم إعراضاً أو عناداً أو استكباراً، أو أن يخاف على نفسه أن يتردى معهم، ويهوي في حضيضهم - فليناً عنهم، وليهجرهم الهجر الجميل، الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه، وليكثر من الدعاء لهم بظهر الغيب، لعل الله أن يهديهم ببركة دعائه. ثم إن صادف منهم غرة، أو سنحت له لدعوتهم أو تذكيرهم فرصة - فليقدم وليعد الكرّة بعد الكرّة. ومما يحسن ذكره في دعوة الأقارب، ونصحهم أن ينبه على مسألة مهمة في هذا الباب، ألا وهي إحسان التعامل مع الأقارب، والحرص على دعوتهم باللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، وألا يدخل معهم في جدال إلا في أضيق الحدود وبالتي هي أحسن؛ لأنه يلحظ على كثير من الدعاة قلة تأثيرهم في أسرهم وقبائلهم. وذلك يرجع إلى عدة أسباب، ومنها أن الدعاة أنفسهم لا يولون هذا الجانب اهتمامهم، ولو بحثوا في السبل المثلى التي تعين على ذلك لأفلحوا في دعوة أقاربهم ولأثروا فيهم أيما تأثير. ولعل من أهم تلك السبل أن يتواضعوا لأقاربهم، وأن يولوهم شيئاً من الاهتمام، والصلة، والاعتبار، ونحو ذلك مما يحببهم بالأقارب، ويحبب الأقارب بهم. كما أن على الأسرة أو

القبیلة أن ترفع من شأن دعائها، وعلمائها، وأن تجلهم، وتصیخ السمع لهم، وأن تحذر كل الحذر من تحقیرهم، والخط من شأنهم. فإذا سارت الأسر على هذا النحو كان حریاً بهم أن یرتقوا في مدارج الكمال، ومراتب الفضیلة... [الأمور المعینة على الصلة]: هناك آداب یجدر بنا سلوكها مع الأقارب، وهناك أمور تعین على صلة الرحم؛ فمن ذلك ما یلي:

1 - التفكر في الآثار المترتبة على الصلة: فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها- من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

2- النظر في عواقب القطیعة: وذلك بتأمل ما تجلبه القطیعة من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، فهذا مما یعین على اجتنابها والبعد عنها.

3- الاستعانة بالله: وذلك بسؤال التوفيق، والإعانة على صلة الأقارب.

4-مقابلة إساءة الأقارب بالإحسان: فهذا مما یبقي على الود ویحفظ ما بین الأقارب من العهد، ویهون على الإنسان ما یلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم...

5- قبول أعذارهم إذا أخطأوا، واعتذروا؛ ومن جمیل ما یذكر في ذلك ما جرى بین یوسف - علیه السلام - وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا،

قبل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل؛ فلم يقرعهم، ولم يوبخهم، بل دعا لهم، وسأل الله لهم المغفرة لهم.

6- الصفح عنهم ونسيان معاييبهم، حتى ولو لم يعتذروا: فهذا مما يدل على كرم النفس، وعلو الهمة؛ فالعاقل اللبيب، يعفو عن أقاربه وينسى عيوبهم، ولا يذكرهم بها...

7- التواضع ولين الجانب: فهذا مما يحبب القرابة بالشخص، ويدنيه من، وصدق مَنْ قال:

(من كان يحلم أن يسود عشيرة ... فعليه بالثقوى ولين الجانب)

(ويغض طرفاً عن مساوي من أسا ... منهم ويحلم عند جهل الصاحب)

8- التغاضي والتغافل: فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما يعين على استبقاء المودة، واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاق المباغضة. ثم إنه دليل على سمو النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة. والتغاضي والتغافل حسن مع جميع الناس، وهو مع الأقارب أولى، وأحرى وأجمل. قال ابن حبان - رحمه الله -: " من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب - كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه

- الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء " قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:
- (أغمض عيني عن أمور كثيرة... وإني على ترك الغموض قدير)
- (وما من عمى أغضى ولكن لربما... تعامى وأغضى المرء وهو بصير)
- (وأسكت عن أشياء لو شئتُ قلتُها... وليس علينا في المقال أمير)
- (أصبر نفسي باجتهادي وطاقتي... وإني بأخلاق الجميع خبير)
- 9- بذل المستطاع لهم: من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال.)
- 10- ترك المنة عليهم، والبعد عن مطالبتهم بالمثل: وقد مر بنا أن الواصل ليس بالمكافئ، فمما يعين على بقاء المودة أن يحرص الإنسان على أن يعطي أقاربه ولا يطالبهم بالمثل، وألا يمن عليهم بعطائه، أو زيارته، أو غير ذلك.
- 11- توطين النفس على الرضا بالقليل من الأقارب: فالعاقل الكريم لا يستوفي حقه كاملاً، بل يرضى بالقليل وبالغفو الذي يأتي من أقاربه، حتى يستميل بذلك قلوبهم، ويبقى على مودته لهم كما قيل:
- (إذا أنت لم تستبق ود صحابة... على دخن أكثرت بث المعايب)

12-مراعاة أحوالهم، وفهم نفسائهم، وإنزالهم منازلهم: فمن الأقارب من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، وتكفيه المكالمات الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه والصلة بالقول فحسب، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالملاحظة الدائمة؛ فمعاملتهم بمقتضى أحوالهم يعين على الصلة، واستبقاء المودة. 13-ترك التكلف مع الأقارب ورفع الحرج عنهم: وهذا مما يغري بالصلة؛ فإذا علم الأقارب عن ذلك الشخص أنه قليل التكلف، وأنه يتسم بالسماحة- حرصوا على زيارته وصلته.

14-تجنب الشدة في العتاب: حتى يألف الأقارب المجيء، ويفرحوا به؛ فالكريم هو الذي يعطي الناس حقوقهم، ويتغاضى عن حقه إذا قصر فيه أحد. ثم إن كان هناك من خطأ يستوجب العتاب فليكن عتاباً لطيفاً رقيقاً. 15-تحمل عتاب الأقارب وحمله على أحسن المحامل: وهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء؛ ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سوءدهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم. فإذا ما عاتبهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم لتقصيرهم في حقه، حملوا ذلك على أحسن المحامل؛ فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، مشفق عليهم، حريص على مجيئهم،

ويشعرونه بذلك، بل يعتذرون له من تقصيرهم؛ حتى تخف حدته وتهدأ ثورته، فبعض الناس يقدر ويحب ويشفق، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب. والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء، ويحملون كلامهم على أحسن المحامل، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك لما أخطأت في حسن نيتك.

16- الاعتدال في المزاح مع الأقارب: مع مراعاة أحوالهم، وتجنب المزاح مع من لا يتحملة.

17- تجنب الخصام وكثرة الملاحاة والجدال العقيم مع الأقارب: فإن كثرة الخصام والملاحاة والجدال تورث البغضاء، والانتصار للنفس، والتشفي من الطرف الآخر، بل يحسن بالمرء مداراة أقاربه، والبعد عن كل ما من شأنه أن يكدر صفو الوداد معهم.

18- المبادرة بالهدية إن حصل خلاف مع الأقارب: فالهدية تجلب المودة، وتكذب سوء الظن، وتستل سخائم القلوب، كما قيل:

(إن الهدية حلوة ... كالسحر تجتذب القلوباً)

(تُدني البعيد من الهوى ... حتى تُصيره قريباً)

(وتُعيدُ مضطغن العداوة ... بعد بغضته حبيباً)

(تنفی السخیمة عن ذوی ... الشحنا وتمتتحق الذنوباً)

19- أن یتحضر الإنسان أن أقاربه لُحمة منه: فلا بد له منهم، ولا فکاک له عنهم، فعزهم عز له، وذلهم ذل له، والعرب تقول: " أنفک منک وإن ذن - ذن: سال مخاطه-، وعیصک- العیص: الشجر الكثير الملتف). منک وإن کان أشبا- أشبا: الأشب شدة التفاف الشج.

-قُلْتُ: (فی مجمع الأمثال) للمیدانی: (51 - أنفک منک وإن کان أذن: الذنین: ما یسیل من الأنف من المَخَاط وقد ذن الرجل یذن ذنیناً فهو أذنُ والمرأة ذنّاء . وهذا المثل مثل قولهم: أنفک منک وإن کان أجدع... 2436 - عیصک منک وإن کان أشبا: العیص: الجماعة من السدر تجتمع فی مکان واحد والأشب: شدة التفاف الشجر حتی لا مجاز فیہ. یقال: عیصَة أشبَة وإنما صار الأشب عیبا لأنه یذهب بقوة الأصول وربما یوضع الأشب موضع المدح یراد به كثرة العدد ووفور العدد كما قال: ولِعَبْدِ القیس عیصُ أشبُ. ویجوز أن یرید به الدم أي كثرة لا غناء عندها ولا نفع فیها قال أبو عبید فی معنی المثل: أي منک أصلک وإن کان أقاربک علی خلاف ما ترید فاصبر علیهم فإنه لا بدّ منهم .)-

20- أن يعلم أن معاداة الأقارب شر وبلاء: فالرابع فيها خاسر، والمنتصر

مهزوم...

21- الحرص التام على تذكر الأقارب في المناسبات والولائم: ومن الطرق المجدية في ذلك أن يسجل الإنسان أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم في ورقة، ثم يحفظها عنده، وإذا أراد دعوتهم فتح الورقة حتى يستحضرهم جميعاً، ويتصل بهم إما بالذهاب إليهم، أو عبر الهاتف أو غير ذلك. ثم إن نسي واحداً منهم فليذهب إليه، وليعتذر منه، وليسع في رضاه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

22- الحرص على إصلاح ذات البين: فمما ينبغي على الأقارب - وعلى الأخص من وهبهم الله محبة في النفوس - أن يبادروا إلى إصلاح ذات البين إذا فسدت، وألا يتوانوا في ذلك؛ لأنها إذا لم تصلح ويبادر في رأب صدعها فإن شرها سيستطير، وبلاءها سيكتوي بناره الجميع.

23- تعجيل قسمة الميراث: حتى يأخذ كل واحد نصيبه، ولئلا تكثر الخصومات والمطالبات، ولأجل أن تكون العلاقة بين الأقارب خالصة صافية من المكدرات.

24- الحرص على الوثام والاتفاق حال الشراكة: فإذا اشترك الأقارب في شراكة ما فليحرصوا كل الحرص على الوثام التام، والاتفاق في كل الأمور،

وأن تسود بينهم روح الإيثار والمودة، والشورى والرحمة، والصدق والأمانة، وأن يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يعرف كل طرف ماله وما عليه. كما يحسن بهم أن يناقشوا المشكلات بمنتهى الوضوح والصراحة، وأن يحرصوا على التفاني، والإخلاص في العمل، وأن يتغاضى كل منهم عن صاحبه، ويجمال بهم - أيضا أن يكتبوا ما يتفقون عليه. فإذا ساروا على تلك الطريقة حلت فيهم الرحمة، وسادت بينهم المودة، ونزلت عليهم بركات الشركة.

25- الاجتماعات الدورية: سواء كانت شهرية أو سنوية أو غير ذلك، فهذه الاجتماعات فيها خير كثير؛ ففيها التعارف، والتواصل، والتواصي، وغير ذلك خصوصا إذا كان يديرها أولو العلم، والحصافة.

26- صندوق القرابة: الذي تُجمع فيه تبرعات الأقارب واشتراكاتهم، ويشرف عليه بعض الأفراد، فإذا ما احتاج أحد من الأسرة مالا لزواج، أو نازلة، أو غير ذلك بادروا إلى دراسة حاله، وساعده ورفدوه؛ فهذا مما يولد المحبة، وينمي المودة.

27- دليل الأقارب: فيحسن بالأقارب أن يقوم بعضهم بوضع دليل خاص، يحتوي على أرقام هواتف القرابة ثم يطبع ويوزع على جميع الأقارب، فهذا

الصنيع يعين على الصلة، ويذكر المرء بأقاربه إذا أراد السلام عليهم، أو دعوتهم للمناسبات والولائم.

28- الحذر من إحراج الأقارب: وذلك بالبعد عن كل سبب يوصل إلى ذلك، فيبتعد الإنسان عن الإثقال عليهم، وينأى عن تحميلهم ما لا يطيقون، ومما يدخل في هذا أن يراعي القرابة أحوال الوجهاء، وذوي اليسار في الأسرة فلا يكلفوهم ما يوقعهم في الحرج، ولا يلوموهم إذا قصرُوا في بعض الأمور مما لا طاقة لهم بها؛ فبعض الأسر تكلف وجهاءها وأكابرها ما لا يطيقون، ولا تعذرهم عند أي تقصير.

29- الشورى بين الأقارب: فيحسن بالأقارب أن يكون لهم مجلس شورى، أو أن يكون لهم رؤوس يرجعون إليهم في الملفات وما ينوب الأسرة من النوازل؛ حتى يخرجوا برأي موحد، أو مناسب يرضي الله، ويوافق الحكمة والصواب. ويحسن بأولئك الرؤوس أن يكونوا من ذوي الرأي والسداد، والحلم، والبصيرة، وبعد النظر.

30- وأخيراً: يراعى في ذلك كله أن تكون الصلة قرابة الله: خالصة لوجهه وحده لا شريك له، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى، لا يقصد بها حمية الجاهلية ولا عيبتها.)

(خ: 2) (ع) 3- دقائق مباركة في رحاب واصلى الأرحام:

1- في (صحيح البخارى) الأحاديث (3 - 4953 - 6982) ولفظ آخرها: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] - حَتَّى بَلَغَ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5] " فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرِهِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: «يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ

خَدِجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ
 عَمِّ خَدِجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ
 الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا
 قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِجَةُ: أَيِ ابْنِ عَمِّ، اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنُ
 أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا
 النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ
 قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ» فَقَالَ وَرَقَةُ:
 نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ
 نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا بَلَغْنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ
 شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ،
 فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ،
 فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ
 جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام: 96]:
 «ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حديث 252 -
 (160) بلفظ: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ

سَرِحَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي
عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا
قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا
الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ
إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي أُولَاتِ
الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِدَلِكِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ
لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ:
«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي،
فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى
بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي،
فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 2]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفَ
بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى
ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي؟» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ:
«لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ

اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهُ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَحِيَّ أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ عَمِّ، اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُذْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»

2- في (صحيح البخاري) الحديثين (2297-3950) ولفظ ثانيهما: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الرُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوَّجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوِي قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمَرَّ عَلَيْنَا يَوْمَ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفِي النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتَلَيْ

المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْعِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ أَرْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَدِكَ، فَارْجِعْ وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرَجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَلَمْ تُكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغْنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغْنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقِذُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤَهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْرَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغْنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ،

فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجْرُنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَأَبْتَنِي مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَاهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَصِرَ عَلَيَّ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَّ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلُّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَفْتَصِرَ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أُرِدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ، وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ» وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ مِنْ هَاجِرِ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةً مَنْ كَانَ هَاجِرًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَّ السَّمُرُ وَهُوَ الْخَبْطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شَهَابٍ، قَالَ: عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ:

فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَفَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاِحَلَتِي هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِالْثَمَنِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَرْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النُّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفْ لَقْنًا، فَيُدَلِّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظُّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ عَنَمٍ،

فیریحها علیہما حین تذهب ساعة من العشاء، فبیبتان فی رسل، وهو لبن منحتہما ورصیفہما، حتی ینعق بہا عامر بن فہیرة بغلس، یفعل ذلك فی کل لیلة من تلك اللیالی الثلاث، واستأجر رسول الله صلی الله علیہ وسلم وأبو بكر رجلاً من بنی الدیل، وهو من بنی عبد بن عدی، هادیا خریة، والخریة الماهر بالهدایة، قد غمس حلقاً فی آل العاص بن وائل السہمی، وهو علی دین کفار قریش، فأمناه فدفعاً إلیه راحلتیہما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث لیال، براحلتیہما صبح ثلاث، وانطلق معہما عامر بن فہیرة، والدلیل، فأخذ بہم طریق السواحل. -قلت: (ذكرت هذا الحدیث لما فیہ من أوصاف لأبی بكر تشبه أوصاف النبی -صلى الله عليه وسلم-) -

3- وفی (حیة الصحابة) ل/ الكاندهلوی: (أخرج البزار عن ابن عباس رضی الله عنہما قال: أصابت قریشاً أزمة شدیدة حتى أكلوا الرمة، ولم یكن من قریش أحدٌ أیسر من رسول الله صلی الله علیہ وسلم والعباس بن عبد المطلب، فقال رسول الله صلی الله علیہ وسلم للعباس: «یا عم إن أخاك أبا طالب قد علمت كثرة عیاله، وقد أصاب قریشاً ما ترى، فاذهب بنا إلیه حتى نحمل عنه بعض عیاله» فانطلقا إلیه فقالا: یا أبا طالب إن حال قومك ما قد ترى، ونحن نعلم أنك رجلٌ منهم، وقد جئنا لنحمل عنك بعض عیالك، فقال

أبو طالب: دعا لي عقيلًا، وافعلًا ما أحببتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً - رضي الله عنه - وأخذ العباس جعفرًا - رضي الله عنه - فلم يزلوا معهما حتى استغنيا، قال سليمان بن داود: ولم يزل جعفر مع العباس حتى يخرج إلى أرض الحبشة مهاجرًا. قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم. (4- عن أنس - رضي الله عنه: قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرِحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وَإِنْ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَالٌ رَابِعٌ»، رُوِيَ فِي الصَّحِيحِينَ «رَابِعٌ» وَ«رَابِعٌ» بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِالْيَاءِ الْمُثْنَاةِ، أَي:

رَاحَ عَلَيْكَ نَفْعُهُ، وَ«بَيْرَحَاءُ»: حَديقَةُ نَخْلٍ، وَرَوَى بِكسْرِ البَاءِ

وَفَتَحِهَا (رياض) حديث (320) وسبق برقم (297)

5- وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها: أَنهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً

وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا

فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ

فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالَكَ كَانَ أَعْظَمَ

لَأَجْرِكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (رياض) حديث (324)

6- وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنهما، قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ

حُلِيِّكُنَّ»، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفٌ

ذَاتِ الْيَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ - فَأْتِهِ،

فَأَسْأَلُهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِي عَنِّي، وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

بَلِ انْتَبِهِي أَنْتِ، فَاِنْطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَاجَتِي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ

أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ الْمَهَابَةَ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ: أَتُجْزِي الصَّدَقَةَ عَنْهُمَا

عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَىٰ أَيَّتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟، وَلَا تُخْبِرُهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخَلَ بِلَالٌ
 عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟»، قَالَ: امْرَأَةٌ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ». مُتَّفَقٌ
 عَلَيْهِ (رياض) حديث (326)

7- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه-: أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً
 أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ
 عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَيْسَ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ
 اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ» رواه مُسْلِمٌ. «وَتُسِفُّهُمْ» بضم التاء
 وكسر السين المهملة وتشديد الفاء، «وَالْمَلُّ» بفتح الميم، وتشديد اللام وهو
 الرَّمَادُ الحَارُّ: أَي كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهُهُ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ
 بما يَلْحَقُ أَكْلَ الرَّمَادِ الحَارِّ مِنَ الأَلْمِ، وَلَا شَيْءَ عَلَىٰ هَذَا المُحْسِنِ إِلَيْهِمْ، لَكِنْ
 يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ بِنَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّهِ، وَإِدْخَالِهِمُ الأَذَى عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 (رياض) حديث (318)

8- وفي (نزهة المجالس) للصفوري: (حكاية: دخل رجلان عند داود عليه السلام فأخبره ملك الموت أن أحدهما يموت بعد سبعة أيام. ثم رآه داود بعد مدة فسأل ملك الموت عنه، فقال: إنه لما خرج من عندك وصل رحمه؛ فزاد الله في عمره عشرين عامًا. قال بعضهم: معنى الزيادة في العمل يُكتب له ثوابه بعد الموت. وقال الضحاك: إنَّ العبد يبقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه، فتصير ثلاثين سنة، وأيضًا يبقى من عمره ثلاثين سنة فيقطع رحمه فتصير ثلاثة أيام.)

خطب شهر شعبان:

الخطبة الأولى: (تحويل القبلة):

(خ: 1) (ع: 1- سردُ الحَدَثِ: في (البداية والنهاية): (وَيُقَالُ: صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ فِي شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ... قَالَ الْجُمْهُورُ الْأَعْظَمُ: إِنَّمَا صُرِفَتْ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ.) وفي (التفسير الوسيط): ثم تحدث القرآن الكريم بعد ذلك عن قصة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وأورد الشبهات التي أثارها المشركون وأهل الكتاب-وعلى رأسهم اليهود-حول هذه المسألة، ورد عليها بما يدحضها ويبطلها. ونظراً لأهمية هذا الموضوع فسيكون كلامنا عنه على النحو التالي:

أولاً: كيف كان المسلمون يتجهون في صلاتهم قبل تحويل القبلة إلى المسجد الحرام؟

ثانياً: ما الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحويل القبلة إلى المسجد الحرام؟

ثالثاً: كيف مهد القرآن الكريم لهذا التحويل؟

رابعاً: تفسير الآيات الكريمة التي نزلت بشأن القبلة؟

خامساً: لماذا أطال القرآن الكريم حديثه عن تحويل القبلة مع أنها من الأمور الفرعية؟ وإليك الإجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة:

أولاً: فُرِضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ليلة الإسراء والمعراج؛ ويرى بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل في صلاته - وهو بمكة - بيت المقدس إلا أنه لم يكن يستدير الكعبة، بل كان يجعلها بينه وبين بيت المقدس، وذلك بأن يقف بين الركنين الأسود واليماني. ويرى بعضهم أنه كان يستقبل في صلاته وهو بمكة المسجد الحرام. وهذا الرأي هو الذي نرجحه، لأن المسجد الحرام هو قبلة أبيه إبراهيم، ولأنه صلى الله عليه وسلم عربي، وظهر بين قومه العرب، ولا شك أن اعتزازهم بالمسجد الحرام، أشد من اعتزازهم بأي مسجد آخر، إذن فالمصلحة والحكمة تقضيان بأن يستقبل المسلمون في صلاتهم بمكة الكعبة المشرفة. ومهما يكن من خلاف بين العلماء في الجهة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبلها في صلاته وهو بمكة، فإن الأمر الذي لا خلاف فيه، أنه بعد الهجرة إلى المدينة لم يستقبل في صلاته سوى بيت المقدس بأمر من الله تعالى - وقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهدُ بالله لقد صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم جهة مكة فداروا كماهم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس فلما ولى وجهه قِبَلَ البيتِ، أنكروا ذلك. ومنها ما أخرجه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "بينما الناس بقاء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة" وبذلك نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوجه في صلاته وهو بالمدينة إلى بيت المقدس، قبل أن يأمره الله تعالى بالتحويل إلى المسجد الحرام.

ثانياً: الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحول المسلمين في صلاتهم إلى المسجد الحرام: قلنا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة استقبل في صلاته بيت المقدس بأمرٍ من الله - تعالى - تأليفاً لقلوب اليهود لأن بيت المقدس قبلتهم، ورمز وحدتهم، وقد فرحوا لصلاة الرسول

صلى الله عليه وسلم والمسلمين إليه، وكان أمل النبي أن يلبوا دعوته، وأن يسارعوا إلى الدخول في الإسلام، ولكنهم عموا وسموا، وأخذوا يشيعون بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبع قبلتهم، وعمما قريب سيتبع ملتهم، واعتبروا اتجاه المسلمين في صلاتهم إلى بيت المقدس نوعاً من اقتباس الهدى منهم، فتأثر الرسول صلى الله عليه وسلم من موقفهم الجحودي، وانبثقت في نفسه أمنية التحول إلى الكعبة، وأكثر من التضرع والابتهاال إلى الله كي يوجهه إلى قبلة أبيه إبراهيم. وقد أجاب الله تعالى رجاء نبيه صلى الله عليه وسلم فولاه القبلة التي يرضاها، وفرح المؤمنون لذلك لأن في توجيههم إلى البيت الحرام، تأليفاً لقلوبهم، فهو مثابتهم ومركز تجمعهم، وموطن أمنهم ومهوى أفئدتهم، وجامع وحدتهم وقد استقبلوا هذا التحويل بالسمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. أما اليهود ومن على شاكلتهم ممن في قلوبهم مرض فقد استقبلوه بالاستهزاء والجحود، وإثارة الشبهات، لبلبلة الأفكار، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم. ومما قاله المشركون في ذلك: إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تحير في دينه، وبوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا. ومما قاله المنافقون: ما بال المسلمين كانوا على قبلة ثم تركوها؟ ومما قاله اليهود - الذين تولوا كبر

التشکیک فی صحة التوجه إلی البیت الحرام - : إن القبلة الأولى - وهي بیت المقدس - إن كانت علی حق، فقد ترکتم أیها المسلمون الحق، وإن كانت علی باطل، فعبادتکم السابقة باطلة، ولو کان محمد صلی الله علیه وسلم نبیاً حقاً، ما ترک قبلة الأنبیاء قبله، وتحول إلی غیرها، وما فعل الیوم شیئاً وخالفه غداً. ومقصدهم الأول من وراء هذه المقالات المرذلة، الطعن فی شریعة الإسلام، وفی نبوة النبی علیه الصلاة والسلام.

ثالثاً: ولكن القرآن الکریم علیهم خطتهم، وأحبط مکرمهم، فأخبر الله - تعالی - نبیه صلی الله علیه وسلم بما سيقوله هؤلاء السفهاء جميعاً قبل أن یصدر عنهم، ومهد لتحويل القبلة بما یطمئن النفوس ویثبت الإیمان فی القلوب ویهیئ الأفتدة لتقبل هذا الأمر العظیم، فذكر الله فی الآیات السابقة علی التحويل أنه إذا نسخ آية أتى بما هو خیر منها أو مثلها، لأنه القادر علی کل شیء، المالك للسموات والأرض تصرفاً وتدبیراً، وهو أعلم بما یتعبد به عباده وما فیہ الخیر لهم. ثم ذکر سبحانه بعد ذلك أن له المشرق والمغرب. ففی أي مکان توجه المصلي فثم وجه الله، ثم نبه رسوله صلی الله علیه وسلم بأنه لن یرضی عنه الیهود ولا النصراری حتی یتبع ملتهم. إشارة إلی أن المصلحة فی التوجه إلی بیت المقدس قد انتهت وان الاستمرار علی ذلك لن یکبح جماح

نفوس لم تصبغ بهدایة الله وتوفیقه. ثم فصل القرآن بعد ذلك الحدیث عن البيت الحرام وتعظیمه وشرفه فذكر أن الله تعالى قد جعله مثابة ومرجعاً للحجاج والعمار. یتفرقون عنه ثم یتوبون إلیه علی تعاقب الأعوام من جمیع الأفطار وكلما ازدادوا له زیارة زاد شوقهم إلیه، وجعله أيضاً حرماً آمناً لهم بینما یتخطف الناس من حولهم. وأخبر سبحانه أنه قد عهد فی بنائه إلی نبیین کریمین هما سیدنا إبراهیم وابنه إسماعیل - علیهما السلام - وأمرهما بتطهیره من کل رجس للطائفین والعاکفین والركع السجود. وقد كانت الآیات الواردة فی شأن المسجد الحرام قبیل الأمر بتحویل القبلة کفيلة بإعطاء صورة وافیه لكل عاقل، بأن بیتاً له هذه القداسة جدير بأن یتكون قبله للناس فی صلاتهم، ولكن اليهود ومن فی قلوبهم مرض، لم یتنبروا إلیه عن الحق لشبهته فی نفوسهم ینقصها الدلیل، وإنما کان إعراضهم مرجعه العناد والمکابرة، وكلاهما یعمى ویصم، فلا غرابة أن نطقوا کفراً، ولاکت ألسنتهم قبلاً وسفهاً. إلا أن ما قالوه من شبهات حول تحویل القبلة، لم یتجد آذاناً صاغیة من المؤمنین، لأن الله تعالى قد مهد للتحویل كما قلنا بما یطمئن النفوس، ولقن نبیه صلی الله علیه وسلم الجواب علی شبهاتهم قبل أن ینطقوا بها لیتكون ذلك أقطع لحجتهم، كما قالوا فی الأمثال: (قبل الرمی یراش السهم).

رابعاً: تفسير الآيات الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة إلى البيت الحرام: لقن فيها المؤمنين الإجابة على معارضاة اليهود وغيرهم، ونوه فيها بشأن الأمة الإسلامية، وبشرها بإجابة رجاء نبیها صلى الله عليه وسلم إذ ولاه القبلة التي يرضاها، وأراحه من التطلع إلى اهتداء اليهود وغيرهم من الجاحدين. ولو جاءهم بكل آية، لأن إعراضهم عن دعوته ليس عن شبهة يزيلها الدليل، ولكنه إعراض سببه الجحود والحقء، والجاحء والحاقد لا ينفع معهما دليل أو برهان. وقد كرر القرآن الكريم الأمر بالتوجه إلى الكعبة ثلاث مرات في ثلاث آيات، وعلق بكل أمر فائدة جديدة تناسبه، لأن أهمية هذا الحادث تستلزم تكراراً في الخطاب ليرسخ في النفوس، ويستقر في المشاعر والقلوب.)

(ع) 2- تسجيل القرآن لهذا الحدث (مع التعليق لمعرفة الحكم والفوائد): قال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُكْتُمِينَ. وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة:

142 - 150] (في التفسير الوسيط) - وهذا النصُّ تكملة للنصِّ السابق ذكره

عاليه:- (هذا، وبعد تلك المقدمة الموجزة لما اشتملت عليه آيات تحويل القبلة من مقاصد، نحب أن نتعرض لتفسيرها بالتفصيل، فنقول: تضمنت هذه

الآیات الکریمة إعلام النبی صلی الله علیه وسلّم والمؤمنین أن فریقاً من الناس الذین خفت أحلامهم، وضعفت عقولهم، وعدلوا عما ینفعهم إلی ما یضرهم، سیقولون علی سبیل الإنکار عند تحویل القبلة إلی المسجد الحرام، ما صرفهم عن القبلة التی كانوا علیها، وهی بیت المقدس. قال صاحب الکشاف: «فإن قلت، أی فائدة فی الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المکره أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع، لما یتقدمه من توطین النفس، وأن الجواب العتید قبل الحاجة إلیه أقطع للخصم وأرد لشغبه». والمراد بالسفهاء الیهود الذین استنکروا تحویل القبلة، ومن لف لفهم من المنافقین ومشرکی العرب، وإنما سماهم الله تعالی سفهاء لأنهم سفهوا الحق، وجحدوه، وأنکروا نبوة النبی صلی الله علیه وسلّم. مع علمهم بصدقه فی رسالته. وقد صرح البخاری- رحمه الله- بأن المراد بالسفهاء هم الیهود، فقد روى عن البراء بن عازب قال: کان رسول الله صلی الله علیه وسلّم یحب أن یتوجه إلی الکعبة، فأنزل الله تعالی: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} فتوجه نحو الکعبة، وقال السفهاء من الناس- وهم الیهود- {ما ولاهم عن قبلتهم التی كانوا علیها؟} ثم لقن الله تعالی نبیه صلی الله علیه وسلّم الجواب الذی یُخرس به السنة المعترضین من الیهود وغیرهم،

فقال تعالى: **{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** أى: قل لهم يا محمد- إذا اعترضوا على التحويل-: إن الأمكنة كلها لله ملكاً وتصرفاً، وهي بالنسبة إليه متساوية، وله أن يخص بعضها بحكم دون بعض، فإذا أمرنا باستقبال جهة في الصلاة فلحكمة اقتضت الأمر، وما على الناس إلا أن يمتثلوا أمره، والمؤمنون ما اتخذوا الكعبة قبلة لهم إلا امتثالاً لأمر ربهم، لا ترجيحاً لبعض الجهات من تلقاء أنفسهم فالله هو الذي يهدى من يشاء هدايته، إلى السبيل الحق، فيوجه إلى بيت المقدس مدة حيث اقتضت حكمته ذلك، ثم إلى الكعبة، حيث يعلم المصلحة فيما أمر به.- ثم وصف الله تعالى الأمة الإسلامية، بأنها أمة خيرة عادلة مزكاة بالعلم والعمل فقال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}** والمعنى: ومثل ما جعلنا قبلكم- أيها المسلمون- وسطاً لأنها البيت الحرام الذي هو المثابة للناس، والأمن لهم، جعلناكم- أيضاً- أُمَّةً وَسَطًا أى: خياراً عُدولاً بين الأمم ليتحقق التناسب بينكم وبين القبلة التي تتوجهون إليها في صلواتكم، تشهدون على الأمم السابقة بأن أنبياءهم قد بلغوهم الرسالة، ونصحوهم بما ينفعهم، ولكي يشهد الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم بأنكم صدقتموه وآمنتم به. أخرج البخاري عن أبي

سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقال له: هل بلغت ما أرسلت به؟ فيقول: نعم، فيقال: لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله جل ذكره {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} ثم بين الله تعالى الحكمة في تحويل القبلة إلى الكعبة فقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ} أي: وما شرعنا التوجه إلى القبلة التي كنت عليها قبل وقتك هذا، وهي بيت المقدس، إلا لنعامل الناس معاملة الممتحن المختبر، فنعلم من يتبع الرسول ويأتمر بأوامره في كل حال ممن لم يدخل الدين في قرارة نفسه، وإنما دخل فيه على حرف، بحيث يرتد عنه لأقل شبهة، وأدنى ملابسة كما حصل ذلك من ضعف الإيمان عند تحويل القبلة إلى الكعبة والله- تعالى- عالم بكل شيء، ولكنه شاء أن يكون معلومه الغيبي مشاهدا في العيان، إذ تعلق الشيء واقعا في العيان، هو الذي تقوم عليه الحجة، ويترتب عليه الثواب والعقاب. ولذا قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف قال: لنعلم ولم يزل عالما بذلك؟ قلت: معناه لنعلمه علما يتعلق

به الجزاء، وهو أن يعلمه موجودًا حاصلًا، ونحوه {وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} وقيل: ليعلم رسول الله والمؤمنون، وإنما أسند علمهم إلى ذاته، لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده، وقيل معناه. ليميز التابع من الناكص كما قال تعالى: {لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم يقع التمييز به. ثم بين الله تعالى آثار تحويل القبلة في نفوس المؤمنين وغيرهم فقال تعالى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} أي: إنما شرعنا لك- يا محمد- القبلة أولًا إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك في كل حالة ممن لا يطيعك، وإن كانت هذه الفعلة- وهي تحويلنا لك من بيت المقدس إلى الكعبة- لكبيرة وشاقة، إلا على الذين خلق الله الهداية في قلوبهم فتلقوا أوامرنا بالخضوع والإذعان، وقالوا سمعنا وأطعنا كل من عند ربنا. وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ...} {بشارة عظيمة للمؤمنين، وجواب لما جاشت به الصدور، وتكذيب لما ادعاه اليهود من أن عبادة المؤمنين في الفترة التي سبقت تحويل القبلة إلى الكعبة ضائعة وباطلة. فقد أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب- رضي الله عنه- أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما تقول فيهم، فأنزل الله تعالى {وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ {وقال ابن عباس: كان رجال من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم: أسعد بن زرارة، وأبو أمامة ... وأناس آخرون فجاءت عشائهم فقالوا: يا رسول الله: مات إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا، فأنزل الله تعالى **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** {وروى أن حيي بن أخطب وجماعة من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى لقد تحولتم عنه، وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مسافة، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون: إنما الهدى فيما أمر الله تعالى، والضلالة فيما نهى الله عنه، فقالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ - وكان قد مات من المسلمين جماعة قبل تحويل القبلة- فانطلق عشائهم إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقالوا: يا رسول الله: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ}** {والمعنى: وما كان الله تعالى ليذهب صلاتكم وأعمالكم الصالحة التي قمتم بها خلال توجهكم إلى بيت المقدس؛ لأنه سبحانه بعباده رءوف رحيم، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً. ثم خاطب الله تعالى - نبيه صَلَّى الله

علیه وسلّم- ووعده بأن القبلة التي سیؤمر بالتوجه إليها هي التي یحرص علیها ویرغب فیها. قال الإمام ابن کثیر: قال علی بن أبی طلحة قال ابن عباس: کان أول ما نسخ فی القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلّى الله علیه وسلّم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله تعالى أن یتقبل بیت المقدس ففرحت اليهود فاستقبله رسول الله صلّى الله علیه وسلّم بضعة عشر شهرًا، وكان یحب قبلة أبیه إبراهیم، فكان یدعو الله، وینظر إلى السماء، فأنزل الله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} والمعنى: قد شاهدنا- یا محمد- وعلمنا تردد وجهك، وتسريح نظرك إلى السماء تطلعًا إلى نزول الوحي عليك، وتوقعًا لما ألقى في روعك من تحويل القبلة إلى الكعبة سعياً منك وراء استمالة العرب إلى الدخول في أحضان الإسلام، ومخالفة اليهود الذين كانوا یقولون: إنه یخالفنا في ديننا ویتبع قبلتنا، وها نحن قد أجبناك إلى ما طلبت وأعطيناك ما سألت، ووجهناك إلى قبلة تحبها وتمیل إليها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. أي: فاصرف وجهك وحوله نحو المسجد الحرام وجهته. ثم عمم القرآن الكريم هذا التشريع على الأمة الإسلامية جميعها، فقال تعالى: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا

وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ {أى: وحيثما كنتم وأينما وجدتم في بر أو بحر فولوا وجوهكم لتقاء المسجد الحرام ونحوه. وقد جاءت هذه الجملة موجهة إلى الأمة قاطبة لدفع توهم أن يكون الخطاب في الأول خاصا بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأنه لما كان تحويل القبلة أمرا له خطره، خصهم بخطاب مفرد ليكون ذلك أكد وأبلغ. فالآية الكريمة فيها أمر لكل مسلم أن يجعل الكعبة قبلة له، فيتوجه بصدرة إلى ناحيتها وجهتها حال تأديته الصلاة لربه، سواء أكان المصلّى بالمدينة أم بمكة أو بغيرهما. وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة، ما يؤذن بكفالة مراعاة جهتها ولذلك لم يقع خلاف بين العلماء في أن الكعبة قبلة كل أفق. وأن من عاينها فرض عليه استقبالها ومن غاب عنها فعليه أن يستقبل جهتها. فإن خفيت عليه تحرى جهتها ما استطاع. وقد سقنا في مطلع هذا البحث بعض الأحاديث الصحيحة التي صرحت بأن الصحابة عند ما بلغهم أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بالتحويل إلى الكعبة استداروا إليها وهم في صلاتهم فجعلوها قبلتهم. ومما يشهد بقوة إيمانهم وعظيم امتثالهم لشرع الله ما جاء عن نويلة بنت مسلم أنها قالت: «صلينا الظهر - أو العصر - في مسجد بنى حارثة، فاستقبلنا مسجد إيلياء - أى: بيت المقدس - فصلينا ركعتين، ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد

استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال. والرجال مكان النساء. فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام. فحدثني رجل من بنى حارثة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أولئك رجال يؤمنون بالغيب». ثم بينت الآية الكريمة أن أهل الكتاب يعلمون أن التحويل إلى الكعبة هو الحق الذي لا ريب فيه فقال تعالى: **{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}** أي: وإن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة، وانصرفكم عن بيت المقدس، ليعلمون أن استقبالكم الكعبة حق لأن الذي أخبر به قد قامت الآيات البينات عندهم على أنه رسول من عند الله، أو أنه يصلي إلى القبلتين، وما وقفوا من تحويل القبلة هذا الموقف إلا لعنادهم، وما الله بغافل عن أعمالهم، بل هو محيط بها وسيحاسبهم عليها يوم القيامة حسابا عسيرا». - ثم أخبر الله تعالى عن كفر اليهود وعنادهم، وأنهم لن يتبعوا الحق ولو جاءهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل آية. فقال تعالى: **{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}** والمعنى: ولئن جئت - يا محمد - اليهود ومن على طريقتهم في الكفر بكل برهان وحجة، بأن

الحق هو ما جئتهم به، من فرض التحول من قبلة بيت المقدس في الصلاة إلى قبلة المسجد الحرام، ما صدقوا به، لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة يزيلها الدليل، وإنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من أنك على الحق المبين. وما أنت - يا محمد - بتابع قبلتهم، لأنك على الهدى وهم على الضلال. وفي هذه الجملة الكريمة حسم لأطماعهم، وتقرير لحقية القبلة إلى الكعبة، بعد أن أشاعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لو ثبت على قبلتهم لكانوا يرجون أنه النبي المنتظر، فقطع القرآن الكريم آمالهم في رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبلتهم، وأخبر بأنه ليس يتابع لها.

ثم ذكر القرآن الكريم اختلاف أهل الكتاب في القبلة، وأن كل طائفة منهم لا تتبع قبلة الطائفة الأخرى فقال تعالى: **{وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ} أي:** ما اليهود بمتبعين لقبلة النصارى ولا النصارى بمتبعين لقبلة اليهود، فهم مع اتفاقهم على مخالفتك، مختلفون في باطلهم وذلك لأن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس. ثم ساق القرآن الكريم بعد ذلك تحذيراً للأمة كلها من اتباع أهل الكتاب، وجاء هذا التحذير في شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: **{وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} أي:** لئن اتبعت يا محمد قبلتهم، على

سبیل الفرض، والتقدیر من بعد وضوح البرهان وإعلامی إیاک بإقامتهم علی الباطل، إنك إذا لمن الظالمین لأنفسهم، المخالفین لأمری. فالآیة الکریمة: وعید وتحذیر للامة الإسلامیة من اتباع آراء اليهود المنبعثة عن الهوی والشهوة، وسیق الوعید والتحذیر فی صورة الخطاب للرسول صلی الله علیه وسلم الذی لا یتوقع منه أن یتبع أهواء أهل الكتاب، تأکیداً للوعید والتحذیر، فكأنه یقول: لو اتبع أهواءهم أفضل الخلیقة، وأعلاهم منزلة عندی، لجازبته مجازاة الظالمین، وأحق بهذه المجازاة وأولى من كانوا دونه فی الفضل وعلو المنزلة إن اتبعوا أهواء المبطلین وهم اليهود ومن كان علی شاكلتهم من المشركین. قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: کیف قال: وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان، لليهود قبلة وللنصارى قبلة؟ قلت: كلتا القبلتین باطلة، مخالفة لقبلة الحق، فكانتا بحكم الاتحاد فی البطلان قبلة واحدة» ثم بین القرآن الکریم أن أهل الكتاب یعرفون صدق الرسول صلی الله علیه وسلم معرفة لا یخالطها شك فقال تعالی: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} أى: أن أحبار اليهود وعلماء النصارى یعرفون صدق رسالة النبی صلی الله علیه وسلم ویعرفون أن توجهه إلى البیت الحرام حق، كما یعرفون أبناءهم فهو تشبیه للمعرفة العقلیة الحاصلة من مطالعة الكتب

السماویة، بالمعرفة الحسیة فی أن كلا منهما یقین لا اشتباه فیہ. قال الإمام ابن کثیر: «یخبر الله أن علماء أهل الكتاب یعرفون صحة ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما یعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل فی صحة الشیء بهذا كما جاء فی الحدیث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجل معه صبی صغیر «ابنك هذا»؟ قال: نعم یا رسول الله أشهد به، قال: «أما إنه لا یخفی عليك ولا تخفی علیه» ویروی عن عمر أنه قال «لعبد الله بن سلام» أتعرف محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين فی الأرض بنعته، وإنی لا أدری ما كان من أم ولدی، فقبل عمر- رضي الله عنه- رأسه». أی: وإن طائفة من أهل الكتاب مع ذلك التحقیق والإیقان العلمی من أنك على حق فی كل شئونك لیتمادون فی إخفائه وجحوده، وهم یعلمون ما یترتب على ذلك الکتمان من سوء المصیر لهم فی الدنیا والآخرة- ثم ثبت الله تعالى نبیه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنین، فأخبرهم بأن ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق الذي لا شك فیہ. أی: اعلم- یا محمد- أن ما أوحى إلیك وأمرت به من التوجه إلى المسجد الحرام. هو الحق الذي جاءك من ربك، وأن ما یقوله اليهود وغیرهم من المشركین هو الباطل الذي لا شك فیہ، فلا تكونن

من الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم به، أو في الحق الذي جاءك من ربك وهو ما أنت عليه في جميع أحوالك ومن بينها التوجه إلى المسجد الحرام. والشك غير متوقع من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال المفسرون: إن النهي موجه إلى الأمة في شخص نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ كان فيها حديثو عهد بكفر يخشى عليهم أن يفتنوا بزخرف من القول يروج به أهل الكتاب شبهة تعلق بأذهان من لم يرسخ الإيمان في قلوبهم. وقد وضع ابن جرير - رحمه الله - هذا المعنى بقوله: فإن قال لنا قائل: «أو كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاكاً في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله - تعالى - حتى نُهي عن شك في ذلك فقليل له: {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} قيل: ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به، والمراد به غيره، كما قال جل ثناؤه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} ثم قال: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنهي له. والمراد به أصحابه المؤمنون به. - ثم قال تعالى: {لِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} أي: ولكل أهل ملة قبله يتجهون إليها في عباداتهم، فسارعوا أنتم جهدكم إلى ما اختاره الله لكم من الأعمال

التي تكسبكم سعادة الدارين، والتي من جملتها التوجه إلى البيت الحرام. ثم ساق الله تعالى وعدًا لمن يطيع أمره، ووعدًا لمن ينصرف عن الخير. فقال تعالى: **{ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا }** أي: في أي بقعة يدرككم الأجل، وتموتون فيها، يجمعكم الله تعالى يوم القيامة. لتقفوا بين يديه للحساب، لأنه سبحانه قادر على جمعكم بعد مماتكم من قبوركم حيث كنتم، وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم، كما أنه - سبحانه - قدير على كل شيء، ومادام الأمر كذلك، فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم، وحافظوا على قبلكم، حتى لا تضلوا كما ضل اليهود ومن على طريقتهم في الكفر والعناد. ثم أكد سبحانه حكم التحويل، وبين عدم تفاوت الأمر باستقبال المسجد الحرام في حالتي السفر أو الحضر. فقال تعالى: **{ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... }** أي: ومن أي موضع خرجت وإلى أي مكان آخر سرت، فول يا محمد وجهك عند صلاتك إلى المسجد الحرام، وإن هذا التوجه شرطه لهو الحق الذي لا شك فيه عند ربك، فحافظوا على ذلك أيها المؤمنون وأطيعوا الله - تعالى - في كل ما يأمركم به، ويتهاكم عنه، لأنه سبحانه ليس بساهٍ عن أعمالكم، ولا بغافلٍ عنها، ولكنه محصيها عليكم، وسيجازيكم الجزاء الذي تستحقونه عليها يوم القيامة. ثم كرر - سبحانه - الأمر للمؤمنين

بأن يتجهوا في صلاتهم إلى المسجد الحرام فقال: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أي: ومن أى مكان خرجت- يا محمد- فول وجهك تلقاء المسجد الحرام، وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله، فولوا وجوهكم في صلاتكم تجاهه ونحوه. وتلك هي المرة الثالثة التي تكرر فيها الأمر للمؤمنين بالتوجه إلى المسجد الحرام في صلاتهم، وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن تحول القبلة كان أول نسخ في الإسلام- كما قال كثير من العلماء- فاقتضى الأمر تأكيده في نفوس المؤمنين حتى يستقر في مشاعرهم، ويذهب ما يثار حولها من شبهات أدراج الرياح، ولأن الله تعالى أناط بكل واحد من هذه الأوامر الثلاثة بالتحول ما لم ينط بالآخر من أحكام فاختلفت فوائدها، فكأنه سبحانه يقول لنبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وللمؤمنين: الزموا هذه القبلة لأنها هي القبلة التي ترضونها، وترغبون فيها، وطالما تمنيتموها، والزموها أيضًا لأنها هي القبلة التي لن تنسخ بعد ذلك. والزموها كذلك لأن لزومكم إياها يقطع حجة اليهود الجاحدين، وغيرهم من المعاندين والخاسرين. وقد اقترن هذا الأمر الثالث بالتوجه إلى المسجد الحرام في هذه الآية الكريمة بحكم ثلاث:

أولها: قوله تعالى: **{لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}** والمراد من الناس اليهود، ومن لف لفهم من المناوئين للدعوة الإسلامية. والمعنى: عليك أيها النبي، ومن معك من المؤمنين أن تتجهوا في صلاتكم إلى الكعبة المشرفة، لكي تقطعوا دابر فتنة اليهود وحتتهم فقد قالوا لكم وقت اتجاهكم إلى بيت المقدس: إذا كان لكم أيها المسلمون دين يخالف ديننا. فلماذا تتجهون إلى قبلتنا؟، إلى غير ذلك من أقوالهم الفاسدة فاتجاهكم إلى المسجد الحرام من شأنه أن يزيل هذه الحجة التي قد تبدو مقبولة في نظر ضعاف العقول. وقوله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}** استثناء من الناس، والمعنى: لئلا يكون لأحد من اليهود حجة عليكم، إلا المعاندين منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا حباً لدين قومه، واشتياًقاً لمكة، وهؤلاء لا تخافون مطاعنهم، بل اجعلوا خوفكم مني وحدي، ولا تقيموا لما يشاغبون به في أمر القبلة وغيره وزناً، فإنني كفيلاً أن أرد عنكم كيدهم، وأحبط سعيهم، فأنتم، أيها المؤمنون - ما توجهتم إلى بيت المقدس ثم إلى المسجد الحرام إلا بإذن ربكم وأمره، ففي الحالتين أنتم مطيعون لخالقكم - عز وجل - . وقد أحسن صاحب الكشاف في شرحه للجملة الكريمة، وصرح بأنه يجوز أن يراد بالناس وبالذين ظلموا مشركو العرب فقال:

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا} استثناء من الناس، ومعناه: لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم، القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء قبله، فإن قلت: أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة، ولم يبال بحجة المعاندين؟ قلت: كانوا يقولون: ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ فإن قلت: كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين؟ قلت: لأنهم يسوقونه سياق الحجة، ويجوز أن يكون المعنى: لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة، حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آباءه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم». وثانيها: قوله تعالى: {وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} أى: ولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام {لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} ولتكون قبلتكم مستقلة عن قبلة اليهود وغيرهم، فالجملة الكريمة معطوفة على قوله تعالى: {لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} وثالثها: قوله تعالى: {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أى: ولكي ترشدوا للصواب في كل أموركم فما ضلت عنه الأمم من الحق هديناكم إليه، وخصناكم به؛ ولهذا كانت أمتكم خير أمة أخرجت للناس. والجملة الكريمة

معطوفة على الجملة السابقة وهي قوله تعالى: **{وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ}** وبذلك تكون الآيات الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام قد ثبتت المؤمنين، ودحضت كل شبهة أوردتها اليهود وغيرهم في هذه المسألة.)

(خ: 2): (ع) 3- **تكملة حکمِ الحدّثِ وفوائده:**

ثمّ قال في (التفسير الوسيط): (خامسا: هذا، وفي ختام هذا المبحث نحب أن نجيب على السؤال الخامس، وهو: لماذا فصل القرآن الكريم الحديث عن تحويل القبلة فنقول: لقد شرع الله تعالى تحويل القبلة إلى الكعبة بعد أن صلّى المسلمون إلى بيت المقدس فترة من الزمان، وكرر الأمر بتولية الوجوه إلى المسجد الحرام عند الصلاة، وأقام الأدلة الساطعة على أن ذلك التحويل هو الحق، وأتى بألوان من الوعيد لمن لم يتبع أوامره، وساق وجوها من التأكيدات تدل على عناية بالغة بشأنها. والمقتضى لهذه العناية وذلك التفصيل - مع أن التوجه إليها فرع من فروع الدين - هو أن التحويل من بيت المقدس إلى المسجد الحرام. كان أول نسخ في الإسلام - كما قال بذلك كثير من العلماء - والنسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان، فافتضى الأمر بسط الحديث في مسألة القبلة ليزدادوا إيمانا على إيمانهم. ولأن هذا

التحويل أيضًا جاء على خلاف رغبة اليهود، فإنهم كانوا يحرصون على استمرار المسلمين في التوجه إلى بيت المقدس، لأنه قبلتهم، فلما حصل التحويل إلى المسجد الحرام، اتخذوا منه مادة للطعن في صحة النبوة ليفتنوا ضعفاء العقيدة، وسلكوا لبلبلة أفكار المسلمين كل وسيلة. فزعموا أن نسخ الحكم بعد شرعه مناف للحكمة، ومباين للعقول، فلا يقع في الشرائع الإلهية، وساقوا من الشبهات والمفتريات ما بينا بعضه عند تفسيرنا للآيات الكريمة. ويبدو أن شغبهم هذا، كان له آثاره عند ذوى النفوس المريضة وضعاف الإيمان فلهذا كله أخذت مسألة القبلة شأنًا غير شأن بقية الأحكام الفرعية، فكان مقتضى الحال أن يكون الحديث عنها مستفيضًا، ومدعمًا بالأدلة والبراهين، وهذا ما راعاه القرآن الكريم عند حديثه عن مسألة القبلة، فلقد قرر وكرر، ووعد وتوعد، ووضح وبين، ليدفع كل شبهة، وليجتث كل حجة، ويزيد المؤمنين إيمانًا على إيمانهم، وينهض بضعفاء الإيمان إلى منزلة الراسخين في العلم، ويهوى باليهود ومن حذا حذوهم في مكان سحيق، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

(ع) 4-أهميّة القبلة في الإسلام:

1- في (صحيح البخارى) الحديث (391) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» [تعليق مصطفى البغا]: - [أكل ذبيحتنا) تنويه باليهود الذين لا يأكلون ذبيحة المسلمين. (ذمة) هي الأمن والعهد وذمة الله أمانه وضمانه وقد يراد بها الذمام وهو الحرمة. (تخفروا الله) تغدروا به وتنقضوا عهده] وأخرجه أيضًا. حديث (393) بلفظ: قَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، حَدَّثَنَا أَنَسُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ، أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا يُحْرَمُ دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ؟ فَقَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ»

2- وفي (المُسند) حديث (25029) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَعَلَيْكَ " قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ

أَتَكَلَّمُ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَعَلَيْكَ " قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَعَظَبُ اللَّهِ إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَمْ يُحْيِهِ بِهِ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فَظَنَرِ إِلَيَّ، فَقَالَ: " مَهْ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَ عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلَفَ الْإِمَامُ: آمِينَ " قَالَ مُحَقِّقُوهُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(ع) 5- فضل الأمة الإسلامية:

1- فى (صحيح البخارى) الحديثين (1367 - 2642) ولفظ أولهما: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَجَبَتْ » ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: « وَجَبَتْ » فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: « هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 60 - (949) بلفظ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجِبَتْ،
 وَجِبَتْ، وَجِبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: «وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ،
 فَأُتِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتُ: «وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُتِيَ
 عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتُ: «وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ
 لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ
 اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»

الخطبة الثانية: (سلسلة من ثمرات التقوى) (1: 1)

خطبة عامة في فضائل التقوى والمُتقين ومعاني التقوى

وصفات المُتقين:

(خ: 1) (ع) 1- التقوى في القرآن: 1- أمرُ بها: قال تعالى: { ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 231] وقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1] وقال: { ... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ... } [النساء: 131] وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102] وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [الحشر: 18] إلى غير ذلك من الآيات.

2- فضائل المُتقين وجزاؤهم عند الله: قال تعالى: { ... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: 77] وقال: { ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: 13] وقال: { ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّقِينَ{[التَّوْبَةُ: 4 و7] وقال: {... **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**}[البَقَرَةُ: 194] فى (صفة الصفة)- فى ترجمة: قتادة بن دعامة السدوسي -: (عن قتادة قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله عز وجل معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.) وقال سبحانه: {... **فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}[الأَعْرَاف: 35] وقال: {**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...**}[الأَعْرَاف: 96] وقال: {... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**}[الطَّلَاق: 2- 3] وقال: {**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا. ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**}[الطَّلَاق: 4-5]

3- من صفات الْمُتَّقِينَ: قال تعالى: {**أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[البقرة: 1-5] وقال: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177] وقال: {... وَأَنْ تَعْفُوا
أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ...} [البقرة: 237]. وقال: {... وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 133-136] وأخبر أن الذين
يُنتفعون ويتعظون بآيات الله هم المتقون فقال: {... إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس: 6
[وقال: {... إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 15-19] وقال-

بعد أن ذكر النار:- {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى. لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى. الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [الليل: 14-16] {وَسَيَجْزِيهَا الْأَثَمَى. الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: 17-18]

(ع)2-التَّقْوَى فِي الْأَحَادِيثِ:

1- عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنهما، عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي، وَقَالَ: «حديث حسن».

رياض الصالحين. حديث(61) في (دليل الفالحين): (" اتق الله " أمر من التقوى وهي **امثال أو امره** تعالى، واجتناب نواهيته، وهذا على حد قوله تعالى: {**اتقوا**} أي: غضبه، وهو أعظم ما يتقي لما ينشأ عنه من العقاب الدنيوي والأخروي. {**ويحذركم الله نفسه**} " حيثما كنت " أي: في أي مكان كنت حيث يراك الناس، وحيث لا يرونك اكتفاءً بنظره تعالى. قال تعالى: {**إن الله كان عليكم رقيباً**} النساء: 1] وقال ابنُ عُثيمين في شرح الحديث(18) من الأربعين النووية: (قوله: " اتق الله " أي اتخذ وقاية من عذاب الله عز وجل، وذلك بفعل أو امره واجتناب نواهيته. " حَيْثُمَا كُنْتَ " حيث: ظرف مكان، أي في أي مكان كنت سواء في العلانية أو في السر، وسواء في البيت أو في

السوق، وسواء عندك أناس أو ليس عندك أناس." وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا" (أتبع) فعل أمر، و(السيئة) مفعول أول، و(الحسنة) مفعول ثانٍ. "تَمَحُّهَا" جواب الأمر، ولهذا جزمت، لأن جواب الأمر يكون مجزوماً، ولو لم تكن مجزومة لقل: تمحوها. والمعنى: إذا فعلت سيئة فأتبعها بحسنة، فهذه الحسنة تمحو السيئة.)

2- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سِتَّةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ اغْلِبْ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ بَعْدُ" فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ السَّابِعُ، قَالَ: "أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنِ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ" الْمُسْنَدُ. حديث(21573)وقال مُحققوه: إسناده ضعيف، وذكره صاحب(الجامع الصحيح للسنن والمسانيد)وعزاه إلى الألبانى فى: صَحِيحُ الْجَامِعِ: (2544) و(صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: 3161)

3- فى(المُستدرِك)حديث(7707) سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخَلِيلِ بْنَ أَحْمَدَ الْقَاضِي، فِي دَارِ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ أَبِي صَالِحٍ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ بِحَضْرَتِهِ يَصِيحُ بِرَوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَيْشِيُّ، ثنا أَبُو الْمُقْدَامِ هِشَامُ بْنُ زِيَادٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ

الْقُرْطِيُّ، قَالَ: شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَيْنَا بِالْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ شَابٌّ غَلِيظٌ مُمْتَلِئُ الْجِسْمِ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَتَيْتُهُ بِخُنَاصِرَةٍ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقَدْ قَاسَى مَا قَاسَى، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ عَمَّا كَانَ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ: «وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدِهِ» وَقَالَ: «أَفَأَنْبُتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ هَذَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ لَا يَقْبَلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا أَفَأَنْبُتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ هَذَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ إِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَتَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهُمْ وَلَا تَظْلِمُوا ظَالِمًا وَلَا تُكَافِئُوا ظَالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَمْرُ ثَلَاثٌ: أَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيْبُهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ قَدْ اتَّفَقَ هِشَامُ بْنُ زِيَادٍ النَّصْرِيُّ وَمُصَادِفُ بْنُ زِيَادٍ الْمَدِينِيُّ عَلَى رِوَايَةِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْطِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَمْ أُسْتَجِرْ إِخْلَاءَ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهُ فَقَدْ جَمَعَ آدَابًا كَثِيرَةً»

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَكْثَرَ مَا يُدْخَلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ مَا أَكْثَرَ مَا يُدْخَلُ النَّارَ؟ قَالَ: " الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُّ، وَالْفَرْجُ " ابن ماجه. حديث (4246) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

5- عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ " ابن ماجه. حديث (4215) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(ع)3-التَّقْوَى فِي الشُّعْر: فِي (الغنية): (وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لكعب الأحمار: حدثني عن التقوى، قال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ فقال: حذرتُ وشَمَّرتُ، قال كعب: كذلك التقوى. فنظمه الشاعر:

(خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى)

واصنع كماشٍ فوق أُر ... ض الشوك يحذر ما يرى)

(لا تحقرنَّ صغيرةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى)

وقال الإمام عَلِيٌّ:

(إذا المرء لم يلبس ثياباً من التُّقى: ... تَقَلَّبَ عُرْبَانًا ولو كان كاسيًّا)
 (فخَيْرُ خِصَالِ الْعَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ: ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًّا)
 وقال أيضًا:

(لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بَدِينُهُ: ... فلا تتركِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ)
 (فقد رفع الإسلامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ: ... وقد وَضَعَ الشُّرُكَ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبٍ)
(ع) 4- التَّقْوَى فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ:

- 1- في (صفة الصفة): (عن أبي الدرداء أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ ومثقال ذرة من بر مع تقوى ودين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين.)
- 2- وفي (شعب الإيمان) للبيهقي. رقم رقم (7736) قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: **" مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَصْنَعْ كُلَّ مَا يُرِيدُ، وَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ "** ورقم (7980) بلفظ: عَنِ امْرَأَةٍ حَذِيفَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: **" قُمْتُ إِلَى جَارِيَةٍ لِي أَضْرِبَهَا، فَقَالَتْ لِي: اتَّقِي اللَّهَ، قَالَتْ: فَأَلْقَيْتُ مَا فِي يَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: يَا بَنِيَّةُ، مِنْ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ "**
- 3- قال الشبرخيتي في (الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية) تحت شرح الحديث الثامن عشر من الأربعين النووية: (وسئل علي بن أبي طالب

رضى الله عنه عن التقوى فقال: (هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل. وقال عمرُ بنُ عبد العزيز (التقوى تركُ ما حرم الله وأداءُ ما افترضه الله. فما رَزَقَ اللهُ بعد ذلك فهو خيرٌ إلى خيرٍ). 4-11 فى (العُنية): (وقال ابن عمر -رضي الله عنهما-: التقوى ألا ترى نفسك خيراً من أحد. وقال الحسن رحمه الله: المتقى هو الذي يقول لكل من رآه هذا خير مني... وقال بكر بن عبد الله رحمه الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون تقي المطعم، وتقي الغضب. وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقي الذي يحب للناس ما يحب لنفسه، إنما المتقي الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه... وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه... وقيل: التقوى ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. وقال مالك رحمه الله: حدثني وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-: إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعماء، والتذلل لأحكام القرآن. وقال ميمون بن مهران رحمه الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.)

12- وفی (صفة الصفوة): (وعن جابر، یعنی الجعفی، قال: قال لی محمد بن علی: ... إن أهل التقوی أیسر أهل الدنیا مؤونَةً وأكثرهم لك معونَةً، إن نسیت ذكرك وإن ذكرت أعانوك، قوالین بحق الله، قوامین بأمر الله فأنزل الدنیا كمنزلٍ نزلت به وارتحلت منه أو كمال أصبته فی منامك فاستيقظت ولبس معك منه شیء، واحفظ الله تعالی ما استرعاك من دینه وحكمته.)

(خ: 2): (ع) 5- مِنْ قِصَصِ الْمُتَّقِينَ:

1- فی (صفة الصفوة): - فی ترجمة میمونة السوداء-: (قال الفضیل بن عیاض قال: قال عبد الواحد بن زید: سألت الله عز وجل ثلاث لیل أن یرینی رفیقی فی الجنة، فرأت كأن قائلاً یقول: یا عبد الواحد رفیقك فی الجنة میمونة السوداء، فقلت: وأین هی؟ فقال: فی آل فلان بالكوفة. قال: فخرجتُ إلی الكوفة وسألتُ عنها فقیل: هی مجنونة بین ظهرانینا ترعى غنیمات لنا، فقلتُ: أرید أن أراها. قالوا: اخرج إلی الجبان، فخرجتُ فإذا بها قائمة تصلي، وإذا بین یدیه عكاز لها، وعليها جبة من صوف، علیها مكتوب: لا تُباع ولا تُشترى، وإذا الغنم مع الذئاب، فلا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف الذئاب. فلما رأتی أوجزتُ فی صلاتها، ثم قالت: ارجع یا بن زید، لیس الموعد ها هنا، إنما الموعد ثمّ. فقلتُ: رحمك الله ومن أعلمك أني ابن زید؟

فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف؟ فقلتُ لها: عظيمي؟ فقالت: واعجباً لو اعظُّ يُوْعظ، ثم قالت: يا بن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك، لخبرتكَ بمكتوم مكنون ما فيها، يا بن زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أُعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً، إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدَّله بعد القُرب البعد، وبعد الأُنس الوحشة. ثم أنشأت تقول:

(يا واعظاً قام لا حساب ... بزجر قوماً عن الذنوب)

(تنهى وأنت السقيم حقاً ... هذا من المنكر العجيب)

(لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب)

(كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب)

(تنهى عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالمُريب)

فقلتُ لها: غني أرى هذا الذئاب مع الغنم، فلا الغنم تفرع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغنم، فأى شيء هذا؟ فقالت: إليك عني فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئاب والغنم.)

2- وفي (نزهة المجالس ومنتخب النفايس): (حكاية: خرج موسى عليه السلام يرمى غنمه فانتهى إلى وادٍ كثير الذئاب، فأدركه التعب والنوم فبقي

متحیرًا: إن اشتغل بالغنم، عجز عن ذلك من غلبة النوم والتعب، وإن نام غدرت الذئاب على الغنم فرمق بطرفه إلى السماء، وقال: أحاط علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك. ثم وضع رأسه، ونام فلما استيقظ وجد ذئبًا واضعًا عصاه على عاتقه -وهو يرمى الأغنام- فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه يا موسى: كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد.)

3- فی (دم الهوی) لابن الجوزی: (فَأَخْبَرْتَنَا شُهَدَاةُ بِنْتِ أَحْمَدَ قَالَتْ أُنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ السَّرَّاجِ قَالَ: أُنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ السَّوَّاقِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرِّينَبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّمَادِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ أَنَّ فَتَى كَانَ يُعْجَبُ بِهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ عَمْرُ: إِنَّ هَذَا الْفَتَى لِيُعْجِبُنِي. وَإِنَّهُ انْصَرَفَ لَيْلَةً مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَمَثَلَتْ لَهُ امْرَأَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَرَضَتْ لَهُ نَفْسَهَا فَفُتِنَ بِهَا، وَمَضَتْ فَاتَّبَعَهَا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِهَا. فَلَمَّا وَقَفَ بِالْبَابِ أَبْصَرَ وَجَلِّيَ عَنْهُ، وَمَثَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى لِسَانِهِ {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201] فخر مغشياً عليه، فنطرت إليه المرأةُ فَإِذَا هُوَ كَالْمَيِّتِ فَلَمْ تَرَلْ هِيَ وَجَارِيَةٌ لَهَا تَتَعَاوَنَانِ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْقَوْهُ عَلَى بَابِ

دَارِهِ. وَكَانَ لَهُ أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ يَقْعُدُ لِانْصِرَافِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ فَخَرَجَ فَإِذَا هُوَ مُتَمَيِّ عَلَى
 بَابِ الدَّارِ لَمَّا بِهِ فَاحْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ فَأَفَاقَ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَأَلَهُ وَالِدُهُ: مَا الَّذِي
 أَصَابَكَ يَا بَنِيَّ؟ قَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ لَا تَسْلِنِي فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، وَتَلَا الْآيَةَ
 فَشَهَقَ شَهَقَةً خَرَجَتْ نَفْسُهُ فَذُفِنَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ أَلَا
 أَذُنْتُمُونِي بِمَوْتِهِ فَذَهَبَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ فَنَادَى يَا فُلَانُ { **وَلِمَنْ خَافَ**
مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ } فَأَجَابَهُ الْفَتَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ: قَدْ أَعْطَانِيهِمَا رَبِّي يَا عُمَرُ. قَالَ
 ابْنُ الْمَرْزُبَانِ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ
 قَالَ: أُنْبَأْنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ فِتْيَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانَ
 يَشْهَدُ الصَّلَاةَ كُلَّهَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَانَ يَتَفَقَّهُهُ إِذَا غَابَ. قَالَ: فَعَشِقَتْهُ
 امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِبَعْضِ نِسَائِهَا فَقَالَتْ لَهَا: أَلَا أَحْتَالُ لَكَ
 فِي إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. فَفَعَدَتْ لَهُ فِي الطَّرِيقِ. فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهَا، قَالَتْ
 لَهُ: أَنَا امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ السِّنِّ، وَوَلِي شَاةٌ، وَلَسْتُ أُسْتَطِيعُ أَنْ أَحْلِبَهَا. فَلَوْ تَنَوَيْتَ
 الثَّوَابَ، وَدَخَلْتَ فَحَلَبْتَهَا لِي، فَدَخَلَ فَلَمْ يَرَ شَاةً فَقَالَتْ: ادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى
 آتِيكَ بِهَا. فَدَخَلَ فَإِذَا امْرَأَةٌ وَرَاءَ الْبَابِ فَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ الْبَابَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
 عَمَدَ إِلَى مِحْرَابٍ فِي الْبَيْتِ فَفَعَدَ فِيهِ فَأَرَادَتْهُ عَلَى نَفْسِهِ فَأَبَى، وَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ
 أَيُّهَا الْمَرْأَةُ فَجَعَلَتْ لَا تَكْفُ عَنْهُ، وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيْ قَوْلِهِ. فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهَا،

صاحت فجاءوا فدخلوا عَلَيْهَا، وَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا دَخَلَ عَلَيَّ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي فَوَثَبُوا عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، وَأَوْثَقُوهُ. فَلَمَّا صَلَّى عُمَرُ الْعِدَاةَ، فَقَدَهُ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءُوا بِهِ فِي وَثَاقٍ. فَلَمَّا رَأَهُ عُمَرُ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُخَلِّفْ ظَنِّي فِيهِ. قَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: اسْتَعَاثَتِ امْرَأَةٌ فِي اللَّيْلِ فَجِئْنَا فَوَجَدْنَا هَذَا الْعُلَامَ عِنْدَهَا فَنَلْنَاهُ بِضَرْبٍ وَأَوْثَقْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اضْذُقْنِي فَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ، وَمَا قَالَتِ الْعَجُوزُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَعْرِفُهَا؟ قَالَ: مَا إِنَّ رَأَيْتُهَا. فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى نِسَاءِ جِيرَانِهَا وَعَجَائِرِهَا فَجَاءَ بِهِنَّ فَعَرَضَهُنَّ عَلَيْهِ فَجَعَلَ لَا يَعْرِفُ حَتَّى مَرَّتْ بِهِ الْعَجُوزُ فَقَالَ: هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَفَعَ عُمَرُ عَلَيْهَا الدُّرَّةَ، وَقَالَ: اضْذُقْنِي فَقَصَّتْ عَلَيْهِ كَمَا قَصَّ الْفَتَى فَقَالَ عُمَرُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِيْنَا شَبِيهَ يُوسُفَ). وصدق الله إذ يقول: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ

السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر: 61]

(ع)6- (كيف نحقق التقوى؟): فى (الغنية): (وطريق التقوى أولاً: التخلص من مظالم العباد وحقوقهم، ثم من المعاصي الكبائر منها والصغائر، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها فمنها يتفرع ذنوب الجوارح من الرياء والنفاق والعجب والكبر والحرص والطمع والخوف من الخلق والرجاء لهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم على أبناء جنسه، وغير

ذلك مما يطول شرحه... وإنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى، ثم الاشتغال بترك الإرادة فلا يختار مع الله شيئاً، ولا يدبر مع تدبيره ولا يتخير عليه ولا ينص على وجهة وسبب في رزقه، ولا يعترض عليه عز وجل في حكمه في خلقه، بل يسلم الكل إليه، ويستسلم بين يديه، وي طرح نفسه لديه، فيصير في يد قدرته كالطفل الرضيع في يد ظئره ودايته، والميت في يد غاسله، مسلوب اختياره، منزوع إرادته، فالنجاة كل النجاة في ذلك. فإن قال قائل: كيف الطريق إلى ذلك؟ قيل له: الطريق إلى ذلك بصدق اللجا إلى الله عز وجل، والانقطاع إليه، ولزوم طاعته بامتثال أوامره وانتهاء نواهيه، والتسليم في قدره وحفظ الحال، وصيانتة حدودها أبداً.

الخطبة الثالثة: (سلسلة ثمرات التقوى:

(2) (الإنفاق في وجوه الخير):

(خ: 1) (ع: 1- فضائل الإنفاق وذم الشح والبخل في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى- في وصف المتقين-: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} آل عمران-133-136 وقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 15-19] وأمر الله بالإنفاق عموماً فقال: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195] في (تفسير ابن كثير): (وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: حَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

بِالْقُسْطِ طَبِيبِيَّةٍ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ حَتَّى خَرَقَهُ، وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ نَاسٌ: أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِيْنَا، صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمُشَاهِدَ وَنَصَرْنَاهُ، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ، اجْتَمَعْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ نَجِيًّا فَقُلْنَا: قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصْرِهِ، حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ، وَكُنَّا قَدْ آتَرْنَاهُ عَلَى الْأَهْلِيْنَ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَقَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَنَرَجِعُ إِلَى أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا، فَتُقِيمُ فِيهِمَا، فَنَزَلَ فِيْنَا {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}، فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ فِي الْإِقَامَةِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَتَرَكَ الْجِهَادَ... وَمَضْمُونُ الْآيَةِ الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فِي سَائِرِ وُجُوهِ الْقُرْبَاتِ وَوُجُوهِ الطَّاعَاتِ، وَخَاصَّةً صَرْفَ الْأَمْوَالِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وَبَدْلُهَا فِيمَا يَفْوَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ تَرْكِ فِعْلِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ هَلَاكٌ وَدِمَارٌ لِمَنْ لَزِمَهُ وَاعْتَقَدَهُ، ثُمَّ عَطَفَ بِالْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الطَّاعَةِ، فَقَالَ: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 254] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: 267] وقال: {وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: 10] [10] وَيَبْنَ فَضَلَ الْإِنْفَاقِ فَقَالَ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245] وقال: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 261-262] وقال: {... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 272] وقال: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274] وقال: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: 3] وقال: {... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9] و[التغابن: 16] وَدَمَّ الْإِمْسَاكِ وَالشُّحِّ فَقَالَ: {... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا
كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ} [التَّوْبَةِ: 34-35]

أَمَّا الأحاديث: فمنها:

1- عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ
أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ
يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ. (رياض) حديث (405)

2- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ
أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا» مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ. (رياض) حديث (547)

3- وعنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفِقْ
يَا ابْنَ آدَمَ يَتَّفَقْ عَلَيْكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (548)

4- وعنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ - عز وجل». رواه مسلم (رياض) حديث (555)

5- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيْبُهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِيْبُ أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» متفقٌ عَلَيْهِ. «الْفَأْوُ» بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ الْمُهْرُ (رياض) حديث (560)

6- وعن جابر - رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رواه مسلم. (رياض) حديث (562)

7- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا أَدَيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ» قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَشَاهِدُهُ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الْمِصْرِيِّينَ. (المُستدرِك) حديث (1439)

وَأَمَّا الْآثَارُ: فَمِنْهَا:

1-2 في (الحلية): (عن علي - رضي الله عنه - قال: الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال. و عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إلي من حجة بعد حجة؛ ولطبق بدانق، أهديه إلى أخ لي في الله عز وجل، أحب إلي من دينار، أنفقه في سبيل الله عز وجل.) في (النهاية): ([الدانق]: هو بفتح النون وكسرها: سُدُسُ الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ.)

(خ: 2) (ع) 2- من قصص المُنْفِقِينَ:

1- في (صحيح البخارى) حديث (1418) - واللفظ له -: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتْ امْرَأَةً مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» وأخرجه مُسْلِمٌ. حديث 147 - (2629) بلفظٍ قريبٍ.

2-3 في (الإحياء): (وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين... ومرو الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطريق وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيوني قالوا نعم فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم.)

4- وفي (الحلية): (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان جعفر - رضي الله عنه - يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم، ويحدثونه؛ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسميه: أبا المساكين.)

5- في (الرياض النضرة في مناقب العشرة) ل/ محب الدين الطبري: (عن ابن عباس قال: قحط الناس في زمان أبي بكر، فقال أبو بكر: لا تمسون حتى يفرج الله عنكم. فلما كان من الغد جاء البشير إليه. قال: قدمت لعثمان ألف راحلةٍ براءٍ وطعاماً، قال: فغداً التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب، فخرج

إیهم وعلیه ملاءة قد خالف بین طرفیها علی عاتقه فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: قد بلغنا أنه قد قدم لك ألف راحلة بُرًّا وطعامًا، بعنا حتى نوسع به علی فقراء المدينة، فقال لهم عثمان: ادخلوا. فدخلوا فإذا ألف وقر-أى: حمل- قد صُبَّ في دار عثمان، فقال لهم: كم تریحونني علی شرائي من الشام؟ قالوا: العشرة اثني عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرة أربعة عشر، قال: قد زادوني. قالوا: العشرة خمسة عشر، قال: قد زادوني، قالوا: من زادك ونحن تجار المدينة؟ قال: زادني-أى: الله- بكل درهم عشرة، عندكم زيادة؟ قالوا: لا!! قال: فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة علی فقراء المدينة. قال عبد الله: فبت ليلتي فإذا أنا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في منامي وهو علی برذون أشهب يستعجل، وعلیه حلة من نور، وبيده قضيب من نور وعلیهنعلان شراكهما من نور، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد طال شوقي إليك، فقال صلى الله عليه وسلم: "إني مبادر؛ لأن عثمان تصدق بألف راحلة، وإن الله تعالى قد قبلها منه، وزوجه بها عروسًا في الجنة، وأنا ذاهب إلى عرس عثمان" خرجہ الملاء في سيرته.

6- في (عثمان بن عفان ذو النورين) ل/ محمد رضا: (حَفْرُهُ بئر رومة: واشترى بئر رومة من اليهود بعشرين ألف درهم، وسبّلها للمسلمين. كان رسول الله قد

قال: "مَنْ حَفَرَ بئرَ رُومَةَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ" وهذه البئر في عقيق المدينة: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نعم القلب قلب المُرْني"، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها. وروي عن موسى بن طلحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نعم الحفير حفير المُرْني" - يعني رُومَةَ - ، فلما سمع عثمان ذلك ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها على المسلمين ، فجعل الناس يستقون منها. فلما رأى صاحبها أنه امتنع منه ما كان يصيب منها باعها من عثمان بشيء يسير فتصدق بها كلها.)

7- في (صفة الصفة): (كانت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نساءها فيجتمعن ويتحدثن عندها، وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف إليهن فتقول: أحب حديثكم. فإذا قمتُ في صلاتي، لهوتُ عنكن، ونسيتكن. قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة، وتعطيهن الدنانير، وتقول: الكسوة لكن، والدنانير أقسمنها بين فقرائكن. وكانت تقول: جعل لكل قوم نهمة في شيء، -قلتُ: (في) (النهاية): (النَّهْمَةُ: بلوغُ الهِمَّةِ في الشيء) - وجُعِلَتْ نَهْمَتِي في البذل والإعطاء، والله للصلة والمواساة أحبُّ إليَّ مِنَ الطعام الطيب على الجوع، وَمِنَ الشراب البارد على الظمِّ، وكانت تقول: وهل يُنالُ الخير إلا

باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدتُ أحدًا قط على شيءٍ، إلا أن يكون ذا معروف فإني كنتُ أحب أن أشركه في ذلك.)

8- فی (نُزهة المجالس): (قيل: أن رجلاً كان يأكل دجاجة مع زوجته، فجاءه سائلٌ فرده خائبًا. ثم بعد مدة ذهب ماله، وطلق زوجته فتزوجت غيره، فبينما هما ذات ليلة يأكلان دجاجة إذ جاءهما سائل فقال لها: ادفعي إليه الدجاجة فدفعتها إليه، فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثاني، فقال لها: والله أنا السائل الأول الذي ردني خائبًا.) (سلسلة: من ثمرات التقوى):

الخطبة الرابعة: (مُحَاسِبَةُ النَّفْسِ):

(خ: 1) (ع) 1-المُحَاسِبَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ: قَالَ تَعَالَى: {...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 235] وقال: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284] في (تفسير ابن كثير): (يخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، وأنه المُطَّلِعُ عَلَى مَا فِيهِنَّ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الظُّوَاهِرُ وَلَا السَّرَائِرُ وَالضَّمَائِرُ وَإِنْ دَقَّتْ وَخَفِيَتْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَحَاسِبُ عِبَادَهُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ وَمَا أَخْفَوهُ فِي صُدُورِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 29] وَقَالَ: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: 7] وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَقَدْ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ بِمَزِيدٍ عَلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْمُحَاسِبَةُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَخَافُوا مِنْهَا، وَمِنْ مُحَاسِبَةِ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى جَلِيلِ الْأَعْمَالِ وَحَقِيرِهَا، وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ إِيْمَانِهِمْ وَإِقْبَانِهِمْ. وَقَالَ: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 29] وقال: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 30] وقال: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] وقال: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47] وقال: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: 6] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18] في (تفسير ابن كثير): (فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} أمرٌ بتقواه. وهو يشمل فِعْلَ مَا بِهِ أَمْرُهُ وَتَرْكُ مَا عَنَّهُ زُجْرًا. وقوله تعالى: {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} أي: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَانظُرُوا مَاذَا ادْخَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَوْمِ مَعَادِكُمْ وَعَرَضِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ} وَاتَّقُوا اللَّهَ} تَأْكِيدٌ ثَانٍ {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} أي: اعْلَمُوا أَنَّهُ

عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَخْوَالِكُمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، وَلَا يَغِيبُ مِنْ
أُمُورِكُمْ جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ.)
أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
:- "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ
هَوَاهَا، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ" سُنَنُ ابْنِ مَاجَه. حديث (4260) قال شعيبُ
الأرنؤوط: إسناده ضعيف. [حكم الألباني]: ضعيف.
ومنها:

2- في (الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي: (وَرَوَى الْأَجْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالًا
كُلُّهَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُتَسَلِّطُ الْمُبْتَلَى الْمَعْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ. فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا
وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَمِ كَافِرٍ. وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ: وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ [
ثَلَاثُ] سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، **وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ**، يُفَكِّرُ فِيهَا
فِي صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.
وَعَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: تَزُودٌ لِمَعَادٍ، وَمَرَمَةٌ لِمَعَاشٍ،

وَلَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ. وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلْسَانِهِ. وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعِينُهُ". قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: "كَانَتْ عِبْرًا كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرُحُ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَنْصَبُ. وَعَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا! وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ هُوَ لَا يَعْمَلُ! قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ فِي أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي يَدَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. اقْرَأْ يَا أَبَا ذَرٍّ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى. بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْتَى. إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: 14-

[19] وذكر الحديث).

أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

- 1- فى (الغنية): (وقال ميمون بن مهران رحمه الله: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر).
- 2- وفى (الإحياء): (قال الحسن: المؤمن قوَّامٌ على نفسه يحاسبها لله. وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبته. ثم فسر المحاسبة فقال:

إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: واللّه إنك لتعجبني، وإنك من حاجتي. ولكن هيهات حيل بيني وبينك. قال الإمام الغزالي: وهذا حساب قبل العمل. ثم قال-يقصدُ الحسن-: ويفرطُ منه الشيءُ، فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا؟ واللّه لا أعذر بهذا، واللّه لا أعود لهذا أبدًا إن شاء اللّه.) وفي (صفة الصفة)-إضافة إلى قول الحسن-: (إنّ المؤمنين قومٌ أوثقهم القرآنُ، وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقي اللّه عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.)

3- وفي (مختصر منهاج القاصدين): (واعلم: أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه، كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار، ويحاسبها على جميع ما كان منها، كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم. ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال، وفي الربح، وفي الخسران لتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وليحاسبها أولاً على الفرائض، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوفى منها ما فرط.)

4- وفی (مدارج السالکین): (منزلة المحاسبة: ... وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتُزَيَّنُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18] أَوْ قَالَ: عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ).

5- وفی (درة الناصحين) ل/الخویری: (مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ، يَخْفُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ، وَيَحْضُرُهُ عِنْدَ السُّؤَالِ جَوَابُهُ، وَيَحْسُنُ مُنْقَلَبُهُ وَمَآبُهُ. وَمَنْ لَمْ يُحَاسِبْهَا، تَدْوِمُ حَسْرَاتِهِ، وَتَطُولُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَقَفَاتُهُ، وَتَقُودُهُ إِلَى الْخِزْيِ وَالْمَقْتِ سَيِّئَاتِهِ).

6- وفی (صفة الصفة): (قال الحسن بن علويه: سمعت يحيى بن معاذ يقول: عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات، أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجلك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك).

7- قال ابن عطاء في (الحكم): (الحكمة الخامسة والثلاثون: أصل كل معصية وغفلة وشهوة - الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة، عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً، لا يرضى عن نفسه، خير لك من

أن تصحب عالمًا، يرضى عن نفسه، فأی علم لعالمٍ، يرضى عن نفسه؟ وأی جهل لجاهلٍ، لا يرضى عن نفسه؟

(خ: 2) (ع) 2- من قِصصِ مَنْ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ:

1- فی (صحيح البخارى) الحديثين (2805 - 4048) ولفظُ أولهما: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبَّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعْتُ، قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْتَهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسُ: " كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ "

2- وفی (صفة الصفوة): (قال عبد الله بن قيس، أبو أمية الغفاري قال: كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم، فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافهم، إذا رجل أمامي رأس فرسي عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ والله لأعرضنك اليوم على الله، أخذك أو تركك. فقلت: لأرمقنه اليوم. فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حماكم ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حماهم. قال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيتَه صريعاً. فعددتُ به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة.)

3- في (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) للقاضي عياض: (قال ابن وهب: جعلت على نفسي كلما اغتبتُ إنساناً صيام يوم، فهان عليّ، فجعلتُ عليها إذا اغتبتُ إنساناً، عليّ صدقة درهم، فثقل عليّ، وتركتُ الغيبة.)

4- في (مختصر منهاج القاصدين): (روى عن عمر رضى الله عنه: أنه خرج إلى حائط له، ثم رجع وقد صلى الناس العصر، فقال: إنما خرجتُ إلى حائطي،

ورجعتُ وقد صلی الناس العصر، حائطي صدقة على المساكین. قال الیث: إنما فاتته الجماعة، وروینا عنه أنه شغله أمرٌ عن المغرب حتى طلع نجمان، فلما صلاها، أعتق رقبتین.)

5- فی (صفة الصفوة): (وعن یزید بن خصیفة قال: تنخم أنس بن مالك فی المسجد ونسی أن یدفنها. ثم خرج حتى جاء إلى أهله فذكرها فجاء بشعلة من نار فطلبها حتى وجدها ثم حفر لها فأعمق فدفنها.)

6- وفیه: (قال: عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: حدثني رجلٌ من قريش، ذكر أنه من ولد طلحة بن عبید الله، قال: كان توبة بن الصمة بالرقعة وكان مُحاسب لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستین سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتا: ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب، كيف؟ وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب. ثم خرَّ مغشيٍّ عليه فإذا هو ميت. فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى رضي الله عنه.)

7- وفیه أيضاً: (773 - عبد العزيز المقدسي: قال أبو بكر بن شاذان: سمعتُ عبد العزيز المقدسي - وكان من الأبدال - يقول: لما بلغتُ الحُلُم، أخذتُ على نفسي أن أروضها، وأمنعها من الآثام، واستوفقت الله تعالى -قلتُ: (يعني سألتُ الله التَّوفيق) - فوفَّقني، واستعنتُ به فأعاني. ولقد حاسبتُ نفسي من

يوم بلوغي إلى يومي هذا، فإذا زلّاتي لا تجاوز ستة وثلاثين زلّة. ولقد استغفرتُ الله عز وجل لكل زلة مائة ألف مرة، وصليتُ لكل زلة ألف ركعة، ختمتُ في كل رجعة منها ختمة، وإني مع ذلك غير آمن سطوة ربي عز وجل أن يأخذني بها وأنا على خطر قبول التوبة.)

8- وفيه: (وعن محمد بن المنكدر أنّ تميمًا الداري نام ليلة لم يقم يتهجّد فيها حتى أصبح، فقام سنة لم ينم فيها عقوبةً للذي صنع.)

9- وفيه: (عن عبد الجبار بن النضر السلمي قال: مر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك؟ لأعاقبك بصوم سنة فصامها.)

خُطْبُ شَهْرِ رَمَضَانَ:

الخطبة الأولى: (استقبال رمضان وبعض أحكامه

ومقاصده): (خ: 1)

(ع) 1- استقبال شهر رمضان:

1- عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ: (" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا رَأَى الْهَيْلَالَ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ " وفي رواية: " بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ " وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى " " وَغَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ " " رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ " (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد)

2- في (صحيح ابن خزيمة) حديث (1887) عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخُصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمَوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يَزْدَادُ فِيهِ

رَزَقَ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعِثْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ»، قَالُوا: لَيْسَ كُلُّنَا نَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ، فَقَالَ: " يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمَرَةٍ، أَوْ شَرِبَ مَاءً، أَوْ مَذَقَ لَبَنٍ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِثْقٌ مِنَ النَّارِ، مَنْ خَفَّفَ عَن مَمْلُوكِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، وَاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَضَلْتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَضَلْتَيْنِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَضَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَعْفِرُونَهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرِبَهُ لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ " قال الأعظمي: إسناده ضعيف. وأخرجه البيهقي في (فضائل الأوقات) حديث (37) وذكره الألباني في تخريج (مشكاة المصابيح) حديث 1965 - [10] وقال: (ضعيف).

(ع) 2- بعض أحكام الصيام: في (فقه السنة): (أركان الصوم: للصيام ركنان تتركب منهما حقيقته:

1 - الإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

لقول الله تعالى: {فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} والمراد بالخيط الأبيض، والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل. لما رواه البخاري ومسلم: أن عدي بن حاتم قال: لما نزلت {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} عمدتُ إلى عِقَالِ أَسْوَدٍ، وإلى عِقَالِ أبيض، فجعلتُهما تحت وسادتي، فجعلتُ أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فعدوتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرتُ له ذلك فقال: " إنما ذلك سواد الليل، وبياض النهار".

2 - النية: لقول الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} وقوله صلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ". ولا بد أن تكون قبل الفجر، من كل ليلة من ليالي شهر رمضان. لحديث حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لم يجمع (1) الصيام قبل الفجر، فلا صيام له " رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان. وتصح في أي جزء من أجزاء الليل، ولا يُشترط التلفُّظُ بها فإنها عملٌ قلبيٌّ، لا يدخل للسان فيه، فإن حقيقتها القصد إلى الفعل امتثالاً لأمر الله تعالى، وطلباً لوجهه الكريم. فمن تسحر بالليل، قاصداً

الصیام، تقرّباً إلى الله بهذا الإمساك، فهو ناوٍ ومن عزم على الكفّ عن المفطرات، أثناء النهار، مخلصاً لله، فهو ناوٍ كذلك وإن لم يتسحر. وقال كثيرٌ من الفقهاء: إن نية صیام التطوع تجزئ من النهار، إن لم يكن قد طعم. قالت عائشة: دخل عليّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ فقال: " هل عندكم شئ؟ " قلنا: لا، قال: " فإني صائم " رواه مسلم، وأبو داود. واشترط الأحناف أن تقع النية قبل الزوال، وهذا هو المشهور من قولي الشافعي. وظاهر قولي ابن مسعود، وأحمد: أنها تجزئ قبل الزوال، وبعده، على السواء.

على من يجب؟: أجمع العلماء: على أنه يجب الصیام على المسلم العاقل البالغ، الصحيح المقيم، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض، والنفاس. فلا صیام على كافرٍ، ولا مجنون، ولا صبيٍّ ولا مريضٍ، ولا مسافرٍ، ولا حائض، ولا نفساء، ولا شيخ كبير، ولا حاملٍ، ولا مريضٍ.

وبعض هؤلاء لا صیام عليهم مطلقاً، كالكافر، والمجنون، وبعضهم يُطلب من وليه أن يأمره بالصیام، وبعضهم يجب عليه الفطر والقضاء، وبعضهم يرخص لهم في الفطر وتجب عليه الفدية، وهذا بيان كل على حدة. **صیام الكافر، والمجنون**: الصیام عبادة إسلامية، فلا تجب على غير المسلمين، والمجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل الذي هو مناط التكاليف، وفي

حدیث علی رضی اللہ عنہ أن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال: " رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى یفیک، وعن النائم حتى یتقیظ، وعن الصبی حتى یحتلم " رواه أحمد، وأبو داود، والترمذی. **صیام الصبی:**

والصبی - وإن کان الصیام غیر واجب علیہ - إلا أنه ینبغی لولی أمره أن یأمره به، ليعتاده من الصغر، مادام مستطیعاً له، وقادراً علیہ. فعن الرُّبیع بنت معوذ قالت: أرسل رسول اللہ -صلى الله عليه وسلم- صبيحة عاشوراء- إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (1) فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار. رواه البخاري، ومسلم. **من یرخص لهم في الفطر، وتجب علیهم الفدية:** یرخص الفطر للشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والمريض الذي لا یرجى برؤه، وأصحاب الأعمال الشاقة، الذين لا يجدون متسعاً من الرزق، غیر ما یزاولونه من أعمال. هؤلاء جميعاً یرخص لهم في الفطر، إذا كان الصیام یجهدهم، ويشقُّ علیهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة. وعلیهم أن یطعموا عن كل يوم مسکیناً، وقدّر ذلك بنحو صاع (2) أو نصف صاع، أو مُدًّا، علی خلاف في ذلك، ولم یأت من

السنة ما يدل على التقدير. قال ابن عباس: رُخص للشيخ الكبير أن يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليه. رواه الدارقطني والحاكم وصحاه. وروى البخاري عن عطاء: أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: **{وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين}** قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيُطعمان (1) مكان كل يوم مسكيناً.

والمريض الذي لا يرجى برؤه، ويُجهد الصوم، مثل الشيخ الكبير، ولا فرق. وكذلك العمال الذين يضطعون بمشاق الأعمال. قال الشيخ محمد عبده: فالمراد بمن **{يُطيقونه}** في الآية، الشيوخ الضعفاء والزمني (2) ونحوهم كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من مناجمه. ومنهم المجرمون الذين يُحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا شق الصيام عليهم، بالفعل، وكانوا يملكون الفدية. والحُبلى، والمُرضع - إذا خافتا على أنفسهما، أو أولادهما (3) أفطرتا - وعليهما الفدية، ولا قضاء عليهما، عند ابن عمر، وابن عباس. روى أبو داود عن عكرمة، أن ابن عباس قال في قوله تعالى: **{وعلى الذين يطيقونه}** كانت رخصة للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، وهما يُطيقان الصيام، أن يفطرا، ويُطعما

مكان كل يوم مسكينًا، والحُبلى، والمُرُضِع - إذا خافتا (يعني على أولادهما) - أفطرتا، وأطعمتا. رواه البزار، وزاد في آخره: وكان ابن عباس يقول لأم ولد له حُبلى: أنتِ بمنزلة الذي لا يطيقه، فعليكِ الفداء، ولا قضاء عليك. وصحح الدارقطني إسناده. وعن نافع أن ابن عمر سُئِلَ عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال: تَطُور، وتطعم مكان كل يوم مسكينًا مُدًّا (4) مِنْ حَنْطَةٍ.

رواه مالك، والبيهقي. وفي الحديث: "إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحُبلى والمرضع الصوم" وعند الأحناف وأبي عبيد وأبي ثور: أنهما يقضيان فقط، ولا إطعام عليهما. وعند أحمد، والشافعي: أنهما - إن خافتا على الولد فقط وأفطرتا -، فعليهما القضاء والفدية، وإن خافتا على أنفسهما فقط، أو على أنفسهما وعلى ولدهما، فعليهما القضاء، لا غير.

من يُرخصُ لهم في الفطر، ويجب عليهم القضاء:

يباح الفطر للمريض الذي يُرجى بُرؤه، والمسافر، ويجب عليهما القضاء. قال الله تعالى: {ومن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيامٍ آخر} وروى أحمد، وأبو داود، والبيهقي، بسند صحيح، من حديث معاذ، قال: "إن الله تعالى فرض على النبي صلى الله عليه وسلم الصيام، فأنزل: {يا أيها الذين

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم { إلى قوله: } وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين {، فكان من شاء صام. ومن شاء أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه. ثم إن الله تعالى أنزل الآية الأخرى: { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن } إلى قوله: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } فأثبت صيامه على المُقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام " والمرض المبيح للفطر، هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم، أو يُخشى تأخر بُرئه (1). قال في المغني: " وحكى عن بعض السلف: أنه أباح الفطر بكل مرضٍ، حتى من وجع الإصبع والضرس، لعموم الآية فيه، ولأن المسافر يباح له الفطر، وإن لم يحتج إليه، فكذلك المريض " وهذا مذهب البخاري، وعطاء، وأهل الظاهر. والصحيح الذي يخاف المرض بالصيام، يفطر، مثل المريض. وكذلك مَنْ غلبه الجوع أو العطش، فخاف الهلاك، لزمه الفطر وإن كان صحيحاً مقيماً، وعليه القضاء. قال الله تعالى: { ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً }

وقال تعالى: { وما جعل عليكم في الدين من حرج } وإذا صام المريض، وتحمل المشقة، صح صومه، إلا أنه يُكره له ذلك لإعراضه عن الرخصة التي يحبها الله، وقد يلحقه بذلك ضررٌ. وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد

رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يفطر، متابعين في ذلك فتوى الرسول صلى الله عليه وسلم. قال حمزة الأَسلمي: يا رسول الله، أجد مني قوة على الصوم في السفر، فهل علي جناح؟ فقال: هي " رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها، فحسنٌ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه " رواه مسلم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة - ونحن صيام - قال: فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم " فكانت رخصة، فمنا من صام، ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: " إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم " فأفطروا، فكانت عزمة، فأفطرننا، ثم رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في السفر " رواه أحمد ومسلم وأبو داود. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في رمضان فمنا الصائم، ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر (1) ولا المفطر على الصائم، ثم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسنٌ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر، فإن ذلك حسنٌ. رواه أحمد ومسلم. وقد اختلف الفقهاء في أيهما أفضل؟، فرأى أبو حنيفة، والشافعي، ومالك: أن الصيام أفضل، لمن قوي عليه، والفطر أفضل لمن لا يقوى على

الصيام. وقال أحمد: الفطر أفضل. وقال عمر بن عبد العزيز: أفضلهما أيسرهما، فمن يسهل عليه حينئذ، ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك، فالصوم في حقه أفضل. وحقق الشوكاني، فرأى أن من كان يشق عليه الصوم، ويضره، وكذلك من كان معرضاً عن قبول الرخصة، فالفطر أفضل، وكذلك من خاف على نفسه العُجب أو الرياء - إذا صام في السفر-، فالفطر في حقه أفضل. وما كان من الصيام خالياً عن هذه الأمور، فهو أفضل من الإفطار. وإذا نوى المسافر الصيام بالليل، وشرع فيه، جاز له الفطر أثناء النهار. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم (1)، وصام الناس معه، فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدر من ماء بعد العصر، فشرب، والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم، وصام بعضهم، فبلغه: أن ناساً صاموا، فقال: " أولئك العصاة " (2) رواه مسلم والنسائي، والترمذي وصححه. وإذا ما نوى الصوم - وهو مقيم - ثم سافر في أثناء النهار فقد ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز الفطر له، وأجازه أحمد وإسحاق. لما رواه الترمذي - وحسنه - عن محمد بن كعب قال: أتيت في رمضان أنس بن مالك، وهو يريد سفرًا، وقد رحلت له راحلته، ولبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل

فقلتُ له: سنة؟ فقال: سنة، ثم ركب (3). وعن عبيد بن جبير قال: ركبْتُ مع أبي بصرة الغفاري في سفينة من الفسطاط (4) في رمضان، فدفع، ثم قرب غداءه، ثم قال: اقترب، فقلتُ: أَلستَ بين البيوتِ؟ فقال أبو بصرة: أرغبتَ عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (1) رواه أحمد، وأبو داود، ورجاله ثقات. قال الشوكاني: والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه، منَ الموضوع الذي أراد السفر منه. وقال: قال ابن العربي: وأما حديث أنس، فصحيحٌ، يقتضي جواز الفطر، مع أهبة السفر. وقال: وهذا هو الحق. والسفر المبيح للفطر، هو السفر الذي تُقصرُ الصلاةُ بسببه، ومدة الإقامة التي يجوز للمسافر أن يفطر فيها، هي المدة التي يجوز له أن يقصر الصلاة فيها. وتقدم جميع ذلك في مبحث قصر الصلاة ومذاهب العلماء وتحقيق ابن القيم. وقد روى أحمد، وأبو داود، والبيهقي، والطحاوي. عن منصور الكلبي: أن دحية بن خليفة خرج من قرية، من دمشق مرة، إلى قدر عقبة (2) من الفسطاط، في رمضان، ثم إنه أفطر، وأفطر معه ناس. وكره آخرون أن يفطروا، فلما رجع إلى قريته، قال: والله لقد رأيتُ اليوم أمراً ما كنتُ أظن أني أراه، إن قومًا رغبوا عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يقول ذلك للذين صاموا،

ثم قال عند ذلك: اللهم اقبضني إليك. وجميع رواة الحديث ثقات، إلا منصور الكلبي، وقد وثقه العجلي.

من يجب عليه الفطر والقضاء معاً؟:

اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر على الحائض، النفساء ويحرم عليهما الصيام، وإذا صامتا لا يصح صومهما، ويقع باطلاً، وعليهما قضاء ما فاتهما. روى البخاري، ومسلم، عن عائشة، قالت: كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

(1) استفهام إنكاري.

(2) أي أن المسافة التي قطعها من القرية التي خرج منها تعدل المسافة التي بين مصر القديمة وميت عقبة المجاورة لا مبالغة، وقدرت هذه المسافة بفرسخ.

(1) " فلا يجد الصائم على المفطر " أي لا يعيب عليه.

(1) مذهب مالك وابن حزم أنه لا قضاء ولا فدية.

(2) المرضى مرضاً مزمنًا لا يبرأ.

(3) معرفة ذلك بالتجربة أو بإخبار الطبيب الثقة أو بغلبة الظن.

(4) " المُدُّ " ربع قَدَح من قَمَح.

(1) " يجمع " من الإجماع، وهو إحكام النية والعزيمة.)
 وفي (فقه العبادات) للشيخ حسن أيوب: (للصيام رُكنانِ أساسيانِ لا بُدَّ منهما
 لتحقيقه: الأول: الإمساكُ عنِ المُفطَراتِ مِنْ طُلُوعِ الفجرِ الصادقِ إلى غُرُوبِ
 الشمسِ. الركن الثاني: هو النِيَّةُ. والمُرَادُ بِالنِيَّةِ في الصوم: أن يستحضر مِنْ
 يُريدُ الصومَ إرادةَ الصومِ في قلبه، ولا عِبْرَةَ بنطقِ اللسانِ. ولو قال بلسانه غير
 ما في قلبه، فإنَّ العبرة بما في القلبِ القلبِ. ويقومُ السُّحُورُ والإِعدادُ
 له، والأعمالُ التي يُرادُ منها الاستعدادُ لصومِ الغدِ مقامَ النية؛ لأنَّه لا يفعلُ
 ذلكَ إلاَّ وهو عازِمٌ على الصومِ، وهذا العزمُ هو النِيَّةُ.
وقتُ النِيَّةِ: اختلفَ الفُقهاءُ في الوقتِ الذي تصحُّ فيه النِيَّةُ، فبعضُهم اشترط
 أن تكونِ النِيَّةُ ليلًا قبلَ الفجرِ سواءَ كانِ الصومُ فرضًا أم نفلًا، وهم مالكٌ
 والليث بن سعد. وقال الشافعيُّ وأحمدُ: وقتها في الصومِ المفروضِ الليلُ، أمَّا
 في النَّفلِ فتجوزُ في الليلِ كما تجوزُ في أوَّلِ النَّهارِ.. والسؤالُ الآن: هل يجوزُ
 أن ينوي المسلمُ صومَ شهرِ رمضانِ أوَّلَ ليلةٍ مِنْ رمضانٍ ويكتفى بهذا عنِ
 النيةِ في كُلِّ ليلةٍ؟ بالأولِ قال المالكيَّةُ وإسحاقُ، وتبييتُ النيةِ بعد ذلك

مُسْتَحَبٌّ، وبالثنائی قال الأحنافُ والشافعیُّ والجمهورُ، وهو أصحُّ الروایتین عن أحمد، والثانی هو الراجحُ. **-قلتُ:** (أما الركنُ الأولُ- وهو الإمساكُ عن المُفطراتِ مِنْ طُلُوعِ الفجرِ الصادقِ إلى غُرُوبِ الشمسِ- فهو مفهومٌ، ولا یحتاجُ إلى شرحٍ، وقد تقدّمَ ما یكفی فی النّصِّ السَّابِقِ فی فقه السُّنَّةِ) -

(ع) 3- بعضُ مقاصد الصیام: قال تعالی: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** [البقرة: 183] فی (التفسیر الوسیط): (والتشبیه فی قوله تعالی: **{ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ }** راجع إلى أصل إيجاب الصوم وفریضته. أي: أن عبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة، ولكن بكيفية لا یعلمها إلا الله، إذ لم یرد نص صحیح عن رسول الله صلی الله علیه وسلم یبین لنا فیہ کیف كان صیام الأمم السابقة على الأمة الإسلامیة. وقیل: إن التشبیه راجع إلى وقت الصوم وقدره، فقد روى عن مجاهد أنه قال: كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة. ولفظ " كما " فی قوله تعالی: **{ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ }** فی موضع نصب على المصدر، أي: فرض علیكم الصیام فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم. ومن فوائد هذا التشبیه، الاهتمام

بهذه العبادة والتنويه بشأنها إذ شرعها - سبحانه - لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولأتباع الرسل الذين سبقوه في الدعوة إلى توحيد الله، وهذا مما يقتضي وفرة ثوابها، وداوم صلاحها. كذلك من فوائد تسهيل هذه العبادة على المسلمين؛ لأن الشيء الشاق تخف مشقته على الإنسان عند ما يعلم أن غيره قد أداه من قبله. والفائدة الثالثة من هذا التشبيه إثارة العزائم والهمم للنهوض بهذه العبادة، حتى لا يكونوا مقصرين في أدائها، بل يجب عليهم أن يؤديوها بقوة تفوق من سبقهم لأن الأمة الإسلامية قد وصفها سبحانه بأنها خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية تقتضي منهم النشاط فيما كلفهم الله بأدائه من عبادات. وقوله: **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** جملة تعليلية جيء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام فكأنه سبحانه يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه. ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال في شأن الصوم: " الصوم جنة " أي: وقاية. إذ في الصوم وقاية من الوقوع في المعاصي، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن

الإفراط في تناول بعض الأطعمة والأشربة .) وفي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي: (قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} "لَعَلَّ" تَرْجُّ فِي حَقِّهِمْ، كَمَا تَقْدَم. و"تَتَّقُونَ" قِيلَ: مَعْنَاهُ هُنَا تَضَعْفُونَ، فَإِنَّهُ كَلَّمَا قَلَّ الْأَكْلُ ضَعَفَتِ الشَّهْوَةُ، وَكَلَّمَا ضَعَفَتِ الشَّهْوَةُ، قَلَّتِ الْمَعَاصِي. وَهَذَا وَجْهٌ مَجَازِيٌّ حَسَنٌ. وَقِيلَ: لِيَتَّقُوا الْمَعَاصِي. وَقِيلَ: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ، لِأَنَّ الصِّيَامَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَوَجَاءٌ" وَسَبَبُ تَقْوَى، لِأَنَّهُ يُمَيِّتُ الشَّهَوَاتِ.) وفي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدى - رحمه الله -: (يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان. وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اقتصتم بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى. ومنها: أن

الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلّه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنّه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

(ع) 4- آداب الصائم وأخلاقه:

1- في (صحيح البخارى)- واللفظ له- حديث (1904) حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، عَنْ أَبِي صَالِحِ الرَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمَ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفْثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ " وأخرجه مسلم. حديث 163 - (1151) بلفظ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، عَنْ أَبِي صَالِحِ الرَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ

أَدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ" «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»

2- وفي (مسند الدارمي) المعروف بـ (سنن الدارمي) حديث (1773) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، مَا لَمْ يَخْرِقْهَا»، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: «يَعْنِي بِالْغَيْبَةِ» [تعليق المحقق حسين سليم أسد الداراني]: إسناده حسن. وفي (المعجم الأوسط) حديث (4536) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهُ» قِيلَ: وَبِمِ يَخْرِقُهُ؟ قَالَ: «بِكِذْبٍ، أَوْ غَيْبَةٍ» وذكره الألباني في (ضعيف الترغيب والترهيب) حديث 658 - (2) وقال: [ضعيف جداً]. في (النهاية): ("الصَّوْمُ جُنَّةٌ " أي: يَتِي صَاحِبَهُ مَا يُؤْذِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْجُنَّةِ: الْوَقَايَةُ.)

3- وفي (صحيح البخاري) حديث (1903) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» وحديث (6057) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»

4- فى (صحيح ابن خزيمة) حديث (1996) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ الصَّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصَّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ أَوْ جَهَلَ عَلَيْكَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ " قال الأعظمي: إسناده صحيح.

5- فى (صحيح ابن خزيمة) حديث (1997) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ» قال الأعظمي: إسناده صحيح.

6- فى (لطائف المعارف) لابن رجب: (قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.)

(خ: 2) (ع) - مِنْ قِصَصِ الصَّائِمِينَ:

1- فى (صفة الصفوة): (قال نافع: خرجت مع ابن عمر فى بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ له فوضعوا سفرة، فمر بهم راعٍ فقال له عبدُ الله: هلم

يا راعي فأصب من هذه السفرة، فقال: إني صائمٌ، فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره، وأنت في هذه الشعاب، في آثار هذه الغنم، وبين الجبال، ترعى هذه الغنم، وأنت صائمٌ؟ فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية فعجب ابن عمر، وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تظفر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي، إنها لمولاي. قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي، وهو رافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول فأين الله؟ قال: فلم يزل أين عمر يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والغنم، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم رحمه الله.)

الخطبة الثانية: (من مظاهر التيسير في أحكام صيام

رَمَضَانَ): (خ: 1)

(ع): 1- التيسيرُ ورفعُ الحرجِ مِنْ سِمَاتِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ: قال تعالى: {...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...} [البقرة: 185] وقال: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا...} [البقرة: 286] وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28] وقال: {... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ...} [المائدة: 6] وقال: {...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...} [الحج: 78] وقال: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ...} [النور: 61] [الفتح: 17] وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا» البخارى. حديث (69) وأخرجه مسلمٌ. حديث 6 - (1732) بلفظ: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» وفى (صحيح البخارى) الأحاديث (3560 - 6126 - 6786) ولفظ أولها: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ

أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا» وأخرجه مسلم. حديث 77 - (2327) 78 - (2327) بلفظ قريب.

(ع) 2- مظاهر التيسير من خلال آيات الصيام: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 183 -

185] فى (التفسير الوسيط): (قوله تعالى: {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} من فوائد هذا التشبيه تسهيل هذه العبادة على المسلمين؛ لأن الشيء الشاق تخف مشقته على الإنسان عند ما يعلم أن غيره قد أداه من قبله... قوله: {أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} أي: معينات بالعد أو قليلات، لأن القليل يسهل عده فيعد، والكثير يؤخذ جزافاً... وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع

قلة، ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضاً تهويناً لأمره على المكلفين، وإشعاراً لهم بأن الله تعالى ما فرض عليهم إلا ما هو في وسعهم وقدرتهم وقوله: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} {زيادة بيان ليسر شريعة الإسلام بعد أن أخبرهم سبحانه بأن الصوم المفروض عليهم إنما هو أيام معدودات، وتعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال. والمرض: الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، بأن يصاب بانحراف في جسده يجعله في حالة وجع أو اضطراب بدني. قال القرطبي: وللمريض حالتان: إحداهما ألا يطيق الصوم بحال فعلية الفطر واجباً. الثانية: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة فهذا يستحب له الفطر . . فالفطر مباح في كل مرض إلا المرض اليسير الذي لا كلفة معه في الصيام. وقوله: {أَوْ عَلَى سَفَرٍ}... وأكثر العلماء على تقييده بالمباح، وبما يلزمه العسر غالباً، وهو السفر إلى المسافة المقدرة في الشرع "... والمعنى: لقد فرضنا عليكم الصوم أيها المؤمنون، وجعلناه كما هو الشأن من كل ما شرعناه متمسماً باليسر لا بالعسر، ومن مظاهر ذلك أننا فرضنا عليكم صوم أيام معدودات، وهي أيام شهر رمضان، ولم نفرض عليكم صوم الدهر، وأنا شرعنا لمن كان مريضاً مرضاً يضره الصوم أو يعسر معه، أو كان على سفر

يشق عليه معه الصوم، شرعنا له أن يفطر وأن يصوم بدل الأيام التي أفطرها أيامًا آخر مساوية لها في العدد... وقد نص الفقهاء على أن الإفطار مشروع على سبيل الرخصة للمريض والمسافر، وهما بالخيار في ذلك إن شاء أفطرا، وإن شاء صاما، إلا أن أكثر الفقهاء قالوا: الصوم أفضل لمن قوى عليه .

والذي نراه الله تعالى قد أباح الفطر في رمضان بسبب المرض أو السفر، لأن كُلاً منهما مظنة المشقة والحر . والحكم الشرعي يوجد حيث توجد مظنته، وينتفى حيث تنتفي. وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه، فإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره ليس في الصوم معه مشقة أو عسر، صام عملاً بقوله تعالى: **{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ}** . وإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقاً عليه، أفطر عملاً بقوله تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** فالمسألة ترجع إلى ضمير الفرد ودينه واستفتاء قلبه. والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صام في السفر وأفطر، وخيّر بعض أصحابه بين الصوم والفطر، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم " وفي إحدى روايتي مسلم - في شهر رمضان -، في يوم حار، حتى ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من

النبي صلى الله عليه وسلم وابن رواحه "وروى الإمام مسلم في صحيحه عن قزعة قال: " أتيتُ أبا سعيد الخدري فسألته عن الصوم في السفر فقال: سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة، فمننا من صام ومننا من أفطر. ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: " إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا. وكانت عزمة فأفطرننا. ثم قال: ولقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من السفر "وروى الشيخان عن أنس بن مالك قال: كنا نساfer مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وهناك مسألة أخرى تعرض لها الفقهاء بالحديث، وهي مسألة قضاء الأيام التي أفطرها المريض أو المسافر هل يقضيها متتابعة أو متفرقة وهل يقضيها على الفور أو على التراخي؟ وجمهور الفقهاء على أن للمفطر في رمضان بسبب المرض أو السفر أن يقضي ما أفطره متتابعاً أو متفرقاً؛ لأن قوله تعالى: {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} دلّ على وجوب القضاء من غير تعيين لزمان، لأن اللفظ - كما قال القرطبي - مسترسل على الأزمان لا يختص ببعضها دون بعض. وله كذلك أن يقضي ما عليه على

الفور أو على التراخي على حسب ما يتيسر له، ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نص وزيادة بيان للآية "...وقوله تعالى: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ}** بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق بصوم رمضان يتجلى فيه تيسير الله على عبادة فيما شرع لهم من عبادات. ومعنى **{يُطِيقُونَهُ}** يقدرون عليه ويتحملونه بمشقة وتعب، لأن الطاقة اسم للقدرة على الشيء مع الشدة والمشقة، والوسع اسم للقدرة على الشيء على جهة السهولة. قال الراغب: والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء، ومنه **{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** أي: ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه: "لا تحملنا ما لا قدرة لنا به". والعرب لا تقول: فلان أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمله بمشقة وعسر، فلا يقال مثلاً: فلان يطيق حمل نواة أو ريشة أو عشرة دراهم من حديد، وإنما يقال: هو يطيق حمل قنطارين أو حمل الأمتعة الثقيلة. وللعلماء أقوال في المراد بقوله تعالى: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ}** أشهرها:

1- أن هذا راجع إلى المقيم الصحيح خيره الله تعالى بين الصوم وبين الفداء، وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم في الإقطار والفدية، ثم نسخ ذلك وأوجب الله عليهم الصوم. ويشهد لهذا القول ما جاء في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت هذه الآية { **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ** } كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها. وفي رواية للإمام مسلم من طريق آخر عن سلمة أيضاً قال: كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية { **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** }

2- ويرى بعض العلماء أن قوله تعالى: { **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** } إرخ، ليس بمنسوخ، بل هو محكم، وأنه نزل في شأن الشيخ الكبير الهرم، والمرأة العجوز، إذا كانا لا يستطيعان الصيام، فعليهما أن يفطرا، وأن يطعما عن كل يوم مسكيناً. وأصحاب هذا الرأي يستدلون بما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ليست بمنسوخة. هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فعليهما أن يطعما مكان كل يوم مسكيناً " 3- وهناك رأى ثالث لبعض العلماء يرى أصحابه أن قوله تعالى: { **وَعَلَى**

الذین یطیقونہ فدیة طعام مسکین} لیس بمنسوخ أيضاً، بل هو محکم، وأن معنی الآیة عندهم: {وعلى الذین یطیقونہ}، أي: یقدرون على الصیام بمشقة شدیة إذا أرادوا أن یفطروا أن یطعموا عن کل یوم یفطرونه مسکیناً بأن یقدموا له نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر أو شعیر، أو قیمة ذلك. ولم یقصرُوا ذلك على الرجل الكبیر والمرأة العجوز - كما فعل أصحاب الرأی الثانی - وإنما أدخلوا فی حکم الذین یقدرون على الصوم بمشقة وتعب المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولدیهما، ومن فی حکمها ممن یشق علیهم الصوم مشقة كبیرة. وأصحاب هذا الرأی یتدلون على ما ذهبوا إليه بمنطوق الآیة، إذا أن الوسع اسم للقدرة على الشیء على جهة السهولة، والطاقة اسم للقدرة علیه مع الشدة والمشقة - كما سبق أن بینا -، كما یتدلون أيضاً على ما ذهبوا إليه بقراءة {یُطِيقُونَ} - بضم الیاء الأولى وتشدید الیاء الثانیة - أي: یتجشمونہ، ویتکلفونہ بمشقة وتعب، وقد انتصر بعض العلماء لهذا الرأی بناء على أن منطوق الآیة یؤیده. كما انتصر بعضهم للرأی الأول بناء على أن الأحادیث الصحیحة تسانده، وعلى أنه هو الأقرب إلى روح الشریعة الإسلامیة فی التدرج فی تشریع التكاليف التي فیها مشقة على الناس، كما انتصر بعضهم للرأی الثانی الذي روى عن ابن

عباس. وهناك أقوال أخرى في الآية رأينا أن نضرب عنها صفحاً لضعفها...
 وأعيد ذكر الرخصة في قوله تعالى: {ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من
 أيامٍ أخر}، لئلا يُتوهم من تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه خير، أنه قد صار
 متحتماً بحيث لا تتناوله الرخصة بوجه من الوجوه أو تتناوله ولكنها مفضولة،
 وفي ذلك عناية بأمر الرخصة، وأنها محبوبة له تعالى. وقوله تعالى: {يُرِيدُ
 اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} بيان الحكمة الرخصة. أي: شرع لكم
 سبحانه الفطر في حالتي المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر والسهولة،
 ولا يريد بكم العسر والمشقة. قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ
 الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} وفي
 الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى
 الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: " يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا،
 وتطاوعا ولا تختلفا ".

(خ: 2) (ع) - تكملة مظاهر التيسير في صيام رمضان: وقال: {أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ
 الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ
 تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ
 اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ

مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: 187] في (صحيح البخارى) - واللفظ له - حديث (1915) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ، فَتَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَبِيئَةٌ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187] فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} [البقرة: 187] في (التفسير الوسيط): (رَوَى بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَحَادِيثَ تَفِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا عِنْدَ مَا فَرَضَ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ. إِذَا أَفْطَرُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَقْرَبُونَ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَنَامُوا، فَإِذَا نَامُوا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَقَرَّبَانَ النِّسَاءِ حَتَّى يَفْطَرُوا مِنَ الْغَدِ. وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ

أحمد وابن جرير وابن حاتم عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه. قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام، حُرْم عليه الطعامُ والشرابُ والنساءُ حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: إني قد نمتُ، فقال: ما نمتِ ثم واقعها، وصنع كعب مثل ذلك. فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فنزلت... وجمهور المفسرين - كما يقول الإمام الرازي - على أن هذه الآية من قبيل النسخ، لأنها قد نُسخت ما كان حاصلًا في أول فرضية الصيام من أن الصائم إذا نام بعد فطره لا يحل له الأكل أو الشرب أو الجماع إلى أن يفطر من الغد. ويرى بعض العلماء أن الآية ليست من قبيل النسخ، وإنما هي إرشاد إلى ما شرعه الله تعالى لعباده خلال شهر الصوم من إباحة غشيان أزواجهن ليلاً، ومن جواز الأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكأن الصحابة كانوا يتخرجون عن ذلك ظناً منهم أنه من تنمة الصوم، ورأوا أن لا صبر لأنفسهم عن الأكل والشرب والجماع ليلاً، فبين الله لهم أن ذلك حلال لا حرج فيه. وأصحاب هذا الرأي يستشهدون لذلك بما رواه البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال

يخونون أنفسهم فأنزل الله تعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ} فالمقصود من الآية الكريمة عند هؤلاء رفع ما توهمه بعض الصحابة من أن الأكل أو الشرب أو الجماع لا يجوز ما داموا قد ناموا بعد فطرهم لأن الله تعالى رءوف رحيم بهم، ولم يشرع لهم ما فيه حرج أو مشقة عليهم. وعلى كلا القولين فالآية الكريمة تسوق لنا لونا من ألوان رحمة الله تعالى بعباده فيما شرع لهم من فرائض وأحكام. والمراد بليلة الصيام: الليلة التي يصبح فيها الإنسان صائماً دون تحديد ليلة معينة من شهر رمضان، فالإضافة لأدنى ملابس... والمعنى: أحل الله لكم في ليالي صومكم الإفضاء إلى نسائكم ومباشرتهن. وقوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} واردة مورد المقتضى لإباحة مباشرة النساء في ليالي الصيام، ذلك أن كلاً من الزوجين يسكن إلى صاحبه، ويكون من شدة القرب منه كالثوب الملابس له، وكانت العرب تسمى المرأة لباساً، وهذه حال تقوى معها الدواعي إلى المباشرة، فمن رفقته تعالى بعباده أن أحلها لهم ليلة الصيام. قال الراغب: جعل اللباس كناية عن الزوج لكونه سترًا لنفسه، ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس ستر عنه أن يبدو منه السوء... وقوله تعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ} جملة

معتزلة بين قوله: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ} وبين قوله: {فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ} الخ. وقد جيء بها لبيان حالهم بالنسبة إلى ما فرط منهم، وليبيان مظهر من مظاهر لطف الله بهم، ورحمته إياهم. وقوله: {تَخْتَانُونَ} قال الراغب: الاختيان مراودة الخيانة، ولم يقل: تخونون أنفسكم لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحرى الخيانة. وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} والمعنى: علم الله تعالى أنكم كنتم تراودون أنفسكم على مباشرة نسائكم ليلاً، وعلى الأكل بعد النوم، قبل أن يظهر الفجر الصادق، بل إن بعضكم قد فعل ذلك، فكان من رحمة الله بكم أن أباح الأكل والشرب والجماع في ليالي الصوم، وأن قبل توبتكم وعفا عنكم، أى: محا أثر ما فعلتموه من الأكل والجماع قبل أن يأذن لكم بذلك. وجملة {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} معطوفة على محذوف، والتقدير: فتبتم فتاب عليكم... وقوله تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } معطوف على {باشروهن} والمقصود من الخيط الأبيض: أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض في الأفق قبل انتشاره. والمقصود من الخيط الأسود: ما يمتد مع بياض الفجر من ظلمة الليل. والمعنى: لقد أبحنا لكم مباشرة النساء في ليالي الصوم، وأبحنا لكم

كذلك أن تأكلوا وأن تشربوا في هذه الليالي حتى يتبين لكم بياض الفجر من سواد الليل). وفي (التفسير الميسر) لُنُخْبَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: (أباح الله لكم في ليالي شهر رمضان جماعَ نساءكم، هنَّ ستر وحفظ لكم، وأنتم ستر وحفظ لهن. علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بمخالفة ما حرّمه الله عليكم من مجامعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام - وكان ذلك في أول الإسلام -، فتاب الله عليكم ووسّع لكم في الأمر، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدّره الله لكم من الأولاد، وكلوا واشربوا حتى يتبيّن ضياء الصباح من سواد الليل، بظهور الفجر الصادق، ثم أتموا الصيام بالإمساك عن المفطرات إلى دخول الليل بغروب الشمس. ولا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضي إلى جماعهن إذا كنتم معتكفين في المساجد؛ لأن هذا يفسد الاعتكاف - وهو الإقامة في المسجد مدة معلومة بنية التقرب إلى الله تعالى - تلك الأحكام التي شرعها الله لكم هي حدوده الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تقربوها حتى لا تقعوا في الحرام. بمثل هذا البيان الواضح يبين الله آياته وأحكامه للناس كي يتقوه ويخشوه).

الخطبة الثالثة: (رمضان شهر القرآن):

(خ: 1) (ع) 1-العلاقة القوية بين القرآن وصيام رمضان: قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: 185] في (تفسير ابن كثير): (يَمْدَحُ تَعَالَى شَهْرَ الصِّيَامِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ بِأَنِ اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ لِإِنزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَكَمَا اخْتَصَّهُ بِذَلِكَ قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَتْ الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ تَنْزُلُ فِيهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا عُمَرَانُ أَبُو الْعَوَامِ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَاثِلَةَ يَعْنِي ابْنَ الْأَسْقَعِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةِ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتْ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ لِالرَّابِعِ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ» - (قلت: أخرجه الإمام أحمد في مسنده. حديث (16984) وقال مُحققوه: حديث ضعيف. وذكره صاحب (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وفي هامشه: صحيح الجامع: 1497، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص 90. وقد روي من حديث جابر بن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثمانية عشرة، والباقي كما تقدم، رواه ابن مردويه. وأما

الصُّحُفُ وَالتَّوْرَاةُ وَالزَّبُورُ وَالْإِنْجِيلُ، فَنَزَلَ كُلُّ مِنْهَا عَلَى النَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّمَا نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنْ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: 1] وَقَالَ: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ}** [الدخان: 3] ثم نزل بعده مُفْرَقًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، كَمَا قَالَ إِسْرَائِيلُ عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمَجَالِدِ، عَنْ مَقْسَمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ عَطِيَّةَ بْنَ الْأَسْوَدِ فَقَالَ: وَقَعَ فِي قَلْبِي الشُّكُّ، قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}** وَقَوْلُهُ: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ}** [الدخان: 3] وَقَوْلُهُ: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}** [القدر: 1] وَقَدْ أُنْزِلَ فِي سُؤَالٍ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ، وَفِي الْمُحَرَّمِ وَصَفَرٍ وَشَهْرِ رَبِيعٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ تَرْتِيبًا فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَهَذَا لَفْظُهُ. وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي النُّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجُعِلَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً لِحَوَابِ كَلَامِ النَّاسِ، وَفِي رِوَايَةِ

عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، عَلَى هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ اللَّهُ يُحَدِّثُ لِنَبِيِّهِ مَا يَشَاءُ وَلَا يَجِيءُ الْمُشْرِكُونَ بِمَثَلٍ يُخَاصِمُونَ بِهِ إِلَّا جَاءَهُمُ اللَّهُ بِجَوَابِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 32]. وَقَوْلُهُ: {هُدًى لِلنَّاسِ لِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} هَذَا مَدْحٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ هَدًى لِقُلُوبِ الْعِبَادِ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ وَبَيَّنَاتٍ. أَي: دَلَائِلَ وَحُجَجَ بَيِّنَةً وَاضِحَةً جَلِيَّةً لِمَنْ فَهَمَهَا وَتَدَبَّرَهَا دَالَّةً عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى الْمُنَافِي لِلضَّلَالِ، وَالرُّشْدِ الْمُخَالَفِ لِلغَيِّ، وَمُفْرَقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ). وَفِي (صحيح البخارى) الأحاديث (6 - 1902 - 3220 - 3554 - 4997) وَلَفْظُ أُولَئِكَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 50 - (2308) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ:

أَيُّ رَبِّ، مَنْعَتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَّعَنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعَتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعَنِي فِيهِ "، قَالَ: " فَيُشَفَّعَانِ " قال مُحَقِّقُوهُ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. وَذَكَرَهُ صَاحِبُ (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وقال في هامشه: انظر (صحيح الجامع: 3882)، (صحيح التَّزْغِيْبِ وَالتَّزْهِيْبِ: 984) فِي (لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ): (فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم والنظر المحرم والسماع المحرم والكسب المحرم فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة ويقول: يا رب منعه شهواته فشفعني فيه فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته. فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني كما ورد مثل ذلك في الصلاة قال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن، يقال للملك: شم رأسه قال: أجد في رأسه القرآن، فيقال: شم قلبه فيقول: أجد في قلبه الصيام فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد في قدميه القيام، فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عز وجل. وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل فأما من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له. وقد ذكر النبي

صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال: "ذاك لا يتوسد القرآن" - يعني لا ينام عليه فيصير له كالوسادة - وخرج الإمام أحمد من حديث بريدة مرفوعاً: "إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حتى ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وكل تاجر من وراء تجارته فيعطي المُلْك بيمينه، والخُلْد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ حدرًا كان أو ترتيلًا" وفي حديث عبادة بن الصامت الطويل: "إن القرآن يأتي صاحبه في القبر فيقول له: أنا الذي كنتُ أسهر ليلك، وأظمىء نهارك، وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدني من الأخلاء خليل صدق. ثم يصعد فيسأل له فراشًا ودثارًا فيؤمر له بفراش من الجنة، وقنديل من الجنة، وياسمين من الجنة. ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك".

(ع)2-الترغيبُ في العمل بالقرآن والترهيبُ من مخالفة القرآن: قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 121] في (تفسير ابن كثير): (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: يُحِلُّونَ حَلَالَهُ وَيَحْرُمُونَ حَرَامَهُ وَلَا يُحَرِّفُونَهُ عَنِ

مَوَاضِعِهِ... عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ قَالَ: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ،) وفي (أخلاق أهل القرآن) لللاجري: (عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} قَالَ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ) وفي صحيح مسلم. حديث 253 - (805) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَهَاجِرٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرَشِيِّ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُوتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتَهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظَلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَانَهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبِهِمَا» وفي صحيح مسلم أيضا. حديث 269 - (817) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بَعْسَفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنُ أَبِي، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِي؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخَلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِيٌّ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ:

أَمَّا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». في (دليل الفالحين): ("إن الله يرفع" رفعة معنوية "بهذا الكتاب" هو القرآن "أقوامًا" هم الذين آمنوا به، وائتموا بسائر ما اشتمل عليه "ويضع" أي: يخفض "به آخرين" هم من صدّ عن الإيمان به، أي لم يقف عند حدوده.) و وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَا حِلٌّ - أي: مُجَادِلٌ وَمُدَافِعٌ - مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ " (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وفي هامشه: صَحِيحُ الْجَامِعِ: 4443 الصَّحِيحَةَ: (2019) وعن سهل بن مُعَاذِ الْجُهَنِيِّ عن أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلْبَسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا "أَبُو دَاوُدَ. حَدِيثٌ (1453) قَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. عَنْ ظَنِّكُمْ بِالذِّي عَمِلَ بِهَذَا؟ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَظَهَرَهُ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ» سُنُّنُ التِّرْمِذِيِّ. حَدِيثٌ (2905) [حَكَمُ الأَلْبَانِيِّ]: ضَعِيفٌ

جداً. وفي (صحيح البخارى) حديث (1386) عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» وفيه: "وَالَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَدِّحُ رَأْسَهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ" ومن كتابى (محطات الألم): () وفى (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي: (6- قال أنس بن مالك: رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ يَلْعَنُهُ. 7- وقال ميسرة: الغريب هو القرآن في جوف الفاجر. 8- وقال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن. 9- وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن، ثم خلط، ثم عاد فقراً، قيل له: مالك ولكلامي؟ 10- وقال ابن الرماح: ندمتُ على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يُسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة. 11- وقال بعض السلف: إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها. ف قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إذا أحل حلالها وحرّم حرامها، صَلَّتْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا لَعَنَتْهُ. 12- وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتْلُو الْقُرْآنَ فَيَلْعَنُ نَفْسَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ يَقُولُ: {أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظالمين} وَهُوَ ظَالِمٌ نَفْسَهُ، أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكاذبين، وهو منهم. -

قلتُ: (لا توجد آية بهذا اللفظ، وإنما جاء في سورة النور. الآية: 7} **وَالْخَامِسَةُ** **أَنَّ لَعَنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** {) - 13- وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل. وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار. 14- وقال ابن مسعود: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدكم ليقراً القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به.)

(ع) 3- الأدب مع القرآن: في (التبيان في آداب حملة القرآن) للإمام النووي: (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبخزئه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار. وعن الفضيل بن عياض قال: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضاً قال: حامل

القرآن حامل راية الإسلام. لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيمًا لحق القرآن.)

(خ: 2) (ع) 4-تعاملُ السلف الصالح مع القرآن في رمضان وفي غيره: في (لطائف المعارف): (وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليالٍ، وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشرة. منهم أبو رجاء العطاردي. وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها. كان الأسود يقرأ في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان. وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان. فإذا طلعت الشمس

نامث. وقال سفیان: كان زبید الیامی إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إلیه أصحابه، وإنما ورد النهی عن قراءة القرآن فی أقل من ثلاث علی المداومة علی ذلك، فأما فی الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً اللیالی التي یطلب فیها لیلة القدر أو فی الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غیر أهلها فیستحب الإكثار فیها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان.) وفي (التخويف من النار) لابن رجب (وسمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رجلاً یتهدج فی اللیل ویقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلی قوله تعالی: {إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع} [الطور: 7-8] قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلی منزله، فمرض شهراً یعوده الناس، لا یدرون ما مرضه.) وفي (الإحیاء): (وكان الفضیل بن عیاض إذا قرأ {ولنبلونكم حتی نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم} [محمّد: 31] یبکی ویرددھا ویقول: إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.) وفي (تفسیر النسفی): (وعن الأصمعی أنه قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابی علی قعود فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني أصم. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع یتلى فیہ كلامُ الله. قال: اتل علیّ، فتلوتُ {والذاریات} فلما بلغتُ قوله: {وفي السماء رزقكم وما توعدون} [الذاریات: 22]، قال: حسبك

فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على مَنْ أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وولّى. فلما حججتُ مع الرشيد، وطفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوتٍ رقيقٍ فالتفتُ فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم عليّ واستقرأ السورة. فلما بلغت الآية، صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأتُ: { **فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ** } [الذاريات: 23] فصاح وقال: ياسبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى حلف؟ قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه.)

الخطبة الرابعة: (رَمَضَانُ شَهْرُ الْجُودِ):

(خ: 1) (ع1-زيادةُ جُودِ النَّبِيِّ فِي رَمَضَانَ: في (صحيح البخارى)
 الأحاديث (6 - 1902 - 3220 - 3554 - 4997) ولفظُ آخرها: عَنِ ابْنِ
 عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ
 بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ جَبْرِيْلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيْلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» وأخرجه
 مسلمٌ. حديث 50 - (2308) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ
 رَمَضَانَ، إِنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى
 يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيْلُ
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ
 الْمُرْسَلَةِ» في (فتح البارى): (قوله: "فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ" قيل: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ
 مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ تُجَدِّدُ لَهُ الْعَهْدَ بِمَزِيدٍ غِنَى النَّفْسِ، وَالْغِنَى سَبَبُ
 الْجُودِ. وَالْجُودُ فِي الشَّرْعِ إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْبَغِي. وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ
 الصَّدَقَةِ. وَأَيْضًا فَرَمَضَانُ مَوْسِمُ الْخَيْرَاتِ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِيهِ زَائِدَةٌ

عَلَى غَيْرِهِ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ مُتَابَعَةً سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ. فَبِمَجْمُوعِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَقْتِ، وَالْمَنْزُولِ بِهِ، وَالنَّازِلِ وَالْمُذَاكِرَةِ، حَصَلَ الْمَزِيدُ فِي الْجُودِ، وَالْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. قَوْلُهُ: " فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الْفَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ وَاللَّامُ لِلْإِبْتِدَاءِ وَزِيدَتْ عَلَى الْمُبْتَدَأِ تَأَكِيدًا أَوْ هِيَ جَوَابُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ. " وَالْمُرْسَلَةُ " أَي: الْمَطْلَقَةُ. يَعْنِي أَنَّهُ فِي الْإِسْرَاعِ بِالْجُودِ أَسْرَعُ مِنَ الرِّيحِ. وَعَبَّرَ بِالْمُرْسَلَةِ إِشَارَةً إِلَى دَوَامِ هُبُوبِهَا بِالرَّحْمَةِ، وَإِلَى عُمُومِ النَّفْعِ بِجُودِهِ كَمَا تَعْمُرُ الرِّيحُ الْمُرْسَلَةُ جَمِيعَ مَا تَهْبُّ عَلَيْهِ. وَوَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي آخِرِ هَذَا الْحَدِيثِ: " لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ " وَتَبَتَّتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: " مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَقَالَ: لَا ". وَفِيهِ أَيْضًا: (وَمَعْنَى " أَجُودِ النَّاسِ " أَكْثَرَ النَّاسِ جُودًا، وَالْجُودُ الْكَرَمُ. وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ.) وَفِيهِ أَيْضًا: (قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ: وَجْهُ التَّشْبِيهِ بَيْنَ أَجُودِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَيْرِ وَبَيْنَ أَجُودِيَّةِ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرِّيحِ رِيحَ الرَّحْمَةِ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِإِنْزَالِ الْغَيْثِ الْعَامِّ الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا لِإِصَابَةِ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ وَغَيْرِ الْمَيْتَةِ. أَي: فَيَعْمُرُ خَيْرُهُ وَبِرُّهُ مَنْ هُوَ بِصِفَةِ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، وَمَنْ هُوَ بِصِفَةِ الْغِنَى وَالْكَفَايَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْمُرُ الْغَيْثُ النَّاشِئَةُ عَنِ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.) وَفِي (شرح النووى على صحيح

مُسْلِم): (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدٌ مِنْهَا: بَيَانُ عِظَمِ جُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ اكْتِسَابِ الْجُودِ فِي رَمَضَانَ، وَمِنْهَا: زِيَادَةُ الْجُودِ وَالْخَيْرِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الصَّالِحِينَ وَعَقَبَ فِرَاقِهِمْ لِتَأَثُّرِ بِلِقَائِهِمْ، وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ مَدَارَسَةِ الْقُرْآنِ).

(ع)2- أمثلةٌ من جود النبيّ وغيره من السلف الصالح: فى (لطائف المعارف): (وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجواد- ولا يصلح أن يكون ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم-

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله)

(تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله)

(هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله)

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتيق الله سائله))

وفيه أيضاً: (ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه- صلى الله عليه وسلم- على أكمل الأخلاق وأشرفها كما فى حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وذكره مالك فى الموطأ بلاغا: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم. وخرج ابن عدي بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا: "ألا أخبركم بالأجود الأجود؟

الله الأجود الأجود. وأنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه. يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله" فذلك هذا على أنه صلى الله عليه وسلم أجود بني آدم على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة. وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم. ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ. ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة، وتضاعفت أضعافاً كثيرة. وفي الصحيحين عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس. وفي صحيح مسلم عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. وفي رواية: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاه إياه

فأتى قومه فقال: "يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء ما يخاف الفقر" قال أنس: إن كان الرجل يُسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. وفيه أيضاً عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إليّ. فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ. قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. وفي مغازي الواقدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذٍ وادياً مملوءاً إبلاً ونعماً؛ فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي. وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم: أن الأعراب علقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال: "لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جبناً" وفيهما عن جابر قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال: لا، وأنه قال لجابر: "لو جاءنا مال البحرين، لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا" وقال: بيديه جميعاً. وخرَّج البخاري من حديث سهل بن سعد: إن شملة أُهديت للنبي صلى الله عليه وسلم فلبسها - وهو محتاج إليها - فسأله إياها رجل فأعطاه فلامه الناس، وقالوا: كان محتاجاً إليها، وقد علمت أنه لا يرد سائلاً فقال: إنما سألتها

لتكون كفني، فكانت كفه. وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله، وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج أو ينفقه في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه. وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار. وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاه صبي مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقي من خدمة البيت وطلبت منه خادمًا يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال: "لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع" وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تضاعف فيه أيضًا فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة. وذكر ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرًا، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر شهر رمضان خرج إلى حراء كما يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى برسالته ورحم

العباد بها، جاءه جبريل من الله عز و، جل ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب له خُلُقًا بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه، ويمتنع مما زجر عنه. فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والوجود. ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقًا من المخالطة... وفي تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة: منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه وفي الترمذي عن أنس مرفوعا: "أفضل الصدقة صدقة رمضان". ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم كما أن من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا. وفي حديث زيد بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من فطر صائمًا، فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء" خرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه. وخرجه الطبراني من

حديث عائشة وزاد: "وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه" وخرج ابن خزيمة في صحيحه من حديث سلمان مرفوعاً حديثاً في فضل شهر رمضان وفيه: "وهو شهر المواساة. وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن. من فطر فيه صائماً، كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبتة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء" قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم؟ قال: "يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء. ومن أشبع فيه صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة". ومنها: أن شهر رمضان شهر وجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لا سيما في ليلة القدر. والله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء" فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه بالعتاء والفضل. والجزاء من جنس العمل. ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" وهذه الخصال كلها تكون في رمضان

فیجتمع فیہ للمؤمن الصیام والقیام والصدقة وطیب الکلام فإنه ینهى فیہ الصائم عن اللغو والرفث. والصیام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل. قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصیام یوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بیده فتدخله علی الملك. وفي صحیح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله علیه وسلم أنه قال: "من أصبح منكم الیوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا قال: من تبع منكم الیوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا قال: من تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا قال: "فمن عاد منكم مریضًا؟" قال أبو بكر: أنا قال: "ما اجتمعن فی امری إلا دخل الجنة". ومنها: أن الجمع بین الصیام والصدقة أبلغ فی تكفیر الخطایا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها وخصوصًا إن ضم إلى ذلك قیام اللیل فقد ثبت عن رسول الله صلى الله علیه وسلم أنه قال: "الصیام جنة" وفي رواية: "جنة أحدكم من النار كجنته من القتال" وفي حدیث معاذ عن النبي صلى الله علیه وسلم قال: "الصدقة تطفیء الخطیئة كما یطفیء الماء النار. وقیام الرجل من جوف اللیل یعنی أنه یطفیء الخطیئة" أيضًا. وقد صرح بذلك فی رواية الإمام أحمد. وفي الحدیث الصحیح عنه صلى الله علیه وسلم أنه قال: "اتقوا النار ولو بشق تمره" كان أبو الدرداء یقول: صلوا فی ظلمة اللیل

ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشريومٍ عسيرٍ... ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله. فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم، كان بمنزلة من ترك شهوة لله وأثر بها أو واسى منها. ولهذا يشرع له تفتير الصوم معه إذا أفطر لأن الطعام يكون محبوباً له حينئذ فيواسي منه حتى يكون من أطمع الطعام على حبه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه إياه فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها. وسئل بعض السلف: لِمَ شُرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع. وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده. وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمان وفيه: "وهو شهر المواساة" فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه، فلا يعجز عن درجة أهل المواساة. كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون. كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين. فإذا منعه أهله عنهم، لم يتعش تلك الليلة. وكان إذا جاءه سائل - وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً. واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً - وكان صائماً - فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول: من

يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات فقام فأخذ الصحيفة فخرج بها إليه، وبات طويلاً. وجاء سائلٌ إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغبين كان يعدهما لفظه. ثم طوى وأصبح صائماً. وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ويجلس يروحهم وهم يأكلون. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.)

(ع) 3- الجودُ من صفات الله تعالى: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا " (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وفي هامشه: (صحيح الجامع: 1744، الصَّحِيحَة: 1378) وفي (المُسند) حديث (21367) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي أَقْدِرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفِرْنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَلَا أَبَالِي، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَعْنَيْتُ، فَاسْأَلُونِي أُغْنِكُمْ. وَلَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيِّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِي، مَا نَقَصَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبٍ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي،

مَا زَادَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيْكُمْ وَمَيْتَكُمْ،
 وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا، فَسَأَلَنِي كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أَمْنِيَّتُهُ،
 فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ، مَا نَقَصَنِي، كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ
 فَعَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ انْتَزَعَهَا، كَذَلِكَ لَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِي، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَا جِدُّ
 صَمْدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ
 "قال مُحققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف. وفي (سنن
 الترمذی) حديث (2799) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ
 قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْيَاسِ، وَيُقَالُ ابْنُ يَاسٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانٍ، قَالَ:
 سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ
 النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنَظَّفُوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنِيَّتَكُمْ وَلَا
 تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ
 بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ، إِلَّا
 أَنَّهُ قَالَ: «نَظَّفُوا أَفْنِيَّتَكُمْ» هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَخَالِدُ بْنُ الْيَاسِ يُضَعَّفُ. [حكم
 الألباني]: ضعيف. وفي (إغاثة اللفهان): (وهو الجواد الماجد، الذي له الجود
 كله، وجود جميع الخلائق في جنب وجود أقل من ذرة في جبال الدنيا
 ورمالها.) وفي (حادی الأرواح): (فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن

يسئل ويطلب منه ويرغب إليه فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله وذلك لمحبتته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل:

(اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سَأْأَلَهُ ... وَبُنِيَ آدَمُ حِينَ يَسْأَلُ يَغْضَبُ) وَأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ لَهُ سَأْأَلًا، وَهُوَ يَحِبُّ الْمَلْحِينَ فِي الدَّعَاءِ. وَكَلِمَا أَلْحَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فِي السَّأْأَلِ، أَحَبُّهُ، وَقُرْبُهُ، وَأَعْطَاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ" وَفِي (المدارج): (أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّهُ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَحِلْمُهُ عُقُوبَتَهُ، وَعَفْوُهُ مُؤَاخَذَتَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ النُّعْمَةَ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ وَالْجُودَ وَالْعَطَاءَ وَالْبِرَّ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِهِ، وَالْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْهُ، وَالْجُودَ كُلَّهُ لَهُ، وَأَحَبُّ مَا إِلَيْهِ أَنْ يَجُودَ عَلَى عِبَادِهِ وَيُوسِعَهُمْ فَضْلًا، وَيَغْمُرَهُمْ إِحْسَانًا وَجُودًا، وَيَتِمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، وَيُضَاعِفَ لَدَيْهِمْ مِثَّتَهُ، وَيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِأَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِنِعْمِهِ وَالْآيَةِ. فَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، وَجُودٌ كُلُّ جَوَادٍ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَيَخْلُقُهُ أَبَدًا أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى جُودِهِ، فَلَيْسَ الْجَوَادُ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا هُوَ، وَجُودٌ كُلُّ جَوَادٍ فَمِنْ جُودِهِ، وَمَحَبَّتُهُ لِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْبِرِّ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ فَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْخَلْقِ، أَوْ يَدُورُ فِي

أَوْهَامِهِمْ، وَفَرَحُهُ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ وَإِفْضَالِهِ أَشَدُّ مِنْ فَرَحِ الْآخِذِ بِمَا يُعْطَاهُ وَيَأْخُذُهُ، أَحْوَجُ مَا هُوَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مَا كَانَ قَدْرًا، فَإِذَا اجْتَمَعَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَعَظْمُ قَدْرِ الْعَطِيَّةِ وَالنَّفْعِ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِفَرَحِ الْمُعْطِي؟ فَفَرَحِ الْمُعْطِي سُبْحَانَهُ بِعَطَائِهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ فَرَحِ هَذَا بِمَا يَأْخُذُهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، إِذْ هَذَا شَأْنُ الْجَوَادِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالِابْتِهَاجِ وَاللَّذَّةِ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ فَوْقَ مَا يَحْصُلُ لِمَنْ يُعْطِيهِ، وَلَكِنَّ الْآخِذَ غَائِبٌ بِلَذَّةِ أَخْذِهِ، عَنْ لَذَّةِ الْمُعْطِي، وَابْتِهَاجِهِ وَسُرُورِهِ، هَذَا مَعَ كَمَالِ حَاجَتِهِ إِلَى مَا يُعْطِيهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ وَثُوقِهِ بِاسْتِخْلَافِ مِثْلِهِ، وَخَوْفِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَهَابِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِدُلِّ الْإِسْتِعَانَةِ بِنَظِيرِهِ وَمَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَفْسُهُ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ. فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ، وَأَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرِهِمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَرَطْبَهُمْ وَيَابِسَتَهُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا سَأَلَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. وَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ الْحَيُّ لِذَاتِهِ، الْعَلِيمُ لِذَاتِهِ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لِذَاتِهِ، فَجُودُهُ الْعَالِي مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ، وَالرَّحْمَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَالْفَضْلُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَعِ. (وفي لطائف المعارف): (وفي الأثر المشهور عن فضيل بن عياض:

أن الله تعالى يقول كل ليلة: أنا الجواد ومني الجود أنا الكريم ومني الكرم فالله سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان. وفيه أنزل قوله: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** [البقرة: 186] وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: "أنه ينادي فيه منادياً يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر" ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة". (وفي طبقات ابن سعد): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ. أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "كَانَتْ خَصْلَتَانِ لَا يَكِلُهُمَا إِلَيَّ أَحَدٌ: الْوُضُوءُ مِنَ اللَّيْلِ حِينَ يَقُومُ. وَالسَّائِلُ يَقُومُ حَتَّى يُعْطِيَهُ" ... وعن عائشة -رضي الله عنها- وَلَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَكِلُ صَدَقَتَهُ إِلَى غَيْرِ نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَضَعُهَا فِي يَدِ السَّائِلِ. وَلَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَّ وَضُوءَهُ إِلَى غَيْرِ نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُهَيِّئُ وَضُوءَهُ لِنَفْسِهِ حَتَّى يَقُومَ مِنَ اللَّيْلِ.)

(ع) 4- فضائل الجود والإنفاق والأمر بهما في الكتاب والأحاديث: قال تعالى: **{... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُنْفِسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}** [البقرة: 272] وقال: **{ خُذْ مِنْ**

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {التَّوْبَةُ: 103} وقال: { ... وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ

خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: 39]

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا أَدَّى رَجُلٌ زَكَاةَ مَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ" (الجامع الصحيح للسنن والمسنايد) في هامشه: انظر صحيح التَّزْهِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (743)

2- وَفِي (صحيح ابن خزيمة) حديث (2258) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ، فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرُّهُ» [التعليق]: قال الألباني: إسناده ضعيف ابن جريج وأبو الزبير هما مدلسان وقد عنعنا. وهو مخرج في الضعيفة (2218)

3- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "عَادَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِلَالًا"، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صَبْرًا مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟"، قَالَ: تَمْرٌ أَدَخَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَمَا خِفْتَ أَنْ تَسْمَعَ لَهُ بُخَارًا فِي جَهَنَّمَ؟ أَنْفَقَ بِلَالٌ، وَلَا تَخَافَنَّ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَالًا" (الجامع الصحيح للسنن والمسنايد) في

هامشه: (صَحِيحُ الْجَامِعِ: 1512، الصَّحِيحَةُ: 2661 صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: 922)

4- وفي صحيح مسلم. حديث 24 - (987) وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ يَعْنِي ابْنَ مَيْسِرَةَ الصَّنَعَانِيَّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ أَبَا صَالِحٍ ذَكْوَانَ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْ فَرَمًا كَانَتْ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ، وَلَا جَلْحَاءٌ، وَلَا

عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأَطْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»

(خ: 2) (ع) 5- صدقة الفطر: قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} {الأعلى: 14 - 15} في (تفسير القرطبي): (وَرُوِيَ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَابْنِ عُمَرَ: أَنَّ ذَلِكَ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ، وَصَلَاةِ الْعِيدِ. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَرَوْنَ صَدَقَةً أَفْضَلَ مِنْهَا، وَمِنْ سِقَايَةِ الْمَاءِ. وَرَوَى كَثِيرٌ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} قَالَ: أَخْرَجَ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ. وَفِي (صحيح البخارى) الحديثين (1503 - 1512 -) ولفظ أولهما: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْرًا بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ» وأخرجه مسلمٌ. حديث 13 - (984) بلفظ قريبٍ. وأخرجه أبو داود. حديث (1609) بلفظ: عن ابن عباسٍ

قال: " فرض رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغُو وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّأَهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّأَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ" قال شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ: إسناده حسن. في (لطائف المعارف): (وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والإستغفار يرفع ما تحرق من الصيام باللغو والرفث. ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إن صدقة الفطر للصائم كسجدة السهو للصلاة.) في (فقه السنّة): (زكاة الفطر:

أي: الزكاة التي تجب بالفطر من رمضان. وهي واجبة على كل فرد من المسلمين، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى، حر أو عبد...

حكمتها: شرعت زكاة الفطر في شعبان، من السنة الثانية من الهجرة لتكون طهرة للصائم، مما عسى أن يكون وقع فيه، من اللغو، والرفث، ولتكون عوناً للفقراء، والمعوزين...

على من تجب؟: تجب على الحر المسلم، المالك لمقدار صاع، يزيد عن قوته وقوت عياله، يوماً وليلة. وتجب عليه، عن نفسه، وعن تلزمه نفقته، وزوجته، وأبنائه، وخدمه الذين يتولى أمورهم، ويقوم بالإنفاق عليهم.

قدرها: الواجب فی صدقة الفطر صاع - الصاع أربعة أمداد. والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين ويساوي قدحًا وثلث قدح أو قدحين - من القمح، أو الشعير، التمر، أو الزبيب، أو الأقط - لبن مجفف لم تنزع زبدته -، أو الأرز، أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتًا. وجوز أبو حنيفة إخراج القيمة. وقال: إذا أخرج المزكي من القمح، فإنه يجزئ نصف صاع...

متى تجب؟: اتفق الفقهاء على أنها تجب في آخر رمضان، واختلفوا في تحديد الوقت، الذي تجب فيه. فقال الثوري، وأحمد، وإسحاق، والشافعي في الجديد، وإحدى الروایتين عن مالك: إن وقت وجوبها، غروب الشمس، ليلة الفطر، لأنه وقت الفطر من رمضان. وقال أبو حنيفة، والليث، والشافعي، في القديم، والرواية الثانية عن مالك: إن وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد. وفائدة هذا الاختلاف، في المولود يُولد قبل الفجر، من يوم العيد، وبعد مغيب الشمس، هل تجب عليه أم لا تجب؟ فعلى القول الأول لا تجب، لأنه وُلد بعد وقت الوجوب، وعلى الثاني: تجب، لأنه وُلد قبل وقت الوجوب. **تعجيلها عن وقت الوجوب:** جمهور الفقهاء على أنه يجوز تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم، أو بيومين. قال ابن عمر رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر، أن تؤدى قبل خروج الناس إلى

الصلاة. قال نافع: وكان ابن عمر يؤديها، قبل ذلك، باليوم، أو اليومين. واختلفوا فيما زاد على ذلك. فعند أبي حنيفة: يجوز تقديمها على شهر رمضان. وقال الشافعي: يجوز التقديم من أول الشهر. وقال مالك ومشهور مذهب أحمد: يجوز تقديمها يومًا أو يومين. واتفقت الأئمة على أن زكاة الفطر لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب، بل تصير دَيْنًا في ذمة من لزمته، حتى تؤدي، ولو في آخر العمر. واتفقوا: على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد، إلا ما نقل عن ابن سيرين، والنخعي، أنهما قالوا: يجوز تأخيرها عن يوم العيد، وقال أحمد: أرجو أن لا يكون به بأس. وقال ابن رسلان: إنه حرام بالاتفاق، لأنها زكاة، فوجب أن يكون في تأخيرها إثم، كما في إخراج الصلاة عن وقتها. وقد تقدم في الحديث: "من أداها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات"

مصرفها: مصرف الزكاة، أي: أنها توزع على الأصناف الثمانية المذكورة في آية: **{إنما الصدقات للفقراء}** والفقراء هم أولى الأصناف بها، لما تقدم في الحديث: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، طهرة للصائم، من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين.

خُطْبُ شَهْرِ شَوَّالٍ:

الْخُطْبَةُ الْأُولَى: (عِيدُ الْفِطْرِ):

(خ: 1) (ع) 1- ما تَعَلَّمْنَا مِنْ رَمَضَانَ: كانَ رَمَضَانُ شَهْرَ تَدْرِيبٍ عَلَى الطَّاعَةِ: تَعَلَّمْنَا مِنْهُ الْكَثِيرَ: فَمِنْ ذَلِكَ: التَّقْوَى وَالصَّبْرَ وَالْجُودَ وَمُجَاهِدَةَ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

(ع) 2- الْأَعْيَادُ فِي السَّلَامِ وَالْفَرَحِ الْمَشْرُوعُ: فِي (السُّنَنِ الصُّغْرَى) لِلنِّسَائِيِّ. حَدِيثُ (1556) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ: " كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ الْأَضْحَى " [حَكَمُ الْأَلْبَانِيِّ]: صَحِيحٌ. وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) الْحَدِيثَيْنِ (952- 3931) وَلَفْظُ أَوْلَهُمَا: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْرَايِرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا» وَأَخْرَجَهُ

مُسْلِمٌ. حَدِيثُ 16 - (892) بَلْفِظُ: عَنِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ، تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِزْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا» وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) أَيْضًا. الْحَدِيثَيْنِ (987-3529) وَلَفِظُ أَوْلَهُمَا: عَنِ عُرْوَةَ، عَنِ عَائِشَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامٍ مَنَى تُدْفِقَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَشِّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مَنَى» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثُ 17 - (892) بَلْفِظُ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ، حَدَّثَهُ عَنِ عُرْوَةَ، عَنِ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامٍ مَنَى، تُغْنِيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْجَى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَقَالَ: «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ» وَقَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرْنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ

وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَأَقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ» في (فتح المنعم شرح صحيح مسلم) ل/موسى شاهين لاشين: (وإذا كان الإسلام قد استفتح أيام العيد بالتكبير والتهليل والذكر والصلاة والخطبة، فإنه شرع من البهجة والسرور والمرح في هذه الأيام، ما يلبي حاجة الجسم ورغبة النفس، وإذا كان الوقار قد وضع كبار المسلمين في إطار ديني يترفع بهم عن اللهو فإنه حال بينهم وبين التحكم ومنع ذوي الأهواء والمتع من الصبية والجواري والشباب والشابات من أن يتمتعوا ويمرحوا وينعموا باللهو واللعب والأغاني إلى حد ما. نعم. ما أعظم سمو الإسلام، وما أجمل سماحته ويسره ورقته وعطفه. يتجلى هذا في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهله يوم العيد، وفي معاملته لعائشة بالذات -رضي الله عنها-، لقد تزوجها صغيرة، فقدر حاجتها إلى هذا اللون من الحياة كان يراها تلعب بالصلصال، وترسم به البيوت والحيوان، فيضاحكها ويبتسم ويدخل عليها في أيام العيد، في أيام التشريق، فيجد معها جاريتين تضربان الدف وتغنيان، وعائشة تسمع وتتنشي وتهتز طرباً وسروراً، فلا يلتفت إليهن لئلا يحرجهن، ويعرض عنهن حتى يتيح لهن المضي في لهوهن، وينتحي ناحية من البيت، ينام فيها على فراشه بعيداً عنهن، ويغطي رأسه ووجهه حتى لا يسمع الطبل

والغناء. ويدخل أبو بكر أبوها، وهو يعلم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ينبغي أن يكون عليه حال بيته من الإجلال والوقار، فيرى الجاريتين، ويسمع الدف والغناء فينهر عائشة ويزجر الجاريتين، مزماره الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هذا لا يليق، ويكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه، ويوجه اللوم إلى أبي بكر، دعهما يا أبا بكر، فلكل قوم عيد، واليوم من أعيادنا، ويغتفر في الأعياد ما لا يغتفر في غيرها، وينشغل أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنتهز عائشة هذه الفرصة فتغمز الجاريتين فتتنصرفان. ألا يعجب أعداء الإسلام إلى هذا الجمع بين السماحة وبين الوقار والالتزام؟ حقاً إنه الإسلام. ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بالاستجابة إلى رغبة زوجته، وبالإغضاء عن لئها في بيت النبوة، بل يتجاوز ذلك إلى أن يدعوها لرؤية الله وسماعه ويشجعها ويساعدها عليه. سمع في يوم عيد صوت صبيان فنظر من باب بيته نحو الصوت، فرأى رجالاً من الحبشة يلعبون بالعصى، كأن بعضهم يضرب بعضاً ويحاول المضروب أن يحمي نفسه من العصا بعرض عصاه وهي لعبة معروفة في البلاد، يرى ذلك فينادي عائشة: هل تحبين رؤية الحبشة يرقصون ويلعبون بالعصى؟ فتقول: نعم أحب ذلك. فيقول لها: تعالى، وقفي

ورائي، وانظري وأنت تتسترين بي، فتضع رأسها على كتفه، وخدها على خده، تنظر إلى الحبشة من بين كتفه وأذنه صلى الله عليه وسلم، فإذا طال الوقت سألتها: أيكفيك ذلك؟ فتقول: لا تعجل، فإني ما زلت أرغب، فينتظر ثم يقول: أيكفيك ذلك؟ فتقول: لا تعجل، فما زلت أرغب، فينتظر حتى تسأم هي، وتطلب الانصراف، فينصرف بها صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة أجمعين. (تغنيان بما تناولت به الأنصار يوم بعث) وفي ملحق الرواية: "تلعبان بدف" وفي الرواية الثانية: "تغنيان وتضربان" وفي رواية: "تدفان" أي تضربان بالدف، وفي رواية النسائي: "بدفين" والدف بضم الدال وفتحها، والضم أشهر ويقال له: الكربال بكسر الكاف، وهو الذي لا جلاجل فيه، فإن كانت فيه جلاجل فهو المزهر، وكان الجاريتين تضرب كل منهما على دف، وترققان صوتهما بالأقوال والأشعار التي قالها الأنصار بعضهم لبعض، من فخر، أو هجاء. والغناء بكسر الغين ما يسمع، وبفتح الغين النفع. و"بعث" بضم الباء وتخفيف العين، ونقل بالغين المعجمة، وهو ممنوع من الصرف، وقد يصرف، وهو اسم حصن للأوس وحوله مزرعة لهم. ويوم بعث يوم مشهور من أيام العرب في الجاهلية، كانت فيه مقتلة عظيمة، وانتصر فيه الأوس على الخزرج، ولحسان بن ثابت وغيره

من الخزرج، وكذا لقيس بن الحطيم وغيره من الأوس في ذلك أشعار كثيرة. (وليستا بمغنيتين) أي لم تتخذا الغناء صناعة وعادة، ولم تعرفا به. (أبزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) وفي رواية أحمد: "فقال: يا عباد الله. المزمور عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟". والمزمور بضم الميم الأولى وفتحها، ويقال له أيضاً: مزمار بكسر الميم، مشتق من الزمير، وهو الصوت بصفير. وقال ابن سيده: يقال: زمر يزمر زميراً وزمراناً، غنى في القصب. وفي كتاب ابن التين: الزمر الصوت الحسن، ويطلق على الغناء أيضاً. اهـ. وسميت به الآلة المعروفة التي يزمر بها. والجار المجرور "أبزمور الشيطان" متعلق بمحذوف، والتقدير: أتلعبن بمزمور الشيطان؟ وأضافه إلى الشيطان من حيث أنه يلهي ويشغل القلب عن ذكر الله. (وذلك في يوم عيد) وفي الرواية الثانية: "في أيام منى" وهي أيام التشريق الأيام الثلاثة بعد يوم النحر، وهي داخلة في أيام العيد، ولها حكمه في كثير من الأحكام كالأضحية، والتكبير فيها، وتحريم صومها. (إن لكل قوم عيداً) أي: إن لكل طائفة من الملل المختلفة عيداً يتمتعون فيه بالبهجة والسرور واللهو المباح. (تغنيان وتضربان) أي: بالدف. (مسجى بثوبه) أي: ملتف ومغطى به، وفي الرواية الرابعة: "فاضطجع على الفراش

وحول وجهه "أي: عن الجاريتين وعن الغناء، وكأن التغطية بالثوب لزيادة الحجب والبعد عن الغناء. (فانتهرهما أبو بكر) أي زجر الجاريتين، وفي رواية للبخاري: "فانتهرني" أي: زجرني، وكأنه زجرها لتقريبها ذلك وزجرهما لفعالهما. (فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه) أي: كشف الغطاء عن نفسه، والتفت إلى أبي بكر في جهة الجاريتين، وهذا معنى قولها في الرواية الرابعة: "فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم" وفي رواية في الصحيح: "فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه". وفي رواية: "فكشف رأسه. يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة) في الرواية الرابعة: "فأقامني وراءه، خدي على خده". وفي الرواية الخامسة: "فوضعت رأسي على منكبه" وفي الرواية السادسة: "وقمت على الباب بين أذنيه وعاتقه" وفي رواية: "فوضعت ذقني على عاتقه وأسندت وجهي إلى خده" وفي رواية: "أنظر بين أذنيه وعاتقه". وكل هذه الروايات تعطي صورة واحدة متكاملة، وهي أنها وقفت خلفه على باب حجرتها المطل على المسجد، مستتررة به وبردائه، فوضعت رأسها على منكبه، ذقنها على العاتق، ووجهها ملتصق بوجهه صلى الله عليه وسلم وخدها على خده. "والحبشة" الرجال المنتسبون إلى البلاد المعروفة، ويطلق عليهم "السودان" كما جاء

في الرواية الرابعة. (وهم يلعبون) في الرواية الثالثة: "يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم". والحراب بكسر الحاء جمع حربة، وهي معروفة، "والدرق" بفتح الدال والراء جمع درقة، وهي الترس الذي يتخذ من الجلود. (وأنا جارية) أي: صغيرة السن دون البلوغ، فقد دخل بها صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع سنين، وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة على الصحيح، وذكرت ذلك اعتذاراً عن حبها للهو. (فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن) "فاقدروا" بضم الدال وكسرهما. لغتان من التقدير، والفاء جواب شرط مقدر، أي حيث قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عذري ورغبتني فقدروا عذر أمثالي. "والعربة" بفتح العين وكسر الراء أي المشتبهة للعب المحبة له. (حريصة على اللهو) منصوب على الحال. (وكان يوم عيد يلعب السودان ...) هذا حديث آخر، ذكره بعض الرواة مستقلاً، وجمعه مع حديثنا بعض الرواة. وقد جاء في رواية: "وقالت عائشة: كان يوم عيد، إني". (فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال: تشتهين تنظرين) قال الحافظ ابن حجر: هذا تردد منها فيما كان وقع له، هل كان أذن لها في ذلك ابتداء منه؟ أو عن سؤال منها؟ وهذا بناء على أن "سألت" بسكون اللام على أنه من كلامها، ويحتمل أن يكون بفتح اللام، فيكون من

كلام الراوي. قال: وقد اختلفت الروايات عنها في ذلك، ففي رواية النسائي: "سمعت لغطاً وصوت صبيان، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا حبشة تزفن -أي ترقص- والصبيان حولها، فقال: يا عائشة. تعالي فانظري". ففي هذا أنه ابتدأها، وفي رواية مسلم -روايتها السادسة-: "أنها قالت: وددت أني أراهم". ففي هذا أنها سألت، ويجمع بينهما بأنها التمسست منه ذلك فأذن لها. اهـ. و"أن" المصدرية مقدره قبل فعل "تنظرين" وكذا همزة الاستفهام قبل فعل "تشتهين" والتقدير: أتشتهين النظر؟ (دونكم يا بني أرفدة) بفتح الهمزة وسكون الراء، وفتح الفاء وكسرها والكسر أشهر، لقب للحبشة. وقيل: اسم لجدهم الأكبر. و"دونكم" من ألفاظ الإغراء، والمغرى به محذوف، وتقديره: دونكم هذا اللعب، أي الزموه. وشأن "دونك" أن تقدم على المغرى به، كما قدرنا، وقد جاء تأخيرها عليه شاذاً في قول الشاعر:

(أيها الماتح دلوى دونكا... إني رأيت الناس يحمدونكا)

والماتح بالتاء هو الرجل الذي ينزل إلى قرار البئر إذا قل مأوها فيملاً الدلو بيده؟ (حتى إذا مللت، قال: حسبك؟) أي: يكفيك؟ وهو استفهام، والخبر محذوف، أي هل يكفيك هذا القدر؟ بدليل قولها: "قلت: نعم". و"مللت" بكسر اللام الأولى من الملل، وهو السامة، وفي رواية: "حتى أكون أنا الذي

أسأم". وفي معناها روايتنا الخامسة: "حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم". (جاء حبش يَزْفنون) بفتح الياء وسكون الزاي وكسر الفاء، بعدها نون، أي: يرقصون. وهو محمول على وثبهم بسلاحهم، ولعبهم بحرابهم، متمايلين كما يفعل الراقص. يقال: زفن يزفن من باب ضرب، أي: رقص. (أنها قالت للعابيين) اللام الأولى لام الجر، والثانية مفتوحة مخففة والعين مشددة مفتوحة، صيغة مبالغة في اللعب، والمعنى أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل جماعة كثيري اللعب، أي: من أجلهم وبخصوصهم. (قال عطاء: فرس أو حبش؟) أصل السند: "عن عطاء قال: أخبرني عبيد بن عمير". فكأن عطاء شك فيما سمع، هل سمع أنهم من الفرس أو من الحبشة. أما ابن عتيق فجزم بأنهم حبش. قال العلماء: هو الصواب. (فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها) "الحصباء" الحصى الصغير، "ويحصبهم" بكسر الصاد، أي يرميهم بها. **[فقه الحديث]:** المسألة الأساسية المستحقة للبحث الهادئ العميق مسألة الغناء، ويحسن بنا أن نعرض أقوال السلف من العلماء، ثم نعرض ما يفتح الله به. قال النووي في شرحه للحديث: واختلف العلماء في الغناء، فأباحه جماعة من أهل الحجاز: وهي رواية عن مالك، وحرمه أبو حنيفة وأهل العراق، ومذهب الشافعي كراهته، وهو المشهور من

مذهب مالك، واحتج المجوزون بهذا الحديث، وأجاب الآخرون بأن هذا الغناء إنما كان في الشجاعة والقتل والحدق في القتال، ونحو ذلك مما لا مفسدة فيه، بخلاف الغناء المشتمل على ما يهيج النفوس على الشر، ويحملها على البطال والقبیح. قال القاضي: إنما كان غناءً وهما بما هو من أشعار الحرب، والمفاخرة بالشجاعة، والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجوارح على شر، ولا إنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد، ولهذا قالت: "وليستا بمغنيتين" أي: ليستا ممن يتغنى بعادة المغنيات من التشويق والهوى، والتعريض بالفواحش، والتشبيب بأهل الجمال وما يحرك النفوس، ويبعث الهوى والغزل، كما قيل: الغناء فيه الزنا. وليستا أيضاً ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذي فيه تمطيط وتكسير وعمل يحرك الساكن، ويبعث الكامن، ولا من اتخذ ذلك صنعة وكسباً، والعرب تسمى الإنشاد غناء، وليس هو من الغناء المختلف فيه، بل هو مباح، وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذي هو مجرد الإنشاد والترنم، وأجازوا الحداء وفعلوه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا كله إباحة مثل هذا وما في معناه، وهذا مثله ليس بحرام، ولا يجرح الشاهد. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: واستدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة سماع الغناء، وسماعه بآلة

وبغير آلة، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة بقولها: "ليستا بمغنيتين". فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ. ثم قال: قال القرطبي: قولها: "ليستا بمغنيتين". أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن، ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان شعراً فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من المحرمات لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التوايح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال والله المستعان. اهـ. وقال الخطابي: وأما الترنم بالبيت والبيتين وتطريب الصوت بذلك مما ليس فيه فحش أو ذكر محظور فليس مما يسقط المروءة، وحكم اليسير منه خلاف حكم الكثير. اهـ. وقد اشتهر عن الإمام الغزالي أنه يبيح الغناء، وقد أطال القول في حكم السماع في كتابه الإحياء ننقل نبذاً منه، ثم ننظر الرأي فيها، ومن أراد المطول فليرجع إليه، والله المستعان. قال: اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويشمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة، فتسمى

الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص ... ثم عرض لمذاهب العلماء في السماع فقال: أما نقل المذاهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظاً يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه، ثم أخذ يسرد ألفاظهم ليوجهها فيما بعد على أنها لا تدل على التحريم، فقال: قال الشافعي -رحمه الله- في كتاب آداب القضاء: إن الغناء لهو يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. وقال القاضي أبو الطيب: استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي -رحمه الله- بحال، سواء أكانت مكشوفة أو من وراء حجاب، وسواء أكانت حرة أو أمة. وقال: قال الشافعي -رحمه الله-: صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته. اهـ. قال: وأما مالك -رحمه الله- فقد نهى عن الغناء، وقال: إذا اشترى جارية، فوجدها مغنية كان له ردها، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابن سعد وحده. وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك، ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك سائر أهل الكوفة، وسفيان الثوري، وحماد، وإبراهيم، والشعبي وغيرهم. اهـ. ثم أخذ الغزالي جاهداً محاولاً إثبات جواز السماع محاولات تستحق أن ينظر إليها أو يرد عليها، وأبرز أدلته بالنص قوله:

- 1- فعل السماع كثير من السلف الصالح، صحابي وتابعي بإحسان.
- 2 -لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة.وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا، فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية.
- 3 -نقل أبو طالب المكي أنه كان لعطاء جاريتان تلحنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما. وقال: ورأيت في بعض الكتب محكياً عن الحارث المحاسبي ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره.وقال: وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة لا يكون فيها سماع.قال: وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع. وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام، فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء.وحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال: ما أنكر منه شيئاً، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن، ويختمون بعده بالقرآن. اه.وهذه الأدلة ينقصها ثبوتها عن أربابها،

وأكثرها مروى بصيغة التمرىض - نقل وحكى - بالبناء للمجهول، ثم هي - مع ذلك - أفعال لمن أعماله ليست بحجة [أبو مروان القاضي - عطاء - الحارث المحاسبى - أبو الحسن العسقلانى - بعض الشيوخ - ممشاد الدينورى]. ثم يستدل الغزالي بعد ذلك بأن الشرع يمتدح الصوت الحسن ويستنكر الصوت القبيح، وبأن صوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة، وبأن الشعر لا يحرم سماعه، وأن الحداء في سير الإبل مشهور، وبأن الأنصار استقبلوا هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بإنشاد [طلع البدر علينا]. ويستدل من حديث عائشة على الرخصة في الغناء المشبه بمزمار الشيطان، ويدعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بمنعه أبا بكر من الإنكار أباح الغناء. وهكذا يبدو الغزالي في بحثه وكأنه يبيح الغناء على الإطلاق، وهكذا حاول المتحللون - أو المحللون أو المنحلون - أن يلتقطوا بعض نصوصه كبرهان على حل ما يفعلون، وأخذ شياطينهم {...يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون. ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون} [الأنعام: 112، 113]. والمحقق يرى أن الإمام الغزالي في ناحية وهؤلاء المحللين في ناحية أخرى، فمقصد الغزالي نوع خاص من المستمعين ونوع خاص من الغناء،

فهو يقول: فإن قلت: هل للغناء حالة يحرم فيها؟ فأقول: إنه يحرم بخمسة عوارض: عارض في السمع، وعارض في الآلة، وعارض في نظم الصوت، وعارض في نفس المستمع أو في مواظبته، وعارض في كون الشخص من عوام الخلق، لأن أركان السماع هي السمع والمستمع وآلة الإسماع. العارض الأول: أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها، وفي معناها الصبي الأمد الذي تخشى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة، بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومجادلتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضاً. العارض الثاني: في الآلة بأن تكون المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة. العارض الثالث: في نظم الصوت وهو الشعر، فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو فسماع ذلك حرام، وكذلك ما كان فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين الرجال. العارض الرابع: في المستمع، وهو أن تكون الشهوة غالبية عليه، وكان في غرة الشباب فالسماع عليه حرام سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته، وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار

الشهوة، وغالب القلوب الآن قد فتحتها جند الشيطان وغلب عليها، فلا يجوز تحريك شوقها إلى ما لا يحل، وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك، وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين. العارض الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق، وهذا إذا اتخذ السماع عادة وقصر عليه أكثر أوقاته، فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته، فإن المواظبة على اللهو جنائية. اهـ. فمن هذه اللقطات يتضح أن الإمام الغزالي مع الجمهور تماماً في غناء اليوم فهو يرى: أولاً: أن غناء امرأة أمام الرجل غير المحرم حرام، وكذا غناء الصبي الأُمرد الذي لا لحيته له، وهذا عامة غناء اليوم. ثانياً: وأن الغناء بالمزامير والأوتار حرام. وهذا لا يخلو منه غناء اليوم.

ثالثاً: وأن عبارات الغناء إذا اشتملت على الخنا ووصف المرأة بين الرجال حرام. وهو الأصل والكثير في غناء اليوم.

رابعاً: وأن سماع الشباب حرام.

خامساً: وأن سماع العوام إذا كثر فهو حرام.

إذن الغزالي يتكلم عن غناء يشبه الترنم والحداء، وهو لا يكاد يوجد في عالمنا، ويقصد نوعاً خاصاً من المستمعين وهم - كما يقول -: الذين غلب

عليهم حب الله تعالى، فالذي يغلب عليه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلمة الكفر، وبنضارة الخد نور الإيمان، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة المردودين، فالسماح يحدث أحوالاً من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها من ضعف حسه عن ذوقها، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً للصفاء الذي يحصل به مشاهدات ومكاشفات، وهي غاية مطلب المحبين لله تعالى. انتهى كلام الغزالي بتصرف. أفتبعد هذا يقال: إن الغزالي يبيح سماع غناء اليوم؟ ولجماهير مستمعي الغناء اليوم؟ اللهم. لا. ثم إن الغزالي في هذا البحث عنى السماع وقصده، أما القائم بالغناء فقد استحسّن بشأنه عبارة الشافعي، فقال: وقد نص الشافعي في الرجل يتخذه صناعة: لا تجوز شهادته. قال الغزالي: وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، ومن اتخذه صناعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط المروءة، فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء، ولا يؤتي لذلك، ولا يؤتي لأجله، وإنما يعرف بالصوت الحسن فيترنم أحياناً لم يسقط هذا مروءته، ولم يبطل شهادته. وحديث الجاريتين في بيت عائشة شاهد على هذا. والله أعلم.

[ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم]:

- 1- جواز دخول الرجل على ابنته وهي عند زوجها بدون سبق استئذان من الزوج إذا كان له بذلك عادة.
- 2- وتأديب الأب ابنته بحضرة الزوج، وإن تركه الزوج، إذ التأديب وظيفته الآباء، والعطف مشروع من الأزواج للنساء. ذكره الحافظ ابن حجر وهو واضح في الرواية الرابعة في قولها: "فانتهرني".
- 3- ومن قول أبي بكر: "أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم". أن مواضع أهل الخير وأهل الفضل والصالحين تنزه عن الهوى واللغو ونحوه، وإن لم يكن فيه إثم. ذكره النووي.
- 4- وفيه أن التابع للكبير إذا رأى بحضرة ما يستنكر أو ما لا يليق بمجلسه ينكره، ولا يكون في ذلك افتيات على الكبير، بل هو أدب ورعاية حرمة وإجلال للكبير من أن يتولى ذلك بنفسه، فلا يقال: كيف ساغ للصديق إنكار شيء أقره النبي صلى الله عليه وسلم؟
- 5- وفيه فتوى التلميذ بحضرة شيخه بما يعرف من طريقته. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون أبو بكر ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نام ولا

یعلم بالغناء، لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه، فظنه نائماً، فخشى أبو بكر أن يستيقظ فيغضب على ابنته، فبادر إلى سد هذه الذريعة.

6- في اضطجاعه صلى الله عليه وسلم على الفراش، وتحويله وجهه وتسجيه بثوبه إعراض أهل الفضل عن اللهو المباح. قال الحافظ ابن حجر: فعدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دال على تسويغ مثل ذلك على الوجه الذي أقره إذ لا يقر على باطل، والأصل التنزه عن اللعب واللهو فيقتصر على ما ورد فيه النص وقتاً وكيفية، تقليلاً لمخالفة الأصل. اهـ.

على أن إنكاره صلى الله عليه وسلم لإنكار أبي بكر دليل واضح على إجازته لمثل ذلك.

7- واستدل النووي بحالته صلى الله عليه وسلم على حسن خلقه ورأفته وحلمه، فقد حول وجهه لئلا يستحيين فيقطعن ما هو مباح لهن.

8- وفي قوله: "فإنها أيام عيد" تعليل الأمر والحكم، لأن أبا بكر لما أنكر ما رأى مستصحباً ما تقرر عنده من منع الغناء واللهو أوضح له النبي صلى الله عليه وسلم الحكم مقروناً ببيان الحكمة والعلة.

9- وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين، ويتبع ذلك مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع التوسعة المباحة التي تحقق لهم

بسط النفس وترویح البدن، والتمتع بمتع الحیاة الدنیا من المأكل والمشرب والملبس دون إسراف أو تبذیر.

10- واستنبط منه كراهة الفرح فی أعیاد المشركین والتشبه بهم. قال الحافظ ابن حجر: وبالغ الشیخ النسفی من الحنفیة فقال: من أهدى فیہ بیضة إلى مشرك تعظیماً لیوم عیدهم فقد كفر بالله تعالی. اهـ.

11- وفي قول عائشة فی الروایة الرابعة: "فلما غفل غمزتهما فخرجتا". مراعاة خاطر الكبیر، والاستجابة لرغبته، والتنازل عن رغبة النفس، فإنها - رضی الله عنها- مع ترخیص النبی صلی الله علیه وسلم لها فی ذلك راعت خاطر أبیها وخشیت غضبه علیها فأخرجتهما.

12- وفيه الاكتفاء بالإشارة المفیده المغنیة عن الكلام بحضرة الكبیر.

13- واستدل بقول عائشة فی الروایة الثانیة: "فی أيام منی" أن هذه الأيام وهي - أيام التشریق الثلاثة التي بعد یوم النحر- داخلة فی أيام العید ویجری علیها حکمه فی کثیر من الأحكام، كجواز التضحیة وتحريم الصوم واستحباب التكبير وغير ذلك. قاله النووي.

14- وفي حدیث لعب الحبشة جواز نظر النساء إلى فعل الرجال الأجانب. قال القاضي عیاض: لأنه إنما یكره لهن النظر إلى المحاسن والاستلذاذ بذلك.

اهـ. وقال النووي: في الحديث جواز نظر النساء إلى لعب الرجال من غير نظر إلى نفس البدن، قال: وأما نظر المرأة إلى وجه الرجل الأجنبي فإن كان بشهوة فحرام بالاتفاق، وإن كان بغير شهوة ولا مخافة فتنة ففي جوازه وجهان لأصحابنا، أصحهما تحريمه، لقوله تعالى: **{وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن}** [النور: 31] ولقوله صلى الله عليه وسلم لأُم سلمة وأم حبيبة: "احتجبا عنه". أي عن ابن أم مكتوم، فقالتا: إنه أعمى؟ لا يبصرنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أفعميا وان أتما؟ أُلستما تبصرانه؟" وهو حديث حسن رواه الترمذي وغيره. وعلى هذا أجابوا عن حديث عائشة بجوابين، وأقواهما أنه ليس فيه أنها نظرت إلى وجوههم وأبدانهم، وإنما نظرت إلى لعبهم وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعمد النظر إلى البدن، وإن وقع النظر بلا قصد صرفته في الحال، والثاني لعل هذا ما كان قبل نزول الآية في تحريم النظر، وأنها كانت صغيرة قبل بلوغها، فلم تكن مكلفة، على قول من يقول: إن للصغير المراهق النظر. اهـ. وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى رد هذا القول الثاني بأن قولها - في روايتنا الثانية: "يسترني بردائه". دال على أن ذلك كان بعد نزول آية الحجاب، وكذا قولها - في بعض الروايات: "أحبت أن يبلغ النساء مقامه لي". مشعر بأن ذلك وقع بعد أن صارت لها ضرائر، أرادت

الفخر علیهن، فالظاهر أن ذلك وقع بعد بلوغها. وفي رواية ابن حبان: أن وفد الحبشة قدم سنة سبع. فيكون عمرها حينئذ خمس عشرة سنة. اهـ.

15- واستدل به على الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها.

16- وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة وحسن الخلق والمعاشرة بالمعروف.

17- وفي قولها: "حتى كنتُ أنا التي أنصرف". ملال المحب، وأصرح من حديثنا في ذلك حديث النسائي: "أما شبعت؟ أما شبعت؟ قالت: فجعلت أقول: لا. لأنظر منزلتي عنده". وفي رواية له: "قلت: يا رسول الله، لا تعجل. فقام، ثم قال: حسبك؟ قلت: لا تعجل. قالت: وما بي حب النظر إليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه".

18- واستدل به على جواز اللعب بالسلاح على طريق التواثب للتدريب على الحرب.

19- واغتفار ذلك في المسجد في أيام العيد، ومنعه الجمهور في المسجد إذ لا يليق به، وجعل الترخيص خاصاً بتلك الحادثة سروراً بقدوم وفد الحبشة.

20- واستدل من فعل عمر أنه كان مقرراً عندهم تنزيه المساجد عن اللعب.

والله أعلم.) أمّا عن الفرح المشروع فقال في (لطائف المعارف): (والعيد هو موسم الفرح والسرور وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بأكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته كما قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58] قال بعض العارفين: ما فرح أحد بغير الله، إلا بغفلته عن الله فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه.) وفي صحيح مسلم. حديث 164 - (1151) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "" لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ " في (شرح النووى على صحيح مسلم: (قال العلماء أمّا فَرْحَتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَبِمَا يَرَاهُ مِنْ جَزَائِهِ وَتَذَكُّرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لَذَلِكَ وَأَمَّا عِنْدَ فِطْرِهِ فَسَبَبُهَا تَمَامُ عِبَادَتِهِ وَسَلَامَتُهَا مِنَ الْمُفْسِدَاتِ وَمَا يَرْجُوهُ مِنْ ثَوَابِهَا.) وفي (الغنية): (فصل): وإنما سمي العيد عيداً: لأنه يعيد الله إلى عبادة الفرح والسرور في يوم عيدهم. وقيل: إنما سمي عيداً لأن فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان منه للعبد. وقيل: لأنه يعود العبد فيه إلى

التضرع والبكاء، ويعود الرب - عز وجل - فيه إلى الهبة والعطاء. وقيل: لأنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الطهارة. وقيل: معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومن الفريضة إلى السنة، ومن صوم رمضان إلى صوم ستة أيام من شوال. وقيل: إنما سمي عيداً لأنه يقال للمؤمنين فيه: عودوا إلى منازلكم مغفوراً لكم. وقيل: إنما سمي العيد عيداً لأن فيه ذكر الوعد والوعيد، ويوم الجزاء والمزيد، ويوم عتق الإماء والعبيد، وإقبال الحق إلى القريب من خلقه والبعيد، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود. وقال تعالى: **{...وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [البقرة: 185] في (تفسير ابن كثير): (وَقَوْلُهُ: **{وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}** أَي: وَلِتَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ انْقِضَاءِ عِبَادَتِكُمْ، كَمَا قَالَ: **{فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}** [البقرة: 200] وقال: **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [الجمعة: 10] وقال: **{سَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}** [ق: 39- 40] وَلِهَذَا جَاءَتْ السُّنَّةُ بِاسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ

صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالتَّكْبِيرِ، وَلِهَذَا أَخَذَ كَثِيرٌ مِنَ
 الْعُلَمَاءِ مَشْرُوعِيَّةَ التَّكْبِيرِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
 وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} حَتَّى ذَهَبَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ الظَّاهِرِيُّ
 إِلَى وُجُوبِهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ لِظَاهِرِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
 هَدَاكُمْ} وَفِي مُقَابَلَتِهِ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ التَّكْبِيرُ فِي عِيدِ
 الْفِطْرِ، وَالْبَاقُونَ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي تَفَاصِيلِ بَعْضِ الْفُرُوعِ
 بَيْنَهُمْ، وَقَوْلُهُ: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَي: إِذَا قُمْتُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ طَاعَتِهِ
 بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَرْكِ مَحَارِمِهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ
 بِذَلِكَ. (وفى لطائف المعارف): (لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا
 على صيام رمضان وقيامه أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره
 وشكره فقال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185] فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام
 وإعانتهم عليه ومغفرته لهم وعتقهم من النار أن يذكره ويشكروه ويتقوه حق
 تقاته. (وفيه أيضاً: (وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام
 رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
 وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185] فمن جملة

شكر العبد لربه على توقيفه لصيام رمضان وإعانتته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقب ذلك كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائما ويجعل صيامه شكرا للتوفيق للقيام. وكان وهب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه؟ فيقول: لا تسألوا عن ثوابه، ولكن اسألوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والإعانة عليه.

(إذا أنت لم تزد على كل نعمة ... لمؤليتها شكرا فليست بشاكر)
على كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يحتاج إلى شكر عليها ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر وهكذا أبدا فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر كما قيل:

(إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر)
(فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته ... وإن طالت الأيام واتصل العمر) قال أبو عمر الشيباني: قال موسى عليه السلام يوم الطور: يا رب إن أنا صليتُ فمن قبلك. وإن أنا تصدقتُ فمن قبلك. وإن بلغتُ رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرُك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني. فأما مقابلة نعمة التوفيق كصيام شهر

رمضان بارتكاب المعاصي بعده، فهو من فعل من بدل نعمة الله كفرًا. فإن كان قد عزم في صيامه على معاودة المعاصي بعد انقضاء الصيام، فصيامه عليه مردود، وباب الرحمة في وجهه مسدود. قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر من رمضان لم يعص الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب. ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر عصى ربه، فصيامه عليه مردود. وفي (التبصرة) لابن الجوزي: (أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ ظَفَرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الشَّقَاقِ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَيْسَى يَقُولُ: نَظَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْفِطْرِ إِلَى النَّاسِ وَشَغَلِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرَابِ وَاللَّبَاسِ فَقَالَ: لَيْتَن كَانُوا هَوْلَاءِ فَمَا أَنْبَأَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَدْ تَقَبَّلَ مِنْهُمْ صِيَامَهُمْ وَقِيَامَهُمْ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَصْبَحُوا مَشَاغِبِلَ بِأَدَاءِ الشُّكْرِ، وَلَيْتَن كَانُوا يَخَافُونَ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَشْغَلًا وَأَشْغَلًا). وفي (الغنية): (فصل: ليس العيدُ بلبس الناعمات وأكل الطيبات ومعاينة المستحسنات والتمتع باللذات والشهوات: لكن العيد بظهوره علامة القبول للطاعات، وتكفير الذنوب والخطيئات، وتبديل السيئات بالحسنات، والبشارة بارتفاع الدرجات، والخلع والطرف والهبات والكرامات، وانسراح الصدر بنور الإيمان، وسكون القلب بقوة اليقين وما ظهر عليه من العلامات، وانفجار

بحور العلوم من القلوب على الألسنة وأنواع الحكم والفصاحة والبلاغة. كما قيل: إن رجلاً دخل على علي -رضي الله عنه - وكرم الله وجهه في يوم عيد وهو يأكل الخبز الخشكار، فقال له: اليوم يوم العيد وأنت تأكل الخبز الخشكار؟ فقال: اليوم عيد لمن قبل صومه، وشكر سعيه، وغفر ذنبه، اليوم لنا عيد وغداً لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد. فينبغي لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ولا يتقيد به، بل يكون نظره في يوم العيد نظر التفكير والاعتبار، فيشبه العيد بيوم القيامة، فليذكر نفخ الصور يوم القيامة عند سمع صوت بوق السلطان ليلة العيد، وإذا بات الناس ليلة العيد ورقدوا منتظرين عيدهم متأهبين له، فيذكر الرقود بين النفختين، وإذا رأى الناس صبيحة يوم العيد وقد خرجوا من قصورهم وبيوتهم مختلفي الأحوال متفاوتي اللباس والألوان كل له زى وحلية، واحد منهم مسرور وواحد مغموم، وواحد راكب وآخر ماش، وواحد غني وآخر فقير، وواحد في فرحة وآخر في ترحة، فليذكر تفاوت أهل القيامة، أهل الطاعة مسرور وأهل المعصية مغموم، المتقى راكب والمجرم المشرك متعثر مكبوب على وجهه مسحوب أو ماش. كما قال عز من قائل: {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً} [مريم:

85] أي: ركبنا على النجائب {ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا} {مريم:

86] أي: عطاشًا.

(خ: 2) (ع) 3- آداب الأعياد في الإسلام: في (زاد المعاد): [فَصَلِّ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِيدَيْنِ]: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْعِيدَيْنِ فِي الْمُصَلَّى، وَهُوَ الْمُصَلَّى الَّذِي عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ، وَهُوَ الْمُصَلَّى الَّذِي يُوضَع فِيهِ مَحْمِلُ الْحَاجِّ، وَلَمْ يُصَلِّ الْعِيدَ بِمَسْجِدِهِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَصَلَّى بِهِمُ الْعِيدَ فِي الْمَسْجِدِ إِنْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ، وَهُوَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ مَاجَةَ، وَهَدْيُهُ كَانَ فِعْلُهُمَا فِي الْمُصَلَّى دَائِمًا. وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْخُرُوجِ إِلَيْهِمَا أَجْمَلَ ثِيَابِهِ فَكَانَ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ، وَمَرَّةً كَانَ يَلْبَسُ بُرْدَيْنِ أَحْضَرَيْنِ، وَمَرَّةً بُرْدًا أَحْمَرَ وَلَيْسَ هُوَ أَحْمَرٌ مُصَمَّتًا كَمَا يَطْنُهُ بَعْضُ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بُرْدًا، وَإِنَّمَا فِيهِ خُطُوطٌ حُمْرٌ كَالْبُرُودِ الْيَمِينِيَّةِ فَسُمِّيَ أَحْمَرَ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضِ النَّهْيِ عَنِ لُبْسِ الْمُعْضَفَرِ وَالْأَحْمَرِ وَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو لَمَّا رَأَى عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ أَحْمَرَيْنِ أَنْ يُحْرِقَهُمَا، فَلَمْ يَكُنْ لِيَكْرَهَ الْأَحْمَرَ هَذِهِ الْكِرَاهَةَ الشَّدِيدَةَ ثُمَّ يَلْبَسُهُ، وَالَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ تَحْرِيمُ لِبَاسِ الْأَحْمَرِ أَوْ كِرَاهِيَّتُهُ كِرَاهِيَّةً شَدِيدَةً. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ قَبْلَ خُرُوجِهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ تَمَرَاتٍ،

وَيَأْكُلُهُنَّ وَتَرًا، وَأَمَّا فِي عِيدِ الْأَضْحَى فَكَانَ لَا يَطْعَمُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنَ الْمُصَلَّى
فَيَأْكُلُ مِنْ أَضْحِيَّتِهِ. وَكَانَ يَغْتَسِلُ لِلْعِيدَيْنِ، صَحَّ الْحَدِيثُ فِيهِ، وَفِيهِ حَدِيثَانِ
ضَعِيفَانِ: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ جُبَارَةَ بْنِ مُغَلِّسٍ، وَحَدِيثُ الْفَاكِهِ بْنِ
سَعْدٍ مِنْ رِوَايَةِ يَوْسُفَ بْنِ خَالِدِ السَّمْتِيِّ. وَلَكِنْ ثَبَّتَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَعَ شِدَّةِ
اتِّبَاعِهِ لِلسُّنَّةِ، أَنَّهُ (كَانَ يَغْتَسِلُ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ خُرُوجِهِ). وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مَاشِيًا، وَالْعَنْزَةَ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمُصَلَّى نُصِبَتْ
بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُصَلِّيَ إِلَيْهَا، فَإِنَّ الْمُصَلَّى كَانَ إِذْ ذَاكَ فَضَاءً لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِنَاءٌ وَلَا
حَائِطٌ، وَكَانَتْ الْحَرْبَةُ سُرَّتَهُ. وَكَانَ يُؤَخِّرُ صَلَاةَ عِيدِ الْفِطْرِ، وَيُعَجِّلُ الْأَضْحَى،
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مَعَ شِدَّةِ اتِّبَاعِهِ لِلسُّنَّةِ لَا يَخْرُجُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَيَكْبُرُ مِنْ
بَيْتِهِ إِلَى الْمُصَلَّى. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمُصَلَّى أَخَذَ
فِي الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ وَلَا قَوْلٍ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَالسُّنَّةُ: أَنَّهُ لَا
يُفْعَلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ هُوَ وَلَا أَصْحَابُهُ يُصَلُّونَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْمُصَلَّى
شَيْئًا قَبْلَ الصَّلَاةِ وَلَا بَعْدَهَا. وَكَانَ يَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ،
يُكْبِرُ فِي الْأُولَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ بِتَكْبِيرَةِ الْإِفْتِتَاحِ، يَسْكُتُ بَيْنَ كُلِّ
تَكْبِيرَتَيْنِ سَكْتَةً يَسِيرَةً، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ ذِكْرُ مُعَيَّنٍ بَيْنَ التَّكْبِيرَاتِ، وَلَكِنْ ذَكَرَ
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: يَحْمَدُ اللَّهُ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَهُ الْخَلَالُ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مَعَ تَحْرِيهِ لِلِاتِّبَاعِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أْتَمَّ التَّكْبِيرَ أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَهَا {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق: 1] فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ، وَفِي الْأُخْرَى {اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1] وَرُبَّمَا قَرَأَ فِيهِمَا {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1] وَ{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ} [الغاشية: 1] صَحَّ عَنْهُ هَذَا وَهَذَا، وَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ. فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَكَعَ، ثُمَّ إِذَا أَكْمَلَ الرَّكْعَةَ وَقَامَ مِنَ السُّجُودِ كَبَّرَ خَمْسًا مُتَوَالِيَةً، فَإِذَا أَكْمَلَ التَّكْبِيرَ أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ، فَيَكُونُ التَّكْبِيرُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، وَالْقِرَاءَةُ يَلِيهَا الرُّكُوعُ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَالَى بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ، فَكَبَّرَ أَوَّلًا، ثُمَّ قَرَأَ وَرَكَعَ، فَلَمَّا قَامَ فِي الثَّانِيَةِ، قَرَأَ وَجَعَلَ التَّكْبِيرَ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ هَذَا عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ النِّيسَابُورِيِّ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: رَمَاهُ غَيْرٌ وَاحِدٌ بِالْكَذِبِ. وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَبَّرَ فِي الْعِيدَيْنِ فِي الْأُولَى سَبْعًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ خَمْسًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: سَأَلْتُ مُحَمَّدًا يَعْنِي الْبُخَارِيَّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: لَيْسَ فِي الْبَابِ شَيْءٌ أَصَحُّ مِنْ هَذَا، وَبِهِ أَقُولُ، وَقَالَ: وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ

الرحمن الطائفي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده في هذا الباب هو صحيح أيضًا... وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله. ورخص صلى الله عليه وسلم لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة، وأن يذهب، ورخص لهم إذا وقع العيد يوم الجمعة أن يجتنبوا بصلاة العيد عن حضور الجمعة. وكان صلى الله عليه وسلم يخالف الطريق يوم العيد، فيذهب في طريق، ويرجع في آخر، فقيل: ليسلم على أهل الطريقين، وقيل: لينال بركته الفريقان، وقيل: ليقتضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل: ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق، وقيل: ليعيظ المتأففين برؤيتهم عزة الإسلام وأهله وقيام شعائره، وقيل: لتكثر شهادة البقاع، فإن الذهاب إلى المسجد والمصلى إحدى خطوتيه ترفع درجة، والأخرى تحط خطيئة حتى يرجع إلى منزله، وقيل: وهو الأصح: إنه لذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعله عنها.)

الخطبة الثانية: دوام الطاعة بعد رمضان:

(خ: 1) (ع) 1- أهمية دوام فعل الخير في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَالِمِينَ} [الأنفال: 53-53] في (تفسير ابن كثير): (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ فِي حُكْمِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا بِسَبَبِ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: 11] وَقَوْلُهُ: {كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ} أَي: كَصُنْعِهِ بِآلِ فِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِمْ، حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ، أَهْلَكَهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَسَلَبَهُمْ تِلْكَ النِّعَمَ الَّتِي أَسَدَّهَا إِلَيْهِمْ، مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْونٍ وَزُرُوعٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ بَلْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ.) وقال: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: 11] في (تفسير ابن كثير): (وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ أَشْعَثَ عَنْ جَهْمٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ نَبِيًّا

مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ وَلَا أَهْلِ بَيْتٍ يَكُونُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَيَتَحَوَّلُونَ مِنْهَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا حَوْلَ اللَّهِ عَنْهُمْ مَا يُحِبُّونَ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} وقال سبحانه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: 92] فى (التفسير الوسيط): (ثم ضرب سبحانه مثلاً لتقبيح نقض العهد، فقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا} {نَقَضَتْ} أى: نقضته وأفسدته من بعد إبرامه وإحكامه. وقوله: {غَزْلَهَا} أى: مغزولها... والأنكاث: جمع نكث- بكسر النون-، بمعنى منكوث. أى: منقوض، وهو ما نقض وحل فتله ليغزل ثانياً، والجمع أنكاث... قال ابن كثير: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه. وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده. وهذا أرجح وأظهر سواء أكان بمكة امرأة تنقض غزلها. والمعنى: كونوا أيها المسلمون أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإنكم إن نقضتموها كان مثلكم كمثل تلك المرأة الحمقاء، التي كانت تفتل غزلها فتلا محكما،

ثم تنقضه بعد ذلك، وتتركه مرة أخرى قطعاً منكوثة محلولة.. فالجملة الكريمة تحقر في كل جزئية من جزئياتها، حال من ينقض العهد، وتشبهه على سبيل التنفير والتقييح بحال امرأة ملتائه في عقلها، مضطربة في تصرفاتها. وقوله سبحانه: **{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ}** {إبطال للأسباب التي كان يتخذها بعض الناس ذرائع ومبررات لنقض العهود. والدّخل - بفتح الخاء-: المكر والغش والخديعة. وهو في الأصل اسم للشيء الذي يدخل في غيره وليس منه. قال الراغب: والدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، كالدّغل، وعن الدعوة في النسب ... ومنه قيل: شجرة مدخولة - أي: ليست من جنس الأشجار التي حولها. وقوله: **{أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ...}** {متعلق بقوله: **{تَتَّخِذُونَ}** وقوله: **{أَرْبَىٰ}** { مأخوذ من الربو بمعنى الزيادة والكثرة. يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر. والمعنى: لا تكونوا مشبهين لامرأة هذا شأنها، حالة كونكم متخذين أيمانكم وأقسامكم وسيلة للغدر والخيانة، من أجل أن هناك جماعة أوفر عدداً وأكثر مالا من جماعة أخرى. قال القرطبي: قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت أخرى، ثم جاءت إحداهما قبيلة أخرى كبيرة قوية فداخلتها غدرت بالأولى ونقضت عهدها، ورجعت إلى هذه الكبرى، فنهاهم

الله- تعالى:- أن ينقضوا العهود من أجل أن طائفة أكثر من طائفة أخرى، أو أكثر أموالاً... وقال الفراء: المعنى: لا تغدروا بقوم لقلبتهم وكثرتكم، أو لقلبتكم وكثرتهم وقد عززتموهم بالأيمان. وقال ابن كثير: قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز، فنهوا عن ذلك. والخلاصة: أن الآية الكريمة تدعو إلى وجوب الوفاء بالعهود في جميع الأحوال، وتنهى عن اللجوء إلى الذرائع الباطلة، من أجل نقض العهود، إذ الإسلام لا يقر هذه الذرائع وتلك المبررات، بدعوى أن هناك جماعة أقوى من جماعة، أو دولة أعز من دولة، وإنما الذي يقره الإسلام هو مراعاة الوفاء بالعهود، وعدم اتخاذ الأيمان وسيلة للغش والخداع. والضمير المجرور في قوله: **إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ** يعود على مضمون الجملة المتقدمة. وهي قوله تعالى: **{ أَنَّ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ }** أى: إنما يبلوكم الله ويختبركم بكون أمة أربى من أمة، لينظر أتفون بعهودكم أم لا. وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: قوله تعالى: **{ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ }** الضمير لقوله: **{ أَنَّ تَكُونَ أُمَّةٌ ... }** لأنه في معنى المصدر. أى: إنما يختبركم بكونهم أربى، لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله، وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمن البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أم

تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم. وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم. ويجوز أن يعود إلى ما أمر الله به من الوفاء بالعهد، فيكون المعنى: إنما يبلوكم الله ويختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد، ومن النهى عن النقض ليظهر لكم المطيع من العاصي، وقوى الإيمان من ضعيفه. ثم ختم سبحانه الآية الكريمة ببيان أن مرد الفصل بين العباد فيما اختلفوا فيه إليه تعالى وحده، فقال: **{وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}** فيجازى أهل الحق بما يستحقون من ثواب، ويجازى أهل الباطل بما هم أهل من عقاب. ثم بين سبحانه أن قدرته لا يعجزها شيء. وفي (التفسير الميسر): (ولا ترجعوا في عهودكم، فيكون مثلكم مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمتها، ثم نقضته، تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاقد خديعة لمن عاهدتموه، وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموه، إنما يختبركم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهد وما نهاكم عنه من نقضها، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيمان بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم). وقال سبحانه: **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** [الحجر: 99] في (التفسير الوسيط): (والمراد بالأمر بالعبادة في قوله تعالى: **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {المداومة عليها وعدم التقصير

فيها. والمراد باليقين: الموت، سُمى بذلك لأنه أمر متيقن لحوقه بكل مخلوق. أى: ودم - أيها الرسول الكريم - على عبادة ربك وطاعته ما دمت حيا، حتى يأتيك الموت الذى لا مفر من مجيئه فى الوقت الذى يريده الله تعالى .) وقال عزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج: 19-23] فى (التفسير الوسيط): (ثم وصف سبحانه مَنْ استثناهم من الإنسان الهلوع، بجملة من صفات الكريمة، فقال: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} أى: إن الناس جميعًا قد جُبلوا على الجزع عند الضراء، وعلى المنع عند السراء . . إلا المصلين منهم، الذين يواظبون على أدائها مواظبة تامة، دون أن يشغلهم عن أدائها: عسر أو يسر، أو غنى أو فقر، أو إقامة أو سفر .

فهم ممن قال سبحانه فى شأنهم: {رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور: 37] وقال سبحانه: {عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} للإشارة إلى أنهم لا يشغلهم عنها شاغل، إذ الدوام على الشئ عدم تركه.)

أما الأحاديث: فمنها:

1- فى صحيح مسلم. حديث 12 - (2750) عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: -
 وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ:
 كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةَ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ:
 قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى
 كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا
 الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَنْقَى
 مِثْلَ هَذَا، فَاِنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى
 كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ،
 نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ
تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذُّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى
فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

2- وفى (صحيح البخارى) الحديث (6094) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي

إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
 الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ
 اللَّهِ كَذَّابًا» وأخرجه مُسلمٌ. حديث 103 - (2607) 105 - (2607) ولفظُ
 الرواية الثانية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا
 يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ
 وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا
 يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» في (شفاء
 العليل)- بعد أن ذكر الحديث:- (وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من
 كتابه أن الحسنه الثانية قد تكون من ثواب الحسنه الأولى، وأن المعصية
 قد تكون عقوبة للمعصية الأولى فالأول كقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا
 يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا. وَإِذَا لَا تَأْتِنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا
 وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [النساء: 66-67] وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
 فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69] وقال: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
 سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: 16])

3- وَعَنْ عَلْقَمَةَ، قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْتَصُّ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: " لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيْكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ؟ البخارى. الحديثان (1987 - 6466) والمذكور لفظ أولهما. وأخرجه مسلم. حديث 217 - (783)

4- وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً» مسلم. حديث 141 - (746)

5- وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيَصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ» البخارى. حديث (5861)

5- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» وَقَالَ: «أَكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ» البخارى حديث (6465)

6- وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلَانَةٌ، تَذُكُّرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. البخارى-واللفظ له-حديث (43) وأخرجه مسلم. حديث 221 - (785) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي، قَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»

وَأَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- قال ابن القيم فى (الفوائد): (فمن ثواب الحسننة الحسننة بعدها، ومن عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةِ.)

2- وفى (شفاء العليل): (فمن عقاب السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسننة الحسننة بعدها.)

3- وفى (طريق الهجرتين) و(مفتاح دار السعادة): (قال بعض السلف: إن من ثواب الحسننة الحسننة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها.)

4- وفي (صفة الصفوة): (وعن أبي بكر الرازي قال: سمعتُ أبا الحسن المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة الحسنة ثواب الحسنة.)

5- وفي (لطائف المعارف): (من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى. وعلامة ردها، أن يعقب تلك الطاعة بمعصية. ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها بعد الحسنة تتلوها. وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها. ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً قبلها. النكسة أصعب من الضعفة، وربما أهلكت. سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعودوا به من تقلب القلوب، ومن الحور بعد الكور. وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة.)

(خ: 2) (ع) 2- **تكملة أهمية دوام فعل الخير بعد رمضان وفضائل صيام الستة من شوال:** في (صحيح البخاري) حديث (1152) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل» وفي (صفة الصفوة): (وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن علي بن الحسين كان لا يحب أن

يُعينه أحدٌ على طهوره، وكان يستقي الماء لطهوره، ويخمره قبل أن ينام. فإذا قام من الليل بدأ بالسواك، ثم يتوضأ، ثم يأخذ في صلاته. وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل، ثم يقول: يا بَنِيَّ ليس هذا عليكم بواجبٍ، ولكن أحب لمن عود نفسه منكم عادةً من الخير أن يدوم عليها).

أَمَّا عن صِيَامِ سِتِّ مِنْ شَوَالٍ: فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. حَدِيثٌ 204 - (1164) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ بِشَهْرَيْنِ، فَذَلِكَ صِيَامُ سَنَةٍ " وَفِي رِوَايَةٍ: " جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، الشَّهْرُ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الشَّهْرِ، تَمَامُ السَّنَةِ " (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وبهامشه: انظر (صحيح الجامع: 3094)

الخطبة الثالثة: (فضائل حسن الجوار):

(خ: 1) (ع: 1- فضائل حسن الجوار والتحذير من إيذاء الجيران في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36] في (تفسير القرطبي): {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} {أَيَّ الْقُرْبَىٰ} {وَالْجَارِ الْجُنْبِ} {أَيَّ: الْغَرِيبِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي اللُّغَةِ. وَمِنْهُ فَلَانُ أَجْنَبِيٌّ، وَكَذَلِكَ الْجَنَابَةُ الْبُعْدُ... وَقَالَ نَوْفُ الشَّامِيِّ: {الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} {المسلم} {وَالْجَارِ الْجُنْبِ} {اليهودي والنصراني. قُتِلَ- الْقَاتِلُ هُوَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ -: وَعَلَىٰ هَذَا فَالْوَصَاةُ بِالْجَارِ مَأْمُورٌ بِهَا مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَالْإِحْسَانُ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَوَاسَاةِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَكَفِّ الْأَدَىٰ وَالْمَحَامَاةِ دُونَهُ.} وفي (تفسير ابن كثير): (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ}، يَعْنِي الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، {وَالْجَارِ الْجُنْبِ} {الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.}

أما الأحاديث فمنها:

1- عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما، قالوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (303)

2- وفي (المُسند) حديث (23093) عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَهْلِي أُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا أَنَا بِهِ قَائِمٌ، وَإِذَا رَجُلٌ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَةً، فَجَلَسْتُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ قَامَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ، حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: " أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ "، قُلْتُ: لَا، قَالَ: " ذَاكَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ لَرَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ " قال مُحَقِّقُوهُ: إسناده صحيح.

4- وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». رواه مسلم. وفي رواية لَهُ عن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْصَانِي: «إِذَا

طَبَخَتْ مَرَقًا فَأَكْثَرَ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِْبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» (رياض) حديث (304)

5- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ!» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ» «البَوَائِقُ» الغَوَائِلُ والشُّرُورُ. (رياض) حديث (305)

6- وعنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (308)

7- وعن أبي شريح الخزازي - رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه. (رياض) حديث (309) وفي رواية: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ» البخارى. حديث (6019) ومُسلم. حديث 74 - (47)
 8- وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ
 الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رواه الترمذي، وَقَالَ: «حديث
 حسن» (رياض) حديث (311)

9- وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ -: " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانًا، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ
 بِهِ " (الجامع الصحيح للسنن والمسنايد) وفي هامشه: (صحيح الجامع:
 5505، صحيح التَّزْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: 2561)

10- وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍ - رضي الله عنهما- قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَمَا أَحَدٌ
 أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالِدِرْهَمُ أَحَبُّ إِلَيَّ
 أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: " كَمْ
 مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا لِمِ أَغْلَقَ بَابَهُ
 دُونِي، وَمَتَعَنِي فَضْلُهُ " (الجامع الصحيح للسنن والمسنايد) وفي
 هامشه: (الصَّحِيْحَةُ: 2646، صحيح التَّزْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: 2564،
 وصحيح الأدب المُفرد: 81)

11- وفی (صحیح البخاری) الأحادیث (4477- 4761- 6001- 6811- 7520) ولفظُ أولها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وأخرجه مُسْلِمٌ. حديث 141 - (86) في (شرح النووي على صحيح مسلم): (وَمَعْنَى "تُزَانِي" أَي: تُزْنِي بِهَا بِرِضَاهَا. وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الزَّانِيَ، وَإِفْسَادَهَا عَلَى زَوْجِهَا، وَاسْتِمَالَةَ قَلْبِهَا إِلَى الزَّانِي. وَذَلِكَ أَفْحَشُ، وَهُوَ مَعَ امْرَأَةِ الْجَارِ أَشَدُّ قُبْحًا، وَأَعْظَمُ جُرْمًا لِأَنَّ الْجَارَ يَتَوَقَّعُ مِنْ جَارِهِ الذَّبَّ عَنْهُ، وَعَنْ حَرِيمِهِ، وَيَأْمَنُ بِوَأْتِئِهِ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِإِكْرَامِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. فَإِذَا قَابَلَ هَذَا كُلَّهُ بِالزَّانِي بِامْرَأَتِهِ وَإِفْسَادِهَا عَلَيْهِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ لَا يَتَمَكَّنُ غَيْرُهُ مِنْهُ، كَانَ فِي غَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ.)

12- وفی (المُسند) حديث (23854) عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟ " قَالُوا: حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " لِأَنَّ يَزْنِي الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ

يَزْنِي بِامْرَأَةِ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: " مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟ " قَالُوا: حَرَمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: " لِأَنَّ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ " قَالَ مُحَقِّقُوهُ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

13- وفي (المُسْنَد) حديث (9675) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةً يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةً يُذَكِّرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدِّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ مُحَقِّقُوهُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. فِي (النهاية): {ثور}: الْأَثْوَارُ جَمْعُ ثَوْرٍ وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَقِطِ... {أَقِطٌ}: هُوَ لَبَنٌ مُجَفَّفٌ يَابِسٌ مُسْتَحْجَرٌ يُطْبَخُ بِهِ.

14- وفي (صحيح البخاري) الأحاديث (2259- 2595- 6020) ولفظُ أولها: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارِينَ فِإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا»
أَمَا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ؟ فَقَالَ: "أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ" (الأدب المفرد. رقم (109))
قال الألبانی: حسن

2- وفى (الحلیة): (قال لقمان لابنه: قد ذقت المرارة، فليس شيء أمر من الفقر؛ وحملت الحمل الثقيل، فليس شيء أثقل من جار السوء؛ ولو أن الكلام من فضة، لكان السكوت من ذهب.)

3-5- وفى (تنبيه الغافلين): (وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ "ثَلَاثَةُ أَخْلَاقٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُسْتَحَبَّةً وَالْمُسْلِمُونَ أَوْلَى بِهَا، أَوْلَاهَا: لَوْ نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ لَاجْتَهَدُوا فِي بَرِّهِ. وَالثَّانِي: لَوْ كَانَتْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ امْرَأَةٌ كَبُرَتْ عِنْدَهُ لَا يُطَلِّقُهَا، وَيُمْسِكُهَا مَخَافَةَ أَنْ تَضِيعَ. وَالثَّلَاثُ: إِذَا لَحِقَ بِجَارِهِمْ دَيْنٌ، أَوْ أَصَابَهُ شِدَّةٌ أَوْ جَهْدٌ، اجْتَهَدُوا حَتَّى يَقْضُوا دَيْنَهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ تِلْكَ الشَّدَّةِ" وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَيْسَ حُسْنُ الْجَوَارِ كَفُّ الْأَذَى عَنِ الْجَارِ، وَلَكِنْ حُسْنُ الْجَوَارِ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى مِنَ الْجَارِ. وَقِيلَ: تَمَامٌ حُسْنِ الْجَوَارِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: أَوْلَاهَا: أَنْ يُؤَاسِيَهُ بِمَا عِنْدَهُ. وَالثَّانِي: أَنْ لَا يَطْمَعَ فِيمَا عِنْدَهُ. وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَمْنَعَ أَذَاهُ عَنْهُ. وَالرَّابِعُ: أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ.)

6- وفی (الإحیاء): (وجملة حق الجار: أن یبدأه بالسلام، ولا یطیل معه الكلام، ولا یكثر عن حاله السؤال، ویعوده فی المرض ویعزیه فی المصیبة، ویقوم معه فی العزاء، ویهنئه فی الفرح، ویظهر الشركة فی السرور معه، ویصفح عن زلاته، ولا یتطلع من السطح إلى عوراته، ولا یضايقه فی وضع الجذع علی جداره، ولا فی مصب الماء فی میزابه، ولا فی مطرح التراب فی فنائه، ولا یضیق طرقه إلى الدار، ولا یتبعه النظر فیما یحمله إلى داره، ویستر ما ینکشف له من عوراته، وینعشه من صرخته إذا نابتة نائبة، ولا یغفل عن ملاحظة داره عند غیبتة، ولا یسمع علیه كلاماً، ویغض بصره عن حرمتة، ولا یدیم النظر إلى خادمته، ویتلطف بولده فی کلمته، ویرشده إلى ما یجهله من أمر دینه ودنیاه).

(خ: 2) (ع) 2- قصص فی حُسن الجوار والتحذیر من إیذائه:

1- فی (صحیح ابن حبان) حدیث (520) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَاَ إِلَيْهِ جَارًا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «اصْبِرْ» ثُمَّ، قَالَ لَهُ فِي الرَّابِعَةِ أَوْ الثَّالِثَةِ: «اطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: إِذَا هُوَ جَارُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: لَعْنَةُ اللَّهِ فَجَاءَهُ جَارُهُ، فَقَالَ: رُدِّ مَتَاعَكَ، لَا وَاللَّهِ لَا

أُوذِيكَ أَبَدًا [تعليق الألباني]: حسن صحيح. [تعليق شعيب الأرناؤوط]:
إسناده قوي.

2- وفي (صفة الصفوة): (قال عمارة بن زازان: قال لي كهمس بن الحسن: يا
أبا سلمة أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه أربعين سنة. قلت: وما هو يا أبا عبد الله؟
قال: زارني أخ لي فاشتريت له سمكاً بدانق. فلما أكل، قمتُ إلى حائط جارٍ
لي فأخذتُ منه قطعة طين فغسل بها يده، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة.)
3- وفي (الإحياء): (قال مجاهد: كنتُ عند عبد الله بن عمر وغلّام له يسلم
شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مراراً، فقال
له: لِمَ تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا
بالجار حتى خشينا أنه سيورثه. وقال هشام: كان الحسن لا يرى بأساً أن تطعم
الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك.)

4- وفيه أيضاً: (ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له:
إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ، فقال: اذهب فإن هو عصى الله
فيك فأطع الله فيه.)

5- وفي (نزهة المجالس): (عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن جاره
اليهودي انخرق جداره إلى منزل الحسن فصارت النجاسة تنزل في داره،

واليهودي لا يعلم بذلك فدخلت زوجته يوماً فرأت النجاسة قد اجتمعت في دار الحسن فأخبرت زوجها بذلك فجاء اليهودي إليه معذراً فقال: أمرني جدي صلى الله عليه وسلم بإكرام الجار، فأسلم اليهودي.)

6- وفي (الكبائر) للذهبي: (رُوِيَ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَارٌ ذَمِّيٌّ، وَكَانَ قَدْ انْبَثَقَ -أَي: انْبَثَقَ مَاءُ- مِنْ كَنِيفِهِ إِلَى بَيْتِ فِي دَارِ سَهْلِ بَثِقَ فَكَانَ سَهْلٌ يَضَعُ كُلَّ يَوْمٍ الْجَفْنََةَ تَحْتَ ذَلِكَ الْبَثِقِ فَيَجْتَمِعُ مَا يَسْقُطُ فِيهِ مِنْ كَنِيفِ الْمَجُوسِيِّ، وَيَطْرَحُهُ بِاللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فَمَكَثَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ زَمَانًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ حَضَرَتْ سَهْلًا الْوَفَاةَ فَاسْتَدْعَى جَارَهُ الْمَجُوسِيَّ، وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ ذَلِكَ الْبَيْتَ، وَانظُرْ مَا فِيهِ. فَدَخَلَ فَرَأَى ذَلِكَ الْبَثِقَ وَالْقَدْرَ يَسْقُطُ مِنْهُ فِي الْجَفْنَةِ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالَ سَهْلٌ: هَذَا مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ يَسْقُطُ مِنْ دَارِكَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ، وَأَنَا أَتْلِقَاهُ بِالنَّهَارِ، وَأَلْقِيهِ بِاللَّيْلِ. وَلَوْلَا أَنَّهُ حَضَرَنِي أَجْلِي، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ لَا تَتَّسِعَ أَخْلَاقُ غَيْرِي لِذَلِكَ، وَإِلَّا لَمْ أَخْبِرْكَ فَافْعَلْ مَا تَرَى فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْتَ تَعَامَلَنِي بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَأَنَا مَقِيمٌ عَلَى كَفْرِي، مَدِيدُكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ مَاتَ سَهْلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.)

الخطبة الرابعة: فضائل الإيثار:

(خ: 1) (ع) 1- فضائل الإيثار وذم الشح في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 8-9] في (تفسير ابن كثير): (يقول تعالى مبيِّنًا حَالِ الْفُقَرَاءِ الْمُسْتَحِقِّينَ لِمَالِ الْفَيْءِ أَنَّهُمْ } الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا { أَي: خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَخَالَفُوا قَوْمَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ { أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَدَّقُوا قَوْلَهُمْ بِفِعْلِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ سَادَاتُ الْمُهَاجِرِينَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى - مَادِحًا لِلْأَنْصَارِ، وَمُبَيِّنًا فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ، وَعَدَمَ حَسَدِهِمْ وَإِيثَارِهِمْ مَعَ الْحَاجَةِ -: { وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ } أَي: سَكَنُوا دَارَ الْهَجْرَةِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ وَآمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ... { وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا } أَي: وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ

وَالرُّبُوبَةُ... {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} يَعْنِي: حَاجَةً. أَي: يُقَدِّمُونَ الْمَحَاوِجَ عَلَى حَاجَةِ أَنفُسِهِمْ، وَيَبْدُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ اِحْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ. وَفِي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدى: (وقوله: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} أَي: وَمِنْ أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وبتوا جياعا، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، وَمَنْ رُزِقَ الإيثار، فقد وَقِيَ شَحَّ نَفْسِهِ {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقِيَ العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل

اللہ وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين. وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتهم بهداهم. (في صحيح البخارى) حديث (3798) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَيَّ نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَنَوْمِي صِبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَنَوَمْتُ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {الحشر: 9] وأخرجه أيضاً حديث (4889) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَيَّ أَهْلِي، فَقَالَ لِمَرَاتِهِ: ضَيِّفِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوْتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِنَّ، وَتَعَالَي فَاطْفِي السَّرَاجَ وَنَطُوي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** {الحشر: 9] وفي صحيح مسلم. حديث 172 - (2054) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ بَعْضُ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ

لَا مَرَاتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ،
فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَاطْفِي السَّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي
إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَآكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا
الْيَلِيلَةَ» فِي (شرح النووى على صحيح مسلم): (هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى
فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنَ
الرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَضِيقِ حَالِ الدُّنْيَا وَمِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكَبِيرِ
الْقَوْمِ أَنْ يَبْدَأَ فِي مَوَاسَاةِ الضَّيْفِ وَمَنْ يَطْرُقُهُمْ بِنَفْسِهِ فَيُؤَاسِيهِ مِنْ مَالِهِ أَوْلًا
بِمَا يَتَيَسَّرُ إِنْ أَمَكَّنَهُ ثُمَّ يَطْلُبُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مِنْ
أَصْحَابِهِ وَمِنْهَا الْمَوَاسَاةُ فِي حَالِ الشَّدَائِدِ وَمِنْهَا: فَضِيلَةُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ
وَإِيثارِهِ وَمِنْهَا مَنْقَبَةُ لِهَذَا الْأَنْصَارِيِّ وَامْرَأَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَمِنْهَا:
الِإِحْتِيَالُ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا كَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ رِفْقًا بِأَهْلِ الْمَنْزِلِ لِقَوْلِهِ أَطْفِئِي
السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ فَإِنَّهُ لَوْ رَأَى قَلَّةَ الطَّعَامِ وَأَنْهُمَا لَا يَأْكُلَانِ مَعَهُ لَا مَتَنَعَ
مِنَ الْأَكْلِ وَقَوْلُهُ: (فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ) إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَحْلُ الْإِنْسَانِ هُوَ مَنْزِلُهُ
مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ أَوْ شَعْرٍ أَوْ وَبَرٍ قَوْلُهُ (فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا،
إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي. قَالَ فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الصَّبْيَانَ لَمْ يَكُونُوا

مُحْتَاجِينَ إِلَى الْأَكْلِ وَإِنَّمَا تَطْلُبُهُ أَنْفُسُهُمْ عَلَى عَادَةِ الصَّبِيَانِ مِنْ غَيْرِ جُوعٍ
يَضْرُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى حَاجَةٍ بِحَيْثُ يَضْرُهُمْ تَرَكَ الْأَكْلَ لَكَانَ إِطْعَامُهُمْ
وَاجِبًا وَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الضِّيَافَةِ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يَتْرُكَا وَاجِبًا، بَلْ أَحْسَنَا
وَأَجْمَلَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَأَمَّا هُوَ وَامْرَأَتُهُ فَآثَرَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِرِضَاهُمَا مَعَ
حَاجَتِهِمَا وَخِصَاصَتِهِمَا فَمَدَحَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْزَلَ فِيهِمْ {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ففِيهِ فَضِيلَةٌ الْإِيثَارِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَجْمَعَ
الْعُلَمَاءُ عَلَى فَضِيلَةِ الْإِيثَارِ بِالطَّعَامِ وَنَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَحُطُوطِ النُّفُوسِ.
أَمَّا الْقُرْبَاتُ فَالْأَفْضَلُ أَنْ لَا يُؤْتِرَ بِهَا لِأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى. (وقال تعالى:
{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ
يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا، يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَادِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ
جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان: 5-

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَعَامُ الْاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ» متفقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلمٍ عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ» (رياض) حديث (564)

2- وعن جابر- رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رواه مسلم. (رياض) حديث (562)

أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- في (حياة الصحابة): (أخرج الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى علينا زمان وما يري أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم.)

2- وفي (المدارج): (فَضْلٌ مَنْزِلَةٌ الْإِيثَارُ: ... فَالْإِيثَارُ ضِدُّ الشُّحِّ. فَإِنَّ الْمُؤَثَّرَ عَلَى نَفْسِهِ تَارِكٌ لِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَالشَّحِيحُ: حَرِيصٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِيَدِهِ. فَإِذَا حَصَلَ بِيَدِهِ شَيْءٌ شَحَّ عَلَيْهِ. وَبَخَلَ بِإِخْرَاجِهِ. فَالْبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ. وَالشُّحُّ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ).

(خ: 2) (ع) 2- من أخبار وقصص أهل الإيثار:

1- عن سهل بن سعدٍ - رضي الله عنه: أَنَّ أُمَّرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لِأَكْسُو كَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهَا وَإِنَّهَا إِزَارَةٌ، فَقَالَ فُلَانٌ: أَكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَيْسَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري. (رياض) حديث (566)

2- وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ

بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» متفقٌ عَلَيْهِ. «أرْمَلُوا»: فَرَّغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ
الْفَرَاغَ. (رياض) حديث (567)

3- وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَسْكِينًا سَأَلَهَا، وَهِيَ
صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: «أَعْطِيهِ إِيَّاهُ»، فَقَالَتْ:
لَيْسَ لَكَ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «أَعْطِيهِ إِيَّاهُ» قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، قَالَتْ: فَلَمَّا
أَمْسَيْنَا أَهَدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدِي لَنَا شَاةً وَكَفَنَهَا، فَدَعَّتَنِي
عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: «كُلِّي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ
قُرْصِكَ» الْمُوْطَأُ. تَرْقِيمُ مُحَمَّدُ فُوَادُ عَبْدِ الْبَاقِي. رَقْمُ (5)

4-5 وفي (تفسير القرطبي): (4- في الصحيح أن أبا طلحة ترس على النبي
صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى
القوم، فيقول له أبو طلحة: لا تُشرف يا رسول الله! لا يصيبونك! نخري دون
نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت 5- وقال حذيفة
العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعني شي من الماء - وأنا
أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن
نعم فإذا أنا برجل يقول: أه! أه! فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو
هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: أه! أه! فأشار

هِشَامٌ أَنْ انْطَلَقَ إِلَيْهِ فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ. فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ. فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ.

6-7 في (مُختصر منهاج القاصدين): (6- وأهدى إلى الرجل من الصحابة رضى الله عنه رأس شاة، فقال: إن أخي أحوج إليه مني، فبعث به إلى الرجل، فبعث به ذلك إلى آخر، حتى تداولته سبع أبيات، فرجع إلى الأول...

7- واجتمع جماعة من الفقهاء في موضع لهم وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رُفِعَ الطعام، إذا هو بحاله، لم يأكل أحد منهم شيئاً إيثاراً لأصحابه).

8- وفي (الرسالة القشيرية): (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما سعي غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه، وكان يفتى على مذهب أبي ثورة. وأمّا الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري فقال السيف: تدري إلى ماذا تبادر؟ فقال: نعم، فقال: وما يعجلك؟ فقال: أوتر على أصحابي حياة ساعة، فتحير السيف، وأنهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم، فألقى القاضي على أبي الحسين النوري مسائل فقهية فأجابه عن الكل، ثم أخذ يقول: وبعد فإن لله تعالى عباد إذا

قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد ألفاظاً أبكى القاضي، فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم. وفي (مُحاضرة حين يجدُ المؤمنُ حلاوة الإيمان) ل/عبد الله ناصح علوان-تعليقاً على هذه القصة-: (فكان ذلك سبب نجاتهم جميعاً). وفي (تلييس إبليس) لابن الجوزي: (وبإسنادٍ عن أبي نعيم الحافظ قال سمعتُ: عمّر البنا البغدادي بمكة يحكي أنه لما كانت محنة غلام الخليل، ونسبة الصوفية إلى الزندقة، أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النوري في جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النوري مبتدراً إلى السيف ليضرب عنقه فقال له السيف: ما دعاك إلى البدار؟ قال: أثرت حياة أصحابي على حياتي هذه اللحظة، فتوقف السيف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق فأمر بتخليتهم. وبإسنادٍ إلى أبي العباس أحمد بن عطاء قال: كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال: ههنا قومٌ زنادقة فأخذ أبو الحسين النوري، وأبو حمزة الصوفي، وأبو بكر الدقاق وجماعة من أقران هؤلاء، واستتر الجنيد بن محمد بالفقهِ على مذهب أبي ثور فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فأول من بدر أبو الحسين النوري فقال له السيف: لم بادرت أنت

من بين أصحابك ولم تُرِعْ؟ قَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ أُوْثِرَ أَصْحَابِي بِالْحَيَاةِ مِقْدَارَ هَذِهِ السَّاعَةِ، فَرَدَّ الْخَلِيفَةُ أَمْرَهُمْ إِلَى الْقَاضِي فَأُطْلِقُوا. قَالَ الْمَصْنَفُ: وَمِنْ أَسْبَابِ هَذِهِ الْقِصَّةِ قَوْلُ النَّوْرِيِّ: أَنَا أَحْبَبْتُ اللَّهَ، وَاللَّهُ يَحْبِبُنِي فَشُهِدَ عَلَيَّ بِهَذَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ النَّوْرِيُّ إِلَى السِّيَافِ لِيُقْتَلَ إِعَانَةَ عَلِيٍّ نَفْسَهُ فَهُوَ خَطَا أَيْضًا.

الخطبة الخامسة: (سلسلة التحذیر من آفات اللسان):

(خ: 1) (خطبة عامة في بيان خطورة اللسان): (1)

(ع) 1- التحذیر من آفات اللسان والأمر بحفظه في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114] في (تفسير ابن كثير): (يقول تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} يَعْنِي: كَلَامَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، أَي: إِلَّا نَجْوَى مَنْ قَالَ ذَلِكَ). وقال: {وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 13 - 14] في (التفسير الوسيط): (والمراد بطائره: عمله الصادر عنه باختياره وكسبه، حسبما قدره الله تعالى عليه من خير وشر. أي: وألزمنا كل إنسان مكلف عمله الناتج عنه، إلزامًا لا فكاك له منه، ولا قدرة له على مفارقتة. وعبر سبحانه عن عمل الإنسان بطائره، لأن العرب كانوا - كما يقول الآلوسي - يتفاءلون بالطير، فإذا سافروا ومر بهم الطير زجروه، فإن مر بهم سانحًا - أي: من جهة الشمال إلى اليمين -، تيمنوا وتفاءلوا، وإن مر بارحًا، أي: من جهة اليمين إلى الشمال، تشاءموا، فلما

نسبوا الخیر والشر إلى الطائر، استعیر استعارة تصریحیة، لما یشبههما من قدر الله - تعالی - وعمل العبد، لأنه سبب للخیر والشر. وقوله سبحانه: **{فی عنقه}** تصویر لشدة الزوم وكمال الارتباط بین الإنسان وعمله. وخص سبحانه العنق بالذكر من بین سائر الأعضاء، لأن الزوم فیہ أشد، ولأنه العضو الذی تارة یشبهه ما یزینه كالقلادة وما یشبهها، وتارة یشبهه ما یشینه كالغل والقید وما یشبههما. قال الإمام ابن کثیر: وطأره: هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد، وغیر واحد: من خیر أو شر، یلزم به ویجازی علیه: كما قال تعالی: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** وكما قال تعالی: **{إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ علیه، قلیله وكثیره: ویكتب علیه لیلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً. وقوله سبحانه: **{وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا}** بیان لحاله فی الآخرة بعد بیان حاله فی الدنیا. والمراد بالكتاب هنا صحائف أعماله التی سجلت علیه فی الدنیا. أى: ألزمتنا كل إنسان مكلف عمله الصادر عنه فی الدنیا، وجعلناه مسئولاً عنه دون غیره. فی الآخرة فسنخرج له ما عمله من خیر أو شر " فی كتاب یلقاه منشوراً " أى: مفتوحاً بحيث یشتطیع قراءته، ومكشوفاً بحيث لا یملك إخفاء شیء منه، أو تجاهله، أو المغالطة فیہ. كتاب

ظهرت فيه الخبايا والأسرار ظهوراً يغنى عن الشهود والجدال. كتاب مشتمل على كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان، كما قال تعالى: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكفى بِنَا حَاسِبِينَ}** [الأنبياء: 47] ثم بين سبحانه ما يخاطب به الإنسان بعد أن فتح كتابه أمامه، فقال تعالى: **{اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}** أى: ويقال له بعد أن وجد كتابه منشوراً أمامه، اقرأ كتابك هذا، وما اشتمل عليه من أعمال صدرت عنك فى الدنيا، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). وقال سبحانه: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}** [ق: 16- 18] فى (تفسير ابن كثير): (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تَعْمَلْ» وقوله عز وجل: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** يعنى ملائكتُهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وريده... فَلِلْمَلَكِ لَمَّةٌ فِي الْإِنْسَانِ كَمَا أَنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ

یَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ المصَدُوقُ ؛ ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا : إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عِنِّي الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَكْتُبُانِ عَمَلِ الْإِنْسَانِ . عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ أَيُّ مُتَرَصِّدٌ مَا يَلْفِظُ أَيُّ ابْنِ آدَمَ مِنْ قَوْلِ أَيُّ مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ أَيُّ إِلَّا وَلَهَا مَنْ يُرَاقِبُهَا مُعْتَدٍ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الْإِنْفِطَارِ : 10 - 12] وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ . وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَعَلَى قَوْلَيْنِ وَظَاهِرِ الْآيَةِ الْأُولَى لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ... وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْخَيْرَ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّمَالِ . فَإِنْ أَصَابَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً ، قَالَ لَهُ : أَمْسِكْ ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى ، نَهَاهُ أَنْ يَكْتُبَهَا . وَإِنْ أَبَى كَتَبَهَا ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ - : { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ } يَا ابْنَ آدَمَ بَسِطْتَ لَكَ صَحِيفَةً ، وَوَكَّلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ : أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ ، فَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ أَقْبَلْ أَوْ أَكْثِرْ حَتَّى إِذَا مِتَّ ، طُوِيَتْ

صَحِيفَتُكَ، وَجَعَلْتَ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى: {وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} ثُمَّ يَقُولُ: عَدَلَ وَاللَّهِ فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} قَالَ: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ: أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، رَأَيْتُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَرَضَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ فَأَقْرَأَ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَأَلْقَى سَائِرَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرَّعْدِ: 39] وَذَكَرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ فِي مَرَضِهِ فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ يَكْتُبُ الْمَلِكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنْبِيَاءَ فَلَمْ يَتَّبِعْ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه. (رياض) حديث (1511) قال الإمام النووي: وهذا صريح في أنه ينبغي

أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ خَيْرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَمَتَى شَكَّ فِي ظُهُورِ الْمَصْلَحَةِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ.

2- وعن أبي موسى -رضي الله عنه -قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ مَتَّفِقَ عَلَيْهِ». (رياض) حديث (1512)

3- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه -: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَعْدَمًا مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» متفق عليه. ومعنى: «يَتَّبِعُنُ» يُفَكِّرُ أَنَّهَا خَيْرٌ أَمْ لَا؟ (رياض) حديث (1514)

4- وعنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» رواه البخاري. (رياض) حديث (1515)

5- وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه -قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن» (رياض) حديث (1520) 6- وعن مُعَاذٍ -

رضی اللہ عنہ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَن عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسِرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلَا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ حَتَّىٰ بَلَغَ {يَعْمَلُونَ} [السجدة: 16-17] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُلُّهُ!» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»
رياض) حديث (1522) أما الآثَارُ فَمِنْهَا:

1- في (رياض الصالحين) قال الإمام النووي: اعْلَمَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنِ جَمِيعِ الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا ظَهَرَتْ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ فِي الْمَصْلَحَةِ، فَالْسُنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجُرُ الْكَلَامُ

المُبَاحِ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.)

2-3 في (الإحياء): (كتب إلينا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أما بعد: فإن من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه... وقال أبو بكر بن عياش: اجتمع أربعة ملوك؛ ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل، وقال الآخر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها، ولم تملكني، وقال الثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال الرابع: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت.)

4- وفي (الحلية): (عن الربيع بن خثيم قال: أقلوا الكلام، إلا بتسع: تسبيح، وتكبير، وتهليل، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءة القرآن.)

5- قال شاعرٌ: (احفظ لسانك أيها الإنسان: ... لا يلدغك إنه ثعبان)
(كم في المقابر من قتيل لسانه: ... كانت تهاب لقاءه الشجعان)

(خ: 2) (ع) 2- أخبار مُتفرقة حول التحذیر من آفات اللسان:

1- عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: (اسْتَشْهِدَ غُلَامٌ مِنَّا يَوْمَ أُحُدٍ، فَوُجِدَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةٌ مَرْبُوطَةٌ مِنَ الْجُوعِ، فَمَسَحَتْ أُمَّهُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَتْ: هَنِيبًا لَكَ يَا بَنِيَّ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَا يُذْرِيكَ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخُلُ بِمَا لَا يُنْقِضُهُ " (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) وفي هامشه: انظر صحيح التَّزْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (2883، 2884)

2- وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أن امرأةً كانت عند عائشة ومعها نسوة، فقالت امرأة منهن: والله لأَدْخُلَنَّ الجنةَ، فقد أسلمتُ وما سرقْتُ وما زنيْتُ. في المنام فقيل لها: أنتِ المتأليَّةُ لتَدْخُلَنَّ الجنةَ؟! كيف وأنتِ تبخلين بما لا يُغنيكِ، وتتكلمين فيما لا يعينكِ؟! فلما أصبحتِ المرأةُ دخلت على عائشة، فأخبرتها بما رأت، وقالت: اجمعي النسوة اللاتي كُنَّ عندك حين قلتُ ما قلتُ، فأرسلت إليهن عائشة، فجننَ فحدثتهن المرأةُ بما رأت في المنام. رواه البيهقي. (ضعيف الترغيب والترهيب) حديث: 1722 - (22) وقال الألباني:

[ضعيف موقوف]

3- وعن أسلم أن عمر دخل يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو يجبد لسانه فقال عمر: مه، غفر الله لك فقال له أبو بكر: " إن هذا أوردني شرًّا

الموارد" رواه مالك وابن أبي الدنيا والبيهقي. الترغيب والترهيب. رقم (4352)

4- في (الإحياء): (وقيل: ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة. وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسًا، وقلماً فكل ما تكلم به كتبه، ثم يحاسب نفسه عند المساء.)

5-7- في (تنبيه الغافلين): (قيل لثقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني "ومن أقواله: " الصمت حكمةٌ وقليلٌ فاعله"... وذكر عن ثقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني من يصحب صاحب السوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم"... وذكر أن ثقمان الحكيم كان عبداً حبشياً فأول ما ظهر من حكمته أنه قال له مؤلاه: يا غلام اذبح لنا هذه الشاة واتنبي بأطيب مضغتين منها، فجاء بالقلب واللسان. ثم قال مرةً أخرى: اذبح لنا هذه الشاة، واتنبي بأخبث مضغتين منها، فأتاه باللسان والقلب. فسأله عن ذلك، فقال: ليس في الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.)

خُطْبُ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ:

(سلسلة التحذير من آفات اللسان): (2)

الْخُطْبَةُ الْأُولَى: (التحذير من الغيبة): (خ: 1)

(ع) 1- التحذير من الغيبة في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 12] في (التفسير الوسيط): (ثم نهى سبحانه بعد ذلك عن الغيبة فقال: {وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} والغيبة - بكسر الغين - أن تذكر غيرك في غيابه بما يسوءه يقال: اغتاب فلان فلاناً، إذا ذكره بسوء في غيبته، سواء أكان هذا الذكر بصريح اللفظ أم بالكناية، أم بالإشارة، أم بغير ذلك... ثم ساق سبحانه تشبيهاً ينفرد من الغيبة أكمل تنفير فقال: {أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}؟ والاستفهام للتقرير لأنه من الأمور المسلمة أن كل إنسان يكره أكل لحم أخيه حياً، فضلاً عن أكله ميتاً. والضمير في قوله: {فَكَرِهْتُمُوهُ} يعود على الأكل المفهوم من قوله {يَأْكُلُ} و{مَيْتًا} حال من اللحم أو من الأخر... أي: اجتنبوا أن تذكروا غيركم

بسوء فی غیبته، فإن مثل من یغتاب أخاه المسلم كمثل من یأكل لحمه وهو میت، ولا شك أن كل عاقل یكره ذلك وینفر منه أشد النفور... والحق أن المتأمل فی هذه الآیة الكریمة یراها قد نfert من الغیبة بأبلغ أسلوب وأحكامه، لأنها من الكبائر والقبايح التي إلى تؤدی إلى تمزق شمل المسلمین، وإیقاد نار الكراهیة فی الصدور.

أما الأحادیث: فمنها:

1- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتك، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته» رواه مسلم. (رياض) حديث (1523) في (شرح الإمام النووي على صحيح مسلم): (يقال: "بهتته" بفتح الهاء مخففة. قلت فيه البهتان وهو الباطل، والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه، وهما حرامان، لكن تبأح الغيبة لغرض شرعي، وذلك لستة أسباب: أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمي فلان أو فعل بي كذا. الثاني: الاستغاثة

عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ فَيَقُولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ: فَلَانَ
يَعْمَلُ كَذَا فَازْجُرْهُ عَنْهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. الثَّالِثُ: الْإِسْتِفْتَاءُ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتِي ظَلَمَنِي
فُلَانٌ أَوْ أَبِي أَوْ أَخِي أَوْ زَوْجِي بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ وَمَا طَرِيقِي فِي الْخَلَاصِ
مِنْهُ وَدَفْعِ ظَلْمِهِ عَنِّي وَنَحْوُ ذَلِكَ؟ فَهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ. وَالْأَجْوَدُ أَنْ يَقُولَ فِي
رَجُلٍ أَوْ زَوْجٍ أَوْ وَالِدٍ وَوَلَدٍ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَمَعَ ذَلِكَ فَالْتَّعْيِينُ جَائِزٌ لِحَدِيثِ
هِنْدٍ وَقَوْلِهَا إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ. الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَذَلِكَ
مِنْ وُجُوهِ مِنْهَا جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْمُصَنِّفِينَ وَذَلِكَ جَائِزٌ
بِالْإِجْمَاعِ بَلْ وَاجِبٌ صَوْنًا لِلشَّرِيعَةِ وَمِنْهَا الْإِخْبَارُ بِعَيْبِهِ عِنْدَ الْمَشَاوَرَةِ فِي
مَوَاصِلَتِهِ. وَفِي (رِيَاضُ): 256 - بَابُ مَا يَبَاحُ مِنَ الْغَيْبَةِ: (اعْلَمْ أَنَّ الْغَيْبَةَ
تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتُّهُ أَسْبَابٍ:
الْأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَّظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا
مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَنِي فَلَانَ
بِكَذَا. الثَّانِي: الْإِسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فَيَقُولُ
لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ: فَلَانَ يَعْمَلُ كَذَا، فَازْجُرْهُ عَنْهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ
وَيَكُونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ
حَرَامًا. الثَّالِثُ: الْإِسْتِفْتَاءُ، فَيَقُولُ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي، أَوْ

فَلَا بُكْذًا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي فِي الْخِلَاصِ مِنْهُ، وَتَحْصِيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، وَلَكِنَّ الْأَحْوَطَ وَالْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَالتَّعْيِينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِي حَدِيثِ هِنْدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. -قلتُ: (يقصد حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قالت هندُ امرأةَ أبي سفيانَ للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدَكَ بِالْمَعْرُوفِ» متفق عليه. (رياض) (1535). الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ: مِنْهَا جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَذَلِكَ جَائِزٌ بِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ. وَمِنْهَا: الْمَشَاوَرَةُ فِي مُصَاهَرَةِ إِنْسَانٍ أَوْ مُشَارَكَتِهِ، أَوْ إِيدَاعِهِ، أَوْ مُعَامَلَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمَشَاوِرِ أَنْ لَا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ الْمَسَاوِيَّ الَّتِي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصِيحَةِ. وَمِنْهَا: إِذَا رَأَى مُتَّفَقَةً يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ الْعِلْمَ، وَخَافَ أَنْ يَنْتَضَرَ الْمُتَّفَقَةُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بَبَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذَا مِمَّا يُغْلَطُ فِيهِ. وَقَدْ يَحْمِلُ الْمُتَكَلِّمُ بِذَلِكَ الْحَسَدَ، وَيَلْبَسُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ

نصيحة فليتفطن لذلك. ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويؤلي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يعتز به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به. الخامس: أن يكون مجاهرًا بنفسه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه. السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة.

2- وعن أبي بركة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» أبو داود. حديث (4880) [حكم الألباني]: حسن صحيح.

3- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!» قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا» رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح» ومعنى: «مَزَجَتْهُ» خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِهَا وَقُبْحِهَا. وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة. (رياض) حديث (1525) في (عون المعبود شرح سنن أبي داود) ل/ العظیم آبادي: ((وَحَكَيْتُ لَهُ) لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنْسَانًا) أَي: فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ تَحْقِيرًا لَهُ. يُقَالُ: حَكَاهُ وَحَاكَاهُ. وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَبِيحِ الْمُحَاكَاهُ (فَقَالَ) أَي: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا" أَي: مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعَيْبِهِ، أَوْ مَا يَسُرُّنِي أَنْ أُحَاكِيَهُ بِأَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ أَوْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَيَّ وَجِهَ التَّنْقِيصِ " (وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا" أَي: وَلَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الدُّنْيَا. أَي: شَيْئًا كَثِيرًا عَلَيَّ ذَلِكَ).

4- وفي (الترغيب والترهيب) حديث (17) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل لحم أخيه في الدنيا، قُرَّبَ إليه يوم القيامة، فيقال له: كُلْهُ مَيْتًا كَمَا أَكَلْتَهُ حَيًّا، فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَضِجُ" رواه

أبو یعلی والطبرانی وأبو الشیخ فی کتاب التوبیخ إلا أنه قال: یصیح. بالصاد المهملة، کلهم من رواية محمد بن إسحق، وبقیة رواة بعضهم ثقات. [یضح]: بالصاد المعجمة بعدها جیم ویصیح کلاهما بمعنی واحد کذا قال بعض أهل اللغة والظاهر أن لفظة یضح بالصاد المعجمة فیها زیادة إشعار بمقارنة فزع أو قلق، والله أعلم. [ویکلح] بالحاء المهملة: أي یعبس ویقبض وجهه من الكراهة. ذكره الألبانی فی (ضعیف الترغیب والترهیب) حدیث (1685) وقال: (ضعیف).

5- وفی (المُسند) حدیث (14784) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ حَيْفَةً مُتْنَنَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرَّيْحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ " قال مُحققوه: إسناده حسنٌ. وأخرجه البخاری فی (الأدب المُفرد) حدیث (732) [قال الشیخ الألبانی]: حسنٌ. فی (تنبیہ الغافلین): (وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ رِيحَ الْغَيْبَةِ وَنَتْنَهَا كَانَتْ تَتَّبِعُنَّ عَلَيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَتَّبِعُنَّ فِي يَوْمِنَا هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ الْغَيْبَةَ قَدْ كَثُرَتْ فِي يَوْمِنَا فَامْتَلَأَتْ الْأَنْوُفُ مِنْهَا فَلَمْ تَتَّبِعِنِ الرَّائِحَةَ، وَهِيَ النَّتْنُ وَيَكُونُ مَثَلُ هَذَا مَثَلُ رَجُلٍ دَخَلَ دَارَ الدَّبَاغِينَ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقَرَارِ فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الرَّائِحَةِ،

وَأَهْلُ تِلْكَ الدَّارِ يَأْكُلُونَ فِيهَا الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ الشَّرَابَ، وَلَا تَتَّبِعُنَّ لَهُمُ
الرَّيَاحَةَ لِأَنَّهَ قَدْ ائْتَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهَا، كَذَلِكَ أَمْرُ الْغَيْبَةِ فِي يَوْمِنَا هَذَا.)

أَمَّا الْآثَارُ: فَمِنْهَا:

1- فى (حلية الأولياء): (عن موسى بن إبراهيم قال: حضرت معروفاً الكرخي،
وعنده رجل يذكر رجلاً، وجعل يغتابه؛ وجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا
وضعه علي عينيك.)

2- وفى (مختصر منهاج القاصدين): (وقال على بن الحسين رضى الله
عنهما: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس.)

3-5 وفى (تنبيه الغافلين): (وَذَكَرَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لِيُعْطَى كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَرَى فِيهِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَكُنْ
عَمِلَهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ مِنْ أَيْنَ لِي هَذَا؟ فَيَقُولُ: هَذَا بِمَا اغْتَابَكَ النَّاسُ وَأَنْتَ لَا
تَشْعُرُ... وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: الْغَيْبَةُ فَالْكَهْمَةُ الْقُرَاءِ، وَضِيافَةُ
الْفُسَاقِ، وَمَرَاتِعُ النِّسَاءِ، وَأَدَامُ كِلَابِ النَّاسِ، وَمَرَابِلُ الْأَتْقِيَاءِ... قَالَ سُفْيَانُ
بْنُ الْحُصَيْنِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَنِلْتُ مِنْهُ. فَقَالَ:
اسْكُتْ. ثُمَّ قَالَ لِي سُفْيَانُ: هَلْ غَزَوْتَ الرُّومَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هَلْ غَزَوْتَ التُّرْكَ؟

قُلْتُ: لَا. قَالَ: سَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ، وَسَلِمَ مِنْكَ التُّرُكُ، وَلَمْ يَسَلَمْ مِنْكَ أَخُوكَ
الْمُسْلِمُ. قَالَ فَمَا عُدْتُ إِلَيَّ ذَلِكَ بَعْدُ.

(ع) 2- قصص في ذم الغيبة:

1- في (الترغيب والترهيب) حديث (4296) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
جَاءَ الْأَسْلَمِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزُّنَا
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ يَقُولُ: أَتَيْتُ امْرَأَةً حَرَامًا. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَعْرِضُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ الْحَدِيثَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ فَمَا تُرِيدُ بِهَذَا الْقَوْلِ قَالَ
أُرِيدُ أَنْ تَطَهَّرَنِي فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْجُمَ فَرَجَمَ فَسَمِعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجْلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لَصَاحِبِهِ:
انظُرْ إِلَيَّ هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدَعْ نَفْسَهُ حَتَّى رَجَمَ رَجْمَ الْكَلْبِ. قَالَ:
فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَمَرَّ بِجِيْفَةٍ حَمَارٍ شَائِلٍ
بِرَجْلِهِ -قُلْتُ: (أى: رافعها- وفي (اللسان العرب): (وكلُّ ما ارتفع شائلٌ.) -
فَقَالَ: أَيُّنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمَا: كَلَا مِنْ جِيْفَةٍ
هَذَا الْحَمَارُ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا نَلْتَمَا مِنْ عَرَضِ هَذَا الرَّجُلِ أَنْفًا أَشَدَّ مِنْ أَكْلِ
هَذِهِ الْجِيْفَةِ. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الْآنَ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْغَمَسُ فِيهَا". رَوَاهُ

ابن حبان في صحيحه). وذكره الألبانى فى (ضعيف الترغيب) حديث (1686) وقال: (ضعيف)

2- وفى (المُسند) حديث (23803) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ: بِئْسَ وَاللَّهِ مَا قُلْتَ، أَمَا وَاللَّهِ لِنُنَبِّئَنَّكَ، قُمْ يَا فَلَانُ، رَجُلًا مِنْهُمْ، فَأَخْبِرُهُ، قَالَ: فَأَدْرَكَهُ رَسُولُهُمْ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فَانصَرَفَ الرَّجُلُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَرْتُ بِمَجْلِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ فَلَانُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا السَّلَامَ، فَلَمَّا جَاوَزْتَهُمْ أَدْرَكَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فَلَانًا قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ هَذَا الرَّجُلَ فِي اللَّهِ، فَادْعُهُ فَسَلِّهُ عَلَامَ يُبْغِضُنِي؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ، فَاعْتَرَفَ بِذَلِكَ وَقَالَ: قَدْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَلِمَ تُبْغِضُهُ؟ " قَالَ: أَنَا جَارُهُ وَأَنَا بِهِ خَابِرٌ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُصَلِّي صَلَاةً قَطُّ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ الرَّجُلُ: سَلِّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَخْرَجْتُهَا عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ أَسَأْتُ الْوُضُوءَ لَهَا، أَوْ أَسَأْتُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهَا؟، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ:

وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يَصُومُ قَطُّ إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي يَصُومُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتُ قَطُّ أَفْطَرْتُ فِيهِ، أَوْ انْتَقَصْتُ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا؟، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ يُعْطِي سَائِلًا قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُهُ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا فِي شَيْءٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، إِلَّا هَذِهِ الصَّدَقَةَ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ: فَسَلَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ كَتَمْتُ مِنَ الزُّكَاةِ شَيْئًا قَطُّ، أَوْ مَا كَسْتُ فِيهَا طَالِبَهَا؟ قَالَ: فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُمْ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ " قَالَ مُحَقِّقُوهُ: ضَعِيفٌ لِإِسْرَالِهِ.

3-4 في (تنبيه الغافلين): (وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّ فَلَانًا قَدِ اعْتَابَكَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ طَبَقًا مِنَ الرُّطْبِ، وَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ أَهْدَيْتَ لِي حَسَنَاتِكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْفَيْتَكَ عَلَيْهَا، فَاغْذُرْنِي فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْفَيْتَكَ بِهَا عَلَى التَّمَامِ... وَرَوَى خَالِدُ الرَّبِيعِيُّ قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَتَنَاوَلُوا رَجُلًا فَنَهَيْتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَكُفُّوا وَأَخَذُوا فِي غَيْرِهِ ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ، فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ. فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَانِي رَجُلٌ أَسْوَدُ طَوِيلٌ وَمَعَهُ طَبَقٌ عَلَيْهِ قِطْعَةٌ مِنْ لَحْمِ خِنْزِيرٍ، فَقَالَ لِي كُلْ، فَقُلْتُ: أَكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ؟ ! وَاللَّهِ لَا أَكُلُهُ. فَانْتَهَرَنِي أَنْتَهَارًا شَدِيدًا وَقَالَ: قَدْ أَكَلْتُ مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ. فَجَعَلَ

يُدْسُهُ فِي فَمِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنَامِي. فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَكَثْتُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مَا أَكَلْتُ طَعَامًا إِلَّا وَجَدْتُ طَعْمَ ذَلِكَ اللَّحْمِ وَتَنَنُهُ فِي فَمِي.)

(خ: 2) (ع) 3- كيف نتوب من الغيبة؟: في (مختصر منهاج القاصدين): (وأما كفارة الغيبة، فاعلم أن المغتاب قد جنى جنائيتين: إحداهما: على حق الله تعالى، إذ فعل ما نهاه عنه، فكفارة ذلك التوبة والندم. والجنابة الثانية: على محارم المخلوق، فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل، جاء إليه واستحلّه وأظهر له الندم على فعله. وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه، من مال أو عرض، فليأتها فليستحلها منه قبل أن يؤخذ وليس عنده درهم ولا دينار، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته فأعطىها هذا، وإلا أخذ من سيئات هذا فألقى عليه". وإن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل، جعل مكان استحلاله الاستغفار له، لئلا يخبره بما لا يعلمه، فيوغر صدره. وقد ورد في الحديث: "كفارة من اغتبت أن تستغفر له" -قلت: (ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) حديث (1519) وقال: (ضعيف) وذكره في (ضعيف الجامع الصغير وزيادته) حديث (4190) وقال: (موضوع) -وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك أن تشنى عليه وتدعو له بخير، وكذلك إن كان قد

مات.) وفى (المدارج): (فَصَلُّ: وَمِنْ أَحْكَامِهَا-يقصدُ التوبةَ: أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِحَقِّ آدَمِيِّ أَنْ يَخْرُجَ التَّائِبُ إِلَيْهِ مِنْهُ، إِمَّا بِأَدَائِهِ وَإِمَّا بِاسْتِحْلَالِهِ مِنْهُ بَعْدَ إِعْلَامِهِ بِهِ وَإِنْ كَانَ حَقًّا مَالِيًّا أَوْ جَنَائَةً عَلَى بَدَنِهِ أَوْ بَدَنِ مَوْرُوثِهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِلَّا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ» وَإِنْ كَانَتِ الْمَظْلَمَةُ بِقَدْحٍ فِيهِ، بِغَيْبَةٍ أَوْ قَذْفٍ فَهَلْ يُشْتَرَطُ فِي تَوْبَتِهِ مِنْهَا إِعْلَامُهُ بِذَلِكَ بِعَيْنِهِ وَالتَّحَلُّلُ مِنْهُ؟ أَوْ إِعْلَامُهُ بِأَنَّهُ قَدْ نَالَ مِنْ عَرَضِهِ وَلَا يُشْتَرَطُ تَعْيِينُهُ، أَوْ لَا يُشْتَرَطُ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلْ يَكْفِي فِي تَوْبَتِهِ أَنْ يَتُوبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ مَنْ قَذَفَهُ وَاعْتَابَهُ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، وَعَنْ أَحْمَدَ رِوَايَتَانِ مَنْصُوصَتَانِ فِي حَدِّ الْقَذْفِ، هَلْ يُشْتَرَطُ فِي تَوْبَةِ الْقَاذِفِ إِعْلَامُ الْمَقْذُوفِ، وَالتَّحَلُّلُ مِنْهُ أَمْ لَا؟ وَيُخْرَجُ عَلَيْهِمَا تَوْبَةُ الْمُعْتَابِ وَالشَّاتِمِ. وَالْمَعْرُوفُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ اشْتِرَاطُ الْإِعْلَامِ وَالتَّحَلُّلِ، هَكَذَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُهُمْ فِي كُتُبِهِمْ. وَالَّذِينَ اشْتَرَطُوا ذَلِكَ اخْتَجُّوا بِأَنَّ الذَّنْبَ حَقُّ آدَمِيِّ فَلَا يَسْقُطُ إِلَّا بِإِحْلَالِهِ مِنْهُ وَإِيرَائِهِ. ثُمَّ مَنْ لَمْ يُصَحِّحِ الْبَرَاءَةَ مِنَ الْحَقِّ الْمَجْهُولِ شَرَطَ إِعْلَامَهُ بِعَيْنِهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ عَارِفًا بِقَدْرِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِعْلَامِ مُسْتَحِقِّهِ بِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ

بِالْإِبْرَاءِ مِنْهُ إِذَا عَرَفَ قَدْرَهُ. وَاحْتَجُّوا بِالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ - مِنْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ -، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ». قَالُوا: وَالْآنَ فِي هَذِهِ الْجِنَايَةِ حَقِّينِ: حَقًّا لِلَّهِ، وَحَقًّا لِلْأَدَمِيِّ، فَالتَّوْبَةُ مِنْهَا بِتَحَلُّلِ الْأَدَمِيِّ لِأَجْلِ حَقِّهِ، وَالتَّوْبَةُ فِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ لِأَجْلِ حَقِّهِ. قَالُوا: وَلِهَذَا كَانَتْ تَوْبَةُ الْقَاتِلِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِتَمَكِينِ وَلِيِّ الدَّمِ مِنْ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ اقْتَصَصَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وَكَذَلِكَ تَوْبَةُ قَاطِعِ الطَّرِيقِ. وَالْقَوْلُ الْآخِرُ: أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ الْإِعْلَامُ بِمَا نَالَ مِنْ عِرْضِهِ وَقَدْفِهِ وَاعْتِيَابِهِ، بَلْ يَكْفِي تَوْبَتُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَذْكَرَ الْمُعْتَابَ وَالْمَقْدُوفَ فِي مَوَاضِعِ غَيْبَتِهِ وَقَدْفِهِ بِضِدِّ مَا ذَكَرَهُ بِهِ مِنْ الْغَيْبَةِ، فَيُبَدِّلُ غَيْبَتَهُ بِمَدْحِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَحَاسِنَهُ، وَقَدْفَهُ بِذِكْرِ عَفْتِهِ وَإِحْصَانِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ بِقَدْرِ مَا اغْتَابَهُ. وَهَذَا اخْتِيَارُ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ. وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِأَنَّ إِعْلَامَهُ مَفْسَدَةٌ مَحْضَةٌ لَا تَتَضَمَّنُ مَصْلَحَةً، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَذَى وَحَنْقًا وَعَمًّا وَقَدْ كَانَ مُسْتَرِيحًا قَبْلَ سَمَاعِهِ، فَإِذَا سَمِعَهُ رُبَّمَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَمَلِهِ، وَأَوْرَثَتْهُ ضَرَرًا فِي نَفْسِهِ أَوْ بَدَنِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ ... وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَأَيْكَ لَمْ يَقُلْ) وَمَا كَانَ هَكَذَا فَإِنَّ الشَّارِعَ لَا يُبِيحُهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُوجِبَهُ وَيَأْمُرَ بِهِ. قَالُوا: وَرُبَّمَا كَانَ إِعْلَامُهُ بِهِ سَبَبًا لِلْعَدَاوَةِ وَالْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاتِلِ،

فَلَا يَصْفُو لَهُ أَبَدًا، وَيُورِثُهُ عِلْمُهُ بِهِ عَدَاوَةً وَبَغْضَاءً مُوَلَّدَةً لِشَرِّ أَكْبَرَ مِنْ شَرِّ
 الْغَيْبَةِ وَالْقَذْفِ، وَهَذَا صِدُّ مَقْصُودِ الشَّارِعِ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَالتَّرَاحِمِ
 وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّحَابِ. قَالُوا: وَالْفَرْقُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْحُقُوقِ الْمَالِيَّةِ وَجِنَايَاتِ
 الْأَبْدَانِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَدْ يَنْتَفِعُ بِهَا إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ، فَلَا يَجُوزُ
 إِخْفَاؤُهَا عَنْهُ، فَإِنَّهُ مَحْضُ حَقِّهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ إِلَيْهِ، بِخِلَافِ الْغَيْبَةِ
 وَالْقَذْفِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَنْفَعُهُ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ إِلَّا إِضْرَارُهُ وَتَهْيِيجُهُ فَقَطُّ،
 فَمَقْيَاسُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ مِنَ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِهَا لَمْ
 تُؤْذِهِ، وَلَمْ تُهْجِ مِنْهُ غَضَبًا وَلَا عَدَاوَةً، بَلْ رُبَّمَا سَرَّهُ ذَلِكَ وَفَرِحَ بِهِ، بِخِلَافِ
 إِعْلَامِهِ بِمَا مَرَّقَ بِهِ عَرَضُهُ طُولَ عُمْرِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، مِنْ أَنْوَاعِ الْقَذْفِ وَالْغَيْبَةِ
 وَالْهَجْوِ، فَاعْتَبَارُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ اعْتِبَارٌ فَاسِدٌ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي الْقَوْلَيْنِ
 كَمَا رَأَيْتَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.)

سلسلة التحذیر من آفات اللسان (3) الخُطبةُ الثانیة:

(التحذیر من النمیمة):

(خ: 1) (ع: 1- خطرُ النمیمة فی القرآن والأحادیث والآثار: قال تعالی: { وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } [القلم: 10-11] فی (تفسیر ابن کثیر): (وقوله تعالی: { هَمَّازٍ } قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: يَعْنِي الْإِغْتِيَابَ { مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ، وَيَنْتَقِلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ.) وفي (التفسیر الوسيط): ({ هَمَّازٍ } أَي: عِيَابٌ لِلنَّاسِ، أَوْ كَثِيرِ الْإِغْتِيَابِ لَهُمْ، مِنْ الْهَمْزِ، وَأَصْلُهُ: الطَّعْنُ فِي الشَّيْءِ بَعْدَ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِذَلِكَ يُوذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ وَبِعَيْنِهِ وَبِإِشَارَتِهِ، وَيَقَعُ فِيهِمْ بِالسُّوءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَيَبْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ } { مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } أَي: نَقَّالٌ لِلْحَدِيثِ السَّيِّئِ لِكَيْ يَفْسُدَ بَيْنَ النَّاسِ . . وَالنَّمِيمِ وَالنَّمِيمَةُ مَصْدَرَانِ بِمَعْنَى السَّعَايَةِ وَالْإِفْسَادِ. يُقَالُ: نَمَّ فُلَانٌ الْحَدِيثَ- مِنْ بَابِ قَتْلٍ وَضَرْبٍ- إِذَا سَارَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفِتْنَةِ.) وَقَالَ: { وَيَبْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ } [الهمزة: 1] فِي: (الدر المنثور) لِّلسُّيُوطِيِّ: (وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذِمِّ الْغَيْبَةِ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُثَنَّرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرَفِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ: { وَيَبْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ } قَالَ: هُوَ الْمَشَاءُ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُ بَيْنَ

الجمع، المغري بين الإخوان.) وقال عزَّ وجلَّ: {وَأَمْرًا لَهُ حَمَالَةٌ
الْحَطَبِ} [المسد: 4] فى (تفسير ابن كثير): (وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحُسَيْنِ
 وَقَتَادَةَ وَالثَّوْرِيِّ وَالسُّدِّيِّ {حَمَالَةٌ الْحَطَبِ} كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَاخْتَارَهُ ابْنُ
 جَرِيرٍ.) وفى (تنبيه الغافلين): (قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْحَطَبَ أَرَادَ بِهِ
 النَّمِيمَةَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ النَّمِيمَةُ حَطْبًا لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِلْعِدَاوَةِ وَالْقِتَالِ. فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ
 إِيقَادِ النَّارِ.) وقال سبحانه: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ
 لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ
 اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحریم: 10] فى (تفسير القرطبي):
 (قِيلَ: خِيَانَتُهُمَا النَّمِيمَةُ إِذَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا شَيْئًا أَفْشَتْهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ،
 قَالَهُ الضَّحَّاكُ. وَقِيلَ: كَانَتْ امْرَأَةُ لُوطٍ إِذَا نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ دَخَنْتَ لِتُعَلِّمَ قَوْمَهَا
 أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ، لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ.)
 أمَّا الأحاديث: فمنها:

1- فى صحيح مسلم. حديث 168 - (105) 169 - (105) ولفظ الرواية
 الأولى: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْبَغُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»

2- وفي (صحيح البخارى) حديث (6056) حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُدَيْفَةَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» وأخرجه مُسْلِمٌ. حديث 169 - (105) - 170 - (105) ولفظ الرواية الثانية: عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُدَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقِيلَ لِحُدَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ فَقَالَ حُدَيْفَةُ إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» - قُلْتُ: (فى النهاية): (قتت) فيه " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ " هو النَّمَامُ. يقال: قَتَّ الحديث، يُقْتُهُ إِذَا زَوَّرَهُ وَهَيَّأَهُ وَسَوَّاهُ. وقيل: الذي يكون مع القوم يتحدَّثون فينمُّ عليهم. والقَتَات: الذي يَتَسَمَّعُ على القوم وهم لا يعلمون ثم يَنمُّ. والقَسَّاس: الذي يَسْأَلُ عن الأخبار ثم يَنمُّها.

3- وفي (الترغيب والترهيب) حديث (261) عَنْ أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ نَحْوَ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ النَّعَالِ وَقَرَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَجَلَسَ حَتَّى قَدَمَهُمْ أَمَامَهُ فَلَمَّا مَرَّ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ إِذَا بِقَبْرَيْنِ قَدْ دَفَنُوا فِيهِمَا رَجُلَيْنِ. قَالَ:

فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ دَفَنْتُمْ هَاهُنَا الْيَوْمَ؟ قَالُوا: فَلَانَ وَقُلَانَ. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَتَنَزَّهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَأَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا، ثُمَّ جَعَلَهَا عَلَى الْقَبْرَيْنِ. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِيخْفِنَ عَنْهُمَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى مَتَى هُمَا يَعَذَّبَانِ؟ قَالَ: غَيْبٌ لَا يُعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَلَوْلَا تَمَرُغُ قُلُوبِكُمْ، وَتَزِيدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَابْنُ مَاجَهَ كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدِ الْأَلْهَانِيِّ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ. وَالْحَدِيثُ فِي (المُسْنَدِ) حَدِيثٌ (22292) قَالَ مُحَقِّقُوهُ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا. وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (ضَعِيفِ التَّرْغِيبِ) حَدِيثٌ (121). فِي (تَعْلِيقِ مُصْطَفَى مُحَمَّدِ عِمَارَةَ عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ): ("تَمَرُغُ قُلُوبِكُمْ": تَقْلِبُ قُلُوبِكُمْ. " تَزِيدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ": خَشِيَّةٌ زِيَادَتِكُمْ فِي الْقَوْلِ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ وَقْدَرَةَ عَلَى سَمَاعِ صَوْتَهُمَا؛ وَإِدْرَاكِ نَوْعِ عَذَابِهِمَا، وَهَذِهِ مِيزَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِيَّةٌ، وَلَوْلَا خَوْفُ الْفِتْنَةِ، وَهَلَاكِ الْإِنْسَانِ وَالْجَنِّ لِأَسْمَعَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَخَارِيِّ: (يَسْمَعُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ رَافَةً بِهِ وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا).

4- وفی (صحيح البخارى) الأحاديث (216 - 218 - 1361 - 1378 -

6052 - 6055) ولفظ آخرهما: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِطَّانِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا» وأخرجه مُسْلِمٌ. حديث 111 - (292) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»، قَالَ فَدَعَا بِعَسِيْبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا»

5- وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ " قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى " ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَجَبَةِ، الْبَاغُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَنْتَ " (المُسْنَد) حديث (27599) قال مُحَقِّقُوهُ: حَسُنْ بشواهدهُ.

6- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ» (أبو داود) حديث (2175) [حكم الألباني]: صحيح. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. - **قُلْتُ:** (في) (النهاية): {خبب} ومنه الحديث: "من خَبَبَ امرأة أو مملوكًا على مُسَلِّم، فليس مِنَّا: أي: خَدَعَهُ وَأَفْسَدَهُ."-

7- وفي (سُنن أبي داود) حديث (4860) عن عبدِ اللهِ بنِ مسعود، قال: قال رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم-: " لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرِ " [حكم الألباني]: ضعيف. **أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:**

1- في (تفسير القرطبي): (وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِبَنِيهِ: إِيَّاكُمْ وَالنَّمِيمَةَ! فَإِنَّهَا نَارٌ مُحْرِقَةٌ، وَإِنَّ النَّمَامَ لَيَعْمَلُ فِي سَاعَةِ مَا لَا يَعْمَلُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ).
2-3 وفي (تنبيه الغافلين): (وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّ طَعَانٍ، لَعَانٍ، نَمَامٍ. وَكَانَ يَقُولُ: عَذَابُ الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٌ: ثُلُثٌ مِنَ الْغِيْبَةِ، وَثُلُثٌ مِنَ الْبَوْلِ، وَثُلُثٌ مِنَ النَّمِيمَةِ.)

(خ: 2) (ع) 2- قصص فی التحذیر من التمیمة:

1-2 فی (الإحیاء): (وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً، فأنت من أهل هذه الآية {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} وإن كنت صادقاً، فأنت من أهل هذه الآية {هماز مشاء بنميم} وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً... وقال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشرّاً، فقال له عمرو: يا هذا ما رعيته حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقّي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.)

3- في (الكبائر) للذهبي: (الكبيرة (43) روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع، وهو يُنادي عليه: لیس به عیبٌ إلا أنه نمامٌ فقط فاستخف بالعیب، واشترأه. فمكث عنده أياماً، ثم قال لزوجته سيّده: إن سيّدي يريد أن يتزوَّج عليك أو يتسرى وقال أنه لا يحبك. فإن أردت أن يعطف عليك، ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذني الموسى، واحلقي شعرات من تحت لحيتي، واطركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم، واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام

زَوْجَهَا. ثُمَّ جَاءَ إِلَى زَوْجِهَا، وَقَالَ: سَيِّدِي إِنَّ سَيِّدَتِي زَوْجَتَكَ قَدْ اتَّخَذَتْ لَهَا صَدِيقًا وَمَحَبًّا غَيْرَكَ، وَمَالَتْ إِلَيْهِ، وَتَرِيدُ أَنْ تَخْلَصَ مِنْكَ وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى ذَبْحِكَ اللَّيْلَةَ، وَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي، فَتَنَاوَمَ لَهَا اللَّيْلَةَ، وَأَنْظُرْ كَيْفَ تَجِيءُ إِلَيْكَ، وَفِي يَدِهَا شَيْءٌ تُرِيدُ أَنْ تَذْبَحَكَ بِهِ، وَصَدَقَهُ سَيِّدُهُ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، جَاءَتِ الْمَرْأَةُ بِالْمُوسَى لِتَحْلِقَ الشَّعْرَاتِ مِنْ تَحْتِ لِحْيَتِهِ، وَالرَّجُلُ يَتَنَاوَمُ لَهَا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ صَدَقَ الْعُلَامُ بِمَا قَالَ. فَلَمَّا وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ الْمُوسَى، وَأَهْوَتْ إِلَى حَلْقِهِ، قَامَ وَأَخَذَ الْمُوسَى مِنْهَا، وَذَبَحَهَا بِهِ فَجَاءَ أَهْلُهَا فَرَأَوْهَا مَقْتُولَةً فَقَتَلُوهُ؛ فَوَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِشَوْمِ ذَلِكَ الْعَبْدِ الْمَشْتُومِ).

4- وفي (الروح) لابن القيم: (وذكر أيضًا-قُلْتُ: (يقصد ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) له.)- عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَاشْتَكَتْ، وَكَانَ يَأْتِيهَا يَعُودُهَا. ثُمَّ مَاتَتْ فَدَفَنَهَا. فَلَمَّا رَجَعَ ذَكَرَ أَنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا فِي الْقَبْرِ كَانَ مَعَهُ، فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. قَالَ: فَنَبَشْنَا الْقَبْرَ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْمَتَاعَ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: تَنَحَّ حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ أُخْتِي فَرَفَعَ بَعْضُ مَا عَلَى اللَّحْدِ فَإِذَا الْقَبْرُ مَشْتَعِلٌ نَارًا فَرَدَهُ، وَسَوَى الْقَبْرِ فَرَجَعَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ: مَا كَانَ حَالُ أُخْتِي؟ فَقَالَتْ: مَا تَسْأَلُ عَنْهَا وَقَدْ هَلَكَتْ؟ فَقَالَ: لِتَخْبِرَنِي، قَالَتْ: كَانَتْ تُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ، وَلَا تَصَلِّيَ فِيمَا أَظُنُّ

بوضوء، وتأتى أبواب الجيران فتلقم أذنها أبوابهم وتخرج حديثهم.)
 (ع)3- ماذا نفعُ مع النَّمَّامِينَ؟: فى (مُختصر منهاج القاصدين): (وَكُلُّ مَنْ
 نُقِلَتْ إِليه النَّمِيمَةُ...، فعليه ستة أشياء: الأول: أن لا يصدق الناقل، لأن
 النمام فاسق مردود الشهادة. -قلتُ: (لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ
 جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
 نَادِمِينَ} [الحجرات: 8].) - الثاني: أن ينهأ عن ذلك وينصحه. الثالث: أن
 يبغضه فى الله، فإنه بغيض عند الله. الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب
 السوء. الخامس: أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث، لقوله
 تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات: 12]. السادس: أن لا يرضى لنفسه ما
 نهى النمام عنه، فلا يحكى نميمته.)

(سلسلة التحذیر من آفات اللسان): (4)

الخطبة الثالثة: (الكلام فيما لا يعنى):

(خ: 1) (ع) 1- أهمية ترك الإنسان ما لا يعنيه في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114] في (التفسير الوسيط): (وقوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} إشارة إلى ما جُبل عليه كثيرٌ من الناس من إخفاء الأقوال أو الأعمال التي فيها شر ومضرة، ومن إعلان الأقوال أو الأفعال التي من ورائها خير ومنفعة. وقوله: {نَجْوَاهُمْ} أي: مما يتناجى به الناس ويتكلمون فيه ... والمعنى: لا خير في كثير من الكلام الذي يتناجى فيه الناس، ويتحدثون به سرًا، إلا في نجوى من أمر غيره سرًا بصدقة يزكى بها ماله، وينفع بها المحتاج إليها، أو من غيره بالإكثار من أعمال البر، أو القيام بالإصلاح بين الناس المتخاصمين لكي يعودوا إلى ما كانوا عليه من الأفة والإخاء والصفاء.)

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

1- فی سُنَنِ ابْنِ مَاجَه. حَدِيثُ (3974) عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» [حكم الألباني]: ضعيف.

2- وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ " الْمُسْنَد. حَدِيثُ (1737) قَالَ مُحَقِّقُوهُ: حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ.

—فَوَائِدُ مُتَّفَرِّقَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ: فِي (شرح الأربعين النووية) ل/عطية بن محمد سالم: (ما يعني المرء وما لا يعنيه: ما الذي يعني المسلم وما الذي لا يعنيه؟ (يعنيه) أي: تتعلق العناية به، وتتعلق مصلحته بعين ذلك الشيء، فهذا الفعل يعنيه، وهذا الفعل لا يعنيه، ولذا قسم العلماء الأعمال بالنسبة لهذا الحديث أربعة أقسام: أمر يعينك فعله، وأمر لا يعينك فعله، وأمر يعينك تركه، وأمر لا يعينك تركه. فإذا فعلت ما يعينك وتركت ما لا يعينك فقد جمعت الحسنين، أما إذا تركت فعل ما يعينك فهذا تقصير، وإذا فعلت ما لا يعينك فهذا فضول، والكمال في فعل ما يعينك وترك ما لا يعينك، ولم

يبقى في عمل الإنسان وحياته قسم خامس بعد هذا. والعاقلة لا يضيع وقته عن أمر يعنيه ولا يفعل، فهذا تفريط في حقه وضياع، والعاقلة لا يترك الأمر الذي يعنيه، ولا يتبع ما لا يعنيه ويفعله، وقد ذكر العلماء أن من علامة سخط الله على العبد أن يشغله بما لا يعنيه خذلاً نأله. وما اشتغل إنسان بما لا يعنيه إلا ضيع ما يعنيه؛ لأن العمل إما يكون في الحق وإما الباطل، وليس بعد الحق إلا الضلال، فإن شغلت وقتك في الحق وما يعينك لم يبق عندك وقت لما لا يعينك، وإن ذهبت إلى ما لا يعينك فوت وضيعت ما يعينك. قال العلماء: أهم ما يعينك فعل الواجبات، وأهم ما لا يعينك فعل المحرمات، فمن حسن إسلام المسلم تركه ما لا يجوز له فعله؛ لأنه لا يعنيه، فترك المحرمات والمكروهات، وترك الكبائر والصغائر مما يعني الإنسان تركه، والشخص إذا ترك المحرمات والشبهات والمكروهات يسلم ولو قصر في الواجبات، لكن إذا أخذ من هنا، ومن هنا، فقد خلط عملاً سيئاً وآخر صالحاً...

أمثلة من الواقع لترك ما لا يعني: لو نظرنا إلى حياة الناس في كل زمان ومكان، نجد الأمثلة على ذلك، فإذا كنت طالباً تمشي في الطريق، ووجدت اثنين يتحادثان، وجلست تتسمع لهما، فهل هذا يعينك؟ هذا لا يعينك، وقد

أضعت وقتاً، وارتكبت إثماً، ونظر الناس إليك بما لا يليق، وتركت ما لا يعينك، فلا تتجسس على أحد، ولا تتبع عورات الناس. ولو تزوج إنسان ثم سئل: كم دفع صداقاً؟ ومن هي المرأة؟ وكيف خطب؟ وكيف؟ وكيف؟ فهذا لا يعيننا. أو إنسان مات، فتأتي تسأل: كم عنده من الأولاد؟ وكم؟ وكم؟ والعوام يقولون: أردب ما هو لك، لا تحضر كيله، ما ينوبك إلا شيله، وهذا مثل عاصي يحذر من التدخل فيما لا يعنيه. وإذا رأيت مزارعاً في أرضه يحرثها أو يعمل فيها، فنقول: كيف تحرثها؟ ولأي شيء تحرثها؟ وماذا ستزرع فيها؟ فهذا لا يعينك، وإذا كنت تريد أن تشتري أرضاً، وتريد زراعتها، فعند ذلك لك أن تسأل. وقد أكثر العلماء من الأمثلة على ترك ما لا يعنيه، والقاعدة العامة: أن تنظر ماذا سيعود عليك هذا العمل من نفع؟ فإن كان سيعود عليك نفع منه فهذا يعينك، وإن كان لن يعود عليك منه نفع فهو لا يعينك، ونفع المسلم قد يكون في دينه، يتعلم علماً ويعمل به، وقد يكون في بدنه يحفظه ويصونه ويغذيه، أو يستر عورته وقد يكون في ماله يحفظه ويصونه وينميّه، وقد يكون عرضه يصونه عما يدنسه. في دينك: كأن تتعلم شيئاً تجهله، وأن تعمل بشيء أنت تاركه، وفي بدنك: أن تعالجه وتحافظ عليه وتطعمه وتكسوه، وفي مالك: بأن تنميّه وتحفظه عن الحرام وغير ذلك، وفي عرضك:

بأن تحفظه وتصونه من مواقف السوء... صلاح الناس في ترك ما لا يعني:
لو طبق كل مسلم هذا الحديث في نفسه، وبيته، وسوقه، وعمله، والتزم حدوده؛ لصار دولا ب الحياة منتظماً، ولو ترك كل إنسان ما يعنيه وتدخل فيما لا يعنيه لتعطلت الحياة، وصار هذا يتجسس على هذا، وهذا يتدخل في شئون هذا، وهذا يفسد أمر هذا. وأخطر ما يكون ما نراه اليوم، تجد الفتاة تتزوج، وتعيش مع زوجها في أحسن ما يكون، فتأتي أمها لتزورها وتقول: ما هذا العفش يا بنت؟! أهذه حياة؟! لماذا لا تكلمي زوجك؟! أنت ما عندك نظر! ما عندك لسان! كذا كذا والبنت كانت راضية بمعيشتها مع زوجها، فالأم ما يعينها في حياة الزوجة مع زوجها؟ ثم تخرج الأم من البيت، ويأتي الزوج، وكان قد ترك زوجته في أحسن ما يكون من البشاشة والسرور، فيرجع وإذا الدنيا متغيرة، وتخاصمه: أنت ما فعلت لي كذا، وما فعلت لي كذا! وكل هذا بسبب الأم. وكم من مفاصد تقع في البيوت بسبب ذلك، ومن العجب! أن الإمام أحمد رحمه الله يقول: إذا رأى والد المرأة زوجها يضربها فلا يسأله: لماذا يضربها؟ ولا يتدخل فيما لا يعنيه، فهذا أمر بين الزوجين. وفي (شرح الأربعين النووية) لابن عثيمين: (وهنا قد يرِدُ إشكال: وهو هل ترك العبد ما لا يعنيه هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ والجواب: لا، لأن الأمر

بالمعروف والنهی عن المنکر مما یعنی الإنسان، كما قال الله عزّ وجل: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}** [آل عمران: 10] فلو رأيت إنساناً على منکرٍ، وقلت له: يا أخي هذا منکر لا يجوز. فليس له الحق أن يقول: هذا لا يعينك، ولو قاله لم يقبل منه، لأن الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر یعنی الأمة الإسلامیة كلها. ومن ذلك أيضاً: ما يتعلق بالأهل والأبناء والبنات فإنه یعنی راعي البيت أن يدلّهم على الخير، ويأمرهم به، ويحذرهم من الشر، وينهاهم عنه. قال الله عزّ وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}** (التحریم: الآیة 6) والله الموفق. -**قلتُ:** (فی الترغیب والترهیب) حدیث (2733) عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَصْبِحْ وَيَمْسُ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِلِمَامِهِ وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ. وذكره الألباني في (ضعيف الترغيب) حدیث (1099) وقال: (ضعيف). وفي (تنبيه المغتربين) للشعراني: (وقد روي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب دلني على أحب الخلق إليك؟ فقال الله تعالى: يا موسى أحب الخلق إلي من إذا سمع بأن أخاه

المؤمن شاكته شوكة حزن لها كأنها شاكته هو.) وفي (صفة الصفوة): (وعن محمد بن علي الحربي قال سمعت سرياً يقول: حمدتُ الله مرة وأنا استغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: كان لي دكانٌ، وكان فيه متاعٌ فوق الحريق في سوقنا، فقيل لي فخرجتُ أتُعرف خبر دكاني، فلقيتُ رجلاً فقال: أبشر فإنَّ دكانك قد سلم، فقلتُ: الحمد لله، ثم أفكرتُ فرأيتها خطيئة.)

أما الآثارُ: فمنها:

(1-5) في (نزهة المجالس): (قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: من أراد أن ينور الله قلبه، فليترك الكلام فيما لا يعنيه. وقال أيضاً رضي الله عنه: ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فما لا يعنيه. وقال معروف الكرخي: الكلام فيما لا يعنيه خذلان من الله. وقال مالك بن دينار: وإذا رأيتَ قسوة في قلبك وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك قد تكلمتَ فيها لا يعينك. أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعينهم. ورأيتُ في فردوس العارفين التقوى ألف جزء أيسرها ترك ما لا يعنيه.)

(6-7) في (الإحياء): (وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير. ومن عد

كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه... وقال ابن عباس: لا تتكلم فيما لا يعينك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت. (8-9) وفي (جامع العلوم والحكم): (الحديث (12): عن الحسن قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. وقال سهل بن عبد الله التستري: من تكلم فيما لا يعنيه، حُرِمَ الصدق.)

10- وفي (الفُتُوحَات الوهبيّة شرح الأربعين النووية): (ومن كلام بعض السلف: مَنْ سَأَلَ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ، سَمِعَ مَا لَا يُرْضِيهِ.)

(خ: 2) (ع): 2- قِصَص فِي تَرْكِ مَا لَا يَعْنِي:

1- في (الترغيب والترهيب) حديث (4373) وروى أبو يعلى أَيْضًا وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا فَبَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِئَةٌ فَقَالَتْ: وَاشْهَدَاهُ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَدْرِيكَ أَنَّهُ شَهِيدٌ، لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخُلُ بِمَا لَا يَنْقِصُهُ. وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ) حَدِيثَ (2884) وَقَالَ: (صَحِيحٌ لغيره)

2- وفي (الترغيب) أيضاً: حديث (4374) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ، وَمَعَهَا نِسْوَةٌ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَاللَّهِ لَأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَسَلَمْتُ، وَمَا سَرَقْتُ، وَمَا زَنَيْتُ فَاتَيْتُ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهَا: أَنْتِ الْمَتَالِيَةُ لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ؟ كَيْفَ وَأَنْتِ تَبْخُلِينَ بِمَا لَا يُعْنِيكِ، وَتَتَكَلَّمِينَ فِيمَا لَا يُعْنِيكِ؟ فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الْمَرْأَةُ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ، وَقَالَتْ: اجْمَعِي النِّسْوَةَ اللَّاتِي كُنَ عِنْدَكَ حِينَ قَلْتُ مَا قَلْتُ، فَأَرْسَلْتِ إِلَيْهِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجِئْنَ فَحَدَّثْتَهُنَّ الْمَرْأَةَ بِمَا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ. وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (ضَعِيفِ التَّرْغِيبِ) حَدِيثَ (1722) وَقَالَ: (ضَعِيفَ مَوْقُوفٍ)

3- وفي (تنبيه الغافلين): (قِيلَ لِلْقَمَانَ الْحَكِيمِ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ قَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ مَا لَا يُعْنِينِي "وهو في (الموطأ) رقم (17) وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَمَانَ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ يُرِيدُونَ الْفَضْلَ فَقَالَ لِقَمَانَ: «صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ مَا لَا يُعْنِينِي» وفي (جامع العلوم والحكم): (قال عمرو بن قيس الملائي: مرَّ رجلٌ بلقمان والناسُ عنده، فقال له: ألسْتَ عبدَ بني فلان؟ قال: بلى، قال: الذي كنتَ ترعى عندَ جبلٍ كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فما بلغَ بك ما أرى؟ قال: صِدْقُ الْحَدِيثِ وَطُولُ السُّكُوتِ عَمَّا لَا يُعْنِينِي.)

4- وفى (الإحياء): (رُوي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعاً، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك، فمنعته حكيمته فأمسك نفسه، ولم يسأله. فلما فرغ قام داود ولبسه، ثم قال: نعم الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حِكْمٌ، وقليلٌ فاعله. أي: حصل العلم به من غير سؤال، فاستغنى عن السؤال. وقيل: إنه كان يتردد إليه سنة، وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال.)

5- وفى (صفة الصفوة): (مَرَّ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ بِغُرْفَةٍ فَقَالَ: مَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: تَسْأَلِينَ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ؟ لِأَعَاقِبَنَّكَ بِصَوْمِ سَنَةٍ فَصَامَهَا.)

الخطبة الرابعة: (سلسلة التحذير من آفات اللسان): (4)

(إفشاء الأسرار)

(خ: 1) (ع) 1- التحذير من إفشاء الإنسان سر نفسه في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: 4-5] في (تفسير ابن كثير): (يقول تعالى، مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ حِينَ قَصَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تَغْيِيرُهَا خُضُوعُ إِخْوَتِهِ لَهُ، وَتَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ تَعْظِيمًا زَائِدًا بِحَيْثُ يَخْرُونَ لَهُ سَاجِدِينَ إِجْلَالًا وَاحْتِرَامًا وَإِكْرَامًا، فَخَشِيَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَذَا الْمَنَامِ، أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ فَيَحْسُدُونَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَبْغُونَ لَهُ الْعَوَائِلَ حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ: {لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} أَي: يَحْتَالُوا لَكَ حِيلَةً يَرُدُّونَكَ فِيهَا. وَلِهَذَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلْيَحْدِثْ بِهِ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى جَنْبِهِ الْآخَرَ، وَلْيَتَّقِلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَنِ مِنْ

رَوَايَةٌ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ، الْقُشَيْرِيُّ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٌ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عَبَّرَتْ وَقَعَتْ» وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ الْأَمْرُ بِكَيْفِيَّةِ النَّعْمَةِ حَتَّى تُوجَدَ وَتُظْهَرَ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ «اسْتَعِينُوا عَلَيَّ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِكَيْفِيَّتِهَا، فَإِنْ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ». (وقال تعالى: {قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف: 77] في (تفسير ابن كثير): (وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أُخْرِجَ مِنْ مَتَاعِ بَنِيَامِينَ {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} يَتَنَصَّلُونَ إِلَى الْعَزِيزِ مِنَ التَّشْبُهِ بِهِ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ هَذَا فَعَلَ كَمَا فَعَلَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ، يَعْنُونَ بِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ... وَقَوْلُهُ: {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ} يَعْنِي: الْكَلِمَةَ الَّتِي بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: {أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} {أَي: تَذْكُرُونَ، قَالَ هَذَا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ.} وفي (التفسير الوسيط): (وقوله: {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} بيانٌ لموقفه مِنْ مَقَالَتِهِمْ، وَالضَّمِيرُ فِي {فَأَسْرَهَا} يَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ الَّتِي قَالُوهَا. أَي: سَمِعَ يُوسُفُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَا قَالَه إِخْوَتُهُ فِي حَقِّهِ وَفِي حَقِّ شَقِيقَتِهِ فَسَاءَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غِيظَهُ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُمْ تَأَثُّرَهُ مِمَّا قَالُوهُ، وَإِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: {قَالَ أَنْتُمْ} {أَيهَا إِخْوَةُ} {شَرٌّ مَكَانًا} {أَي:

موضعاً ومنزلاً ممن نسبتموه إلى السرقة وهو برئ؛ لأنكم أنتم الذين كذبتهم على أبيكم وخذعتموه، وقتلتم له بعد أن ألقيتهم أحاكم فى الجب، لقد أكله الذئب. {والله} تعالیٰ {أَعْلَمُ} منى ومنكم {بِمَا تَصِفُونَ} به غيركم من الأوصاف التى يخالفها الحق، ولا يؤيدها الواقع.)
أما الأحاديث فمنها:

1- فى (صحيح البخارى) حديث (6069) عن أبى هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " وأخرجه مسلمٌ. حديث 52 - (2990) ولفظه: عن أبى هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ، إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ قَدْ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيْتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " 2- وفى (الجامع الصحيح للسنن والمسائيد): عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَا عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ بِأَهْلِهِ، يُغْلِقُ بَابًا، ثُمَّ يُرْخِي سِتْرًا،

ثُمَّ يَقْضِي حَاجَتَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، أَلَّا عَسَىٰ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَغْلِقَ
بَابَهَا، وَتُرْخِي سِتْرَهَا، فَإِذَا قَضَتْ حَاجَتَهَا حَدَّثَتْ صَوَاحِبَتَهَا "، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ
بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ - رضي الله عنها - : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ، وَإِنَّهُنَّ
لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: " فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَهُ عَلَى
قَارِعَةِ الطَّرِيقِ " "فَعَشِيهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ " "ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَرَكَهَا " 3-
وفي صحيح مسلمٍ حديث 123 - (1437) عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَسْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلَةً يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»
أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1-5 في (لباب الآداب) للأمامة بن منقذ: (وعن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رضوان الله عليه أنه قال: سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فإذا تكلمت به صرت
أسيره. وقال بعض الأدباء: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَانَ
الْخِيَارَ عَلَيْهِ... وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: القلوب أوعية السرائر،
والشفاه أقالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سِرِّه... وقال
الشاعر:

(إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ ... وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ)

إِذَا صَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَن سِرِّ نَفْسِهِ... فصدر الذي يستودع السرَّ أضيئ).
 وقالوا: صدرك أوسع لسرك.)

6-8 في (أدب الدنيا والدين): (وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ، ضَنِينًا بِالْأَسْرَارِ عَن جَمِيعِ الْخَلْقِ. فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السَّرِّ... وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكْمِ: قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ حُصُونُ الْأَسْرَارِ. وَلِيَحْذَرُ صَاحِبُ السَّرِّ أَنْ يُودِعَ سِرَّهُ مَن يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ، وَيُؤَثِّرُ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ طَالِبَ الْوَدِيعَةِ خَائِنٌ.. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ.)

(خ: 2) (ع) 2- التحذير من إفشاء الإنسان سرِّ غيره في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ

قَاتِنَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا {التحریم: الآیات 1- 5} فی (التفسیر الوسیط): (قد افتتح سبحانه السورة الکریمة بقوله تعالی: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ... ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}** وقد ذكر المفسرون فی سبب نزول هذه الآیات روايات متعددة، منها ما رواه الشیخان وغيرهما عن عائشة - رضی الله عنها - قالت: " كان رسول الله - صلی الله علیه وسلم - یشرب عسلًا عند زینب بنت جحش، ویمکث عندها فتواطأت أنا وحفصة علی أیتنا دخل علیها فلتقل له: أكلت مغافیر؟ - والمغافیر: صمغ حلوه رائحة کریمة - إنی أجد منك ریح مغافیر. فدخل علی إحدهما فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلًا عند زینب بنت جحش ولن أعود إلی، وقد حلفت، فلا تخبری بذلك أحدًا، فنزلت هذه الآیات "وفی رواية أن التی شرب عندها العسل: حفصة بنت عمر، وأن القائلة له ذلك: سودة بنت زمعة، وصفیة بنت حیى. قالوا: والاشتباه فی الاسم لا یضر، بعد ثبوت أصل القصة. وأخرج النسائی والحاكم وصححه وابن مردویه عن أنس، أن رسول الله - صلی الله علیه وسلم - كانت له أمة یطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتی جعلها علی نفسه حرامًا، فأنزل الله تعالی **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...}** والآیات. وروی ابن جریر عن زید بن أسلم: أن رسول الله - صلی الله علیه وسلم - أصاب أم إبراهیم

مارية، فى بيت بعض نساءه - وفى رواية فى بيت حفصة فقالت: يا رسول الله فى بيتى وعلى فراشى؟ فجعلها أى مارية - عليه حرامًا، وحلف بهذا .. . فأنزل الله هذه الآيات. قال القرطبي ما ملخصه: " وأصح هذه الأقوال أولها...والصحيح أن التحريم كان فى العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى فحلف أن لا يشربه وأسر ذلك، ونزلت الآية فى الجميع " .وقال الإمام ابن كثير-بعد أن ساق عددًا من الروايات فى هذا الشأن-: والصحيح أن ذلك كان فى تحريمه-صلى الله عليه وسلم-للعسل.وقال الآلوسى: قال النووى فى شرح مسلم: الصحيح أن الآية فى قصة العسل، لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ،ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح.والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش.وقد افتتح سبحانه السورة الكريمة بتوجيه النداء إلى النبى-صلى الله عليه وسلم-فقال: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}** وفى توجيه النداء إليه-صلى الله عليه وسلم-تنبيهٌ إلى أن ما سيذكر بعد النداء، شىء مهم، بالنسبة له ولسائر المسلمين.والاستفهام فى قوله تعالى: **{لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...}** للنفى المصحوب بالعتاب منه سبحانه لنبىه-صلى الله عليه وسلم- .وجملة **{تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ}** حال من فاعل **{تُحَرِّمُ}**

{وَالْعِتَابَ وَقَعَ عَلَى مَضْمُونِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: {لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} وَالْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، لِمَاذَا حَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنْ شَرَابٍ أَوْ غَيْرِهِ؟ أَفَعَلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ أَزْوَاجِكَ؟ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، لِأَنَّ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ، لَا يَصِحُّ أَنْ تَحْرِمَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ أَنْ تَمْتَنِعَ عَنْ تَعَاطِيهِ، فَتَشْقِ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ غَيْرِكَ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: " نَادَاهُ بِلَفْظِ {النَّبِيِّ} إِشْعَارًا بِأَنَّهُ الَّذِي نُبِئَ بِأَسْرَارِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ الْإِلَهِيِّ، وَالْمُرَادُ بِتَحْرِيمِهِ مَا أُحِلَّ لَهُ، امْتِنَاعَهُ مِنْهُ، وَحُظْرَهُ إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَهَذَا الْمَقْدَارُ مَبَاحٌ، لَيْسَ فِي ارْتِكَابِهِ جُنَاحٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ: {لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} رَفَقًا بِهِ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِ، وَتَنْوِيهَا لِقَدْرِهِ وَلِمَنْصَبِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يِرَاعِيَ مَرْضَاةَ أَزْوَاجِهِ بِمَا يَشِقُّ عَلَيْهِ، جَرِيًّا عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، وَرَفَعَهُ عَنْ أَنْ يَحْرَجَ بِسَبَبِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُهُ . . . وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَمَّا أَصَابَهُ مِنْ وَقَعِ هَذَا اللَّوْمِ، وَمِنْ أَثَرِ هَذَا الْعِتَابِ، وَإِرْشَادٌ لَهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّ مَا فَعَلَهُ دَاخِلٌ تَحْتَ مَغْفَرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ. أَيْ: وَاللَّهُ تَعَالَى وَاسِعُ الْمَغْفَرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَقَدْ غَفَرَ لَكَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ مَا فَعَلْتَهُ بِسَبَبِ بَعْضِ أَزْوَاجِكَ، وَجَعَلْتَ عَلَى رَأْسِ مَنْ تَظْلَهُمْ رَحْمَتُهُ. ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ جَانِبًا

من مظاهر رحمته فقال: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} وقوله: {فَرَضَ} هنا بمعنى شرع، والتحلة: مصدر بمعنى التحليل، والمراد بها الكفارة، وهى مصدر حَلَّلَ كالتكرمة مصدر كَرَّم، مِنَ الْحَلِّ الذى هو ضد العقد. أى: قد شرع الله تعالى لكم تحليل الأيمان التى عقدتموها، عن طريق الكفارة، لأن اليمين إذا كانت فى أمر لا يحبه الله تعالى، فالعدول عنها أولى وأفضل. وفى الحديث الشريف يقول - صلى الله عليه وسلم - " إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا كَفَرْتُ عن يميني، وفعلتُ الذى هو خير " وقد اختلف العلماء فى التحريم الذى كان مِنَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أكان بيمين أم لا؟ وظاهر الآية يؤيد القول بالإيجاب لقوله تعالى: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} لأن هذه الجملة الكريمة تشعر بأن هناك يمينا تحتاج إلى كفارة. وقد جاء فى بعض الروايات الصحيحة أنه قال: "بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفتُ. لا تُخبري بذلك أحداً" .. قال الآكوسى ما ملخصه: واختلفوا هل كَفَرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عن يمينه هذه أولاً؟ فعن الحسن أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنما هو تعليم للمؤمنين. وعن مقاتل: أنه -صلى الله عليه وسلم- أعتق رقبة... ونقل مالك عن زيد بن أسلم أنه -صلى الله عليه وسلم-

وسلم- أعطى الكفارة. وقوله سبحانه: { **وَاللّٰهُ مَوْلَاكُمْ** } أى: وهو سبحانه سيدكم ومتولى أموركم وناصركم. وهو تعالى { **العلیم الحکیم** } أى: العليم بجميع أحوالكم وشئونكم، الحکیم فى كل أقواله وأفعاله وتدبير شئون عباده. والظرف فى قوله تعالى: { **وَإِذْ أَسْرَ النَّبِیِّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا** } متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وقوله: { **أَسْرَ** } من الإسرار بالشىء بمعنى كتمانها وعدم إشاعته. والمراد ببعض أزواجه: حفصة-رضى الله عنها-. والمراد بالحديث قوله لها - كما جاء فى بعض الروایات -: " بل شربت عسلًا عند زينب، ولن أعود، وقد حلفتُ فلا تخبرى بذلك أحدًا . " أو قوله لها فى شأن مارية: " إننى قد حرمتها على نفسى، فاكتمى ذلك فأخبرت بذلك عائشة ". أى: واذكر-أيها العاقل لتعتبر وتتعض-وقت أن أسر النبى-صلى الله عليه وسلم-إلى زوجته حفصة حديثًا، يتعلق بشربه العسل فى بيت زينب بنت جحش، وقوله-صلى الله عليه وسلم- لحفصة لا تخبرى بذلك أحدًا " { **فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ** } أى: فلما أخبرت حفصة عائشة بهذا الحديث الذى أمرت بكتمانه { **وَأَظْهَرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ** } أى: وأطلع الله تعالى نبيه-صلى الله عليه وسلم-على ما قالت حفصة لعائشة. فالمراد بالإظهار: الإطلاع، وهو مشتق من الظهور بمعنى التغلب. وعبر بالإظهار عن الإطلاع، لأن حفصة وعائشة كانتا

حريصتين على عدم معرفة ما دار بينهما فى هذا الشأن، فلما أطلع الله تعالى نبيه على ذلك كانتا بمنزلة من غلبتا على أمرهما. وقوله سبحانه: **{عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ}** بيان للمسلك السامى الذى سلكه -صلى الله عليه وسلم- فى معاتبته لحفصة على إفشائها لما أمرها أن تكتمه. والمفعول الأول ل**{عَرَّفَ}** محذوف. أى: عَرَّفَهَا بعضه. أى: فحين خاطب -صلى الله عليه وسلم- حفصة فى شأن الحديث الذى أفشته، اكتفى بالإشارة إلى جانب منه، ولم يذكر لها تفاصيل ما قاله لها سابقاً؛ لسمو أخلاقه -صلى الله عليه وسلم- إذ فى ذكر التفاصيل مزيد من الخجل والإحراج لها. قال بعضهم: ما زال التغافل من فعل الكرام. وما استقصى كريم قط وقال الشاعر:

(ليس الغبى بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابى)

وإنما عرفها -صلى الله عليه وسلم- ببعض الحديث، ليوقفها على خطئها وعلى أنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سره -صلى الله عليه وسلم- قالوا: ولعل حفصة -رضى الله عنها- قد فعلت ذلك، ظناً منها أنه لا حرج فى إخبار عائشة بذلك، أو أنها اجتهدت فأخطأت، ثم تابت وندمت على خطئها. ثم حكى سبحانه ما قائلته حفصة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وما رد به عليها فقال: **{فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}** أى: فلما

سمعت من الرسول- صلى الله عليه وسلم- ما يدل على أنه قد اطلع على ما قالته لعائشة، قالت له: مَنْ أخبرك بما دار بينى وبينها؟ فأجابها- صلى الله عليه وسلم- بقوله: أخبرنى بذلك الله تعالى العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم، الخبير بما تكنه الصدور، وبما يدور فى النفوس من هواجس وخواطر. وإنما قالت له- صلى الله عليه وسلم-: {مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا} لتتأكد من أن عائشة لم تخبره- صلى الله عليه وسلم- بما دار بينهما فى هذا الشأن . . . فلما قال لها- صلى الله عليه وسلم-: {نَبَأَنِي الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ}، تحقق ظنها فى كتمان عائشة لما قالته لها، وتيقنت أن الذى أخبره بذلك هو الله عز وجل. وفى تذييل الآية الكريمة بقوله: {الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ} إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزمًا لكتمان الأسرار التى يؤتمن عليها، وأن إذاعتها- ولو فى أضيق الحدود- لا تخفى على الله عز وجل؛ لأنه سبحانه عليم بكل معلوم، ومحيطٌ بخبايا النفوس وخلجاتها. ثم وجّه سبحانه بعد ذلك خطابه إلى حفصة وعائشة، فأمرهما بالتوبة عما صدر منهما. فقال: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} ولفظ {صَغَتْ} بمعنى مالت، وانحرفت عن الواجب عليهما. يقال: صغا فلان يصغو ويصغى صغواً، إذا مال نحو شىءٍ معينٍ. ويقال: صغتِ الشمس، إذا مالت نحو الغروب، ومنه

قوله تعالى: { **وَلْتَصغى إِلَيْهِ أَفْعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** } وجواب الشرط محذوف، والتقدير: إن تتوبا إلى الله، فلتوبتكما موجب أو سبب، فقد مالت قلوبكما عن الحق، وانحرفت عما يجب عليكما نحو الرسول-صلى الله عليه وسلم- من كتمان لسره، ومن حرص على راحته، ومن احترام لكل تصرف من تصرفاته . . . وجاء الخطاب لهما على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، مبالغة في المعاتبة، فإن المبالغ في ذلك يوجه الخطاب إلى من يريد معاتبته مباشرة. وقال سبحانه: { **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** } بصيغة الجمع للقلوب، ولم يقل قلباكما بالثنائية، لكراهة اجتماع تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة، مع ظهور المراد، وأمن اللبس. ثم ساق سبحانه ما هو أشد في التحذير والتأديب فقال: { **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** } وقوله: { **تَظَاهَرَا** }

أصله تتظاهرا فحذفت إحدى التائين تخفيفاً. والمراد بالتظاهر: لتعاون والتآزر، يقال: ظاهر فلانٌ فلاناً إذا أعانه على ما يريد، وأصله من الظهر، لأن من يعين غيره فكأنه يشد ظهره، ويقوى أمره. قال تعالى: { **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ** } من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا إليهم

عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} وجواب الشرط أيضًا محذوف، أى: وإن تتعاوننا عليه بما يزعجه، ويغضبه، من الإفراط فى الغيرة، وإفشاء سره. فلا يعدم ناصرًا ولا معينًا، بل سيجد الناصر الذى ينصره عليكما، فإن الله تعالى {هُوَ مَوْلَاهُ} أى: ناصره ومعينه {وَجِبْرِيلُ} كذلك ناصره ومعينه عليكما. {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} أى: وكذلك الصالحون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ من أنصاره وأعدائه. {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} أى: والملائكة بعد نصر الله تعالى له، وبعد نصر جبريل وصالح المؤمنين له، مؤيدونه ومناصرونه وواقفون فى صفه ضدكما. وفى هذه الآية الكريمة أقوى ألوان النصر والتأييد للرسول-صلى الله عليه وسلم- وأسمى ما يتصوره الإنسان من تكريم الله تعالى لنبيه-صلى الله عليه وسلم- ومن غيرته عز وجل عليه، ومن دفاعه عنه-صلى الله عليه وسلم- وفيها تعريض بأن من يحاول إغضاب الرسول-صلى الله عليه وسلم-، فإن لا يكون من صالح المؤمنين. وقوله: {وَجِبْرِيلُ} مبتدأ، وقوله: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ} معطوف عليه. وقوله: {بَعْدَ ذَلِكَ} متعلق بقوله: {ظَهِيرٌ} الذى هو خبر عن الجميع. وقد جاء بلفظ المفرد، لأن صيغة فعيل يستوى فيها الواحد وغيره. فكأنه تعالى قال: الجميع بعد ذلك مظاهرون له، واختير الأفراد للإشعار بأنهم جميعًا كالشئ الواحد فى

تأييده ونصرته، وبأنهم يد واحدة على من يعاديه. قال صاحب الكشاف: فإن قلت: قوله: {بَعْدَ ذَلِكَ} تعظيم للملائكة ومظاهرتهم، وقد تقدمت نصره الله وجبريل وصالح المؤمنين، ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم؟ قلت: مظاهرة الملائكة من جملة نصره الله، فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته، لفضلهم . . . وخص جبريل بالذكر مع أنه من الملائكة، للتنويه بمزيد فضله، فهو أمين الوحي، والمبلغ عن الله تعالى إلى رسله. هذا، ومما يدل على أن الخطاب في قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ}، لحفصة وعائشة، ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس أنه قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللتين قال الله تعالى فيهما: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}

فلما كان ببعض الطريق . . . قلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - اللتان قال الله تعالى فيهما: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}، فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس، هما حفصة وعائشة. ثم أضاف - سبحانه - إلى تكريمه لنبية تكريماً آخر، وإلى تهديده لمن تسمىء إليه من أزواجه تهديداً آخر فقال تعالى: {عسى ربه إن طلقكن

أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ { .قال الجمل ما ملخصه: سبب نزولها أنه -صلى الله عليه وسلم- لما أشاعت حفصة ما أسرها به، اغتم - صلى الله عليه وسلم - وحلف أن لا يدخل عليهن شهرا مؤاخذاً لهن. ولما بلغ عمر -رضى الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد اعتزل نساءه، قال له يا رسول الله: لا يشق عليك أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. قال عمر: وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولى الذى أقوله فنزلت هذه الآية. فاستأذن عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له فقام على باب المسجد، ونادى بأعلى صوته: لم يطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - نساءه. و{**عسى**} كلمة تستعمل فى الرجاء، والمراد بها هنا التحقيق، لأنها صادرة عن الله عز وجل. قال الآلوسى: {**عسى**} فى كلامه تعالى للوجوب، وأن الوجوب هنا إنما هو بعد تحقق الشرط وقيل: هى كذلك إلا هنا، والشرط معترض بين اسم {**عسى**} وخبرها. والجواب محذوف. أى: إن طلقك فعسى . . . و{**أَزْوَاجًا**} مفعول ثان ل{**يُبَدِّلُ**} و{**خَيْرًا**} صفة. أى: عسى إن طلقك رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بإذن ربه ومشيتته، أن يبدله سبحانه أزواجاً خيراً منك. ثم وصف سبحانه هؤلاء الأزواج بقوله: {**مُسْلِمَاتٍ**}

منقادات ومطیعات لله ولرسوله، ومتصفات بكل الصفات التي أمر بها الإسلام. {مُؤْمِنَاتٍ} أي: مدعنات ومصدقات بقلوبهن لكل ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من عند ربه. {قَانِنَاتٍ} أي: قائمات بالطاعة لله ولرسوله على أكمل وجه. {تَائِبَاتٍ} أي: مقلعات عن الذنوب والمعاصي، وإذا مسهن شيء منها ندمن وتبن إليه تعالى توبة صادقة نصوحًا. {عَابِدَاتٍ} أي: مقبلات على عبادته تعالى إقبالًا عظيمًا. {سَائِحَاتٍ} أي ذاهبات في طاعة الله أي مذهب، من ساح الماء: إذا سال في انحاء متعددة، وقيل: معناه: مهاجرات. وقيل: صائمات، تشبيهاً لهن بالسائح الذي لا يصحب معه الزاد غالبًا فلا يزال ممسكًا عن الطعام حتى يجده. {ثَيِّبَاتٍ} جمع ثيب -بوزن سيد- وهي المرأة التي سبق لها الزواج، من ثاب يثوب ثوبًا، إذا رجع، وسميت المرأة التي سبق لها الزواج بذلك؛ لأنها ثابت إلى بيت أبويها بعد زواجها، أو رجعت إلى زوج آخر غير زوجها الأول. {وَأَبْنَكَارًا} جمع بكر، وهي الفتاة العذراء التي لم يسبق لها الزواج، وسميت بذلك لأنها لا تزال على أول حالتها التي خلقت عليها. وهذه الصفات جاءت منصوبة على أنها نعت لقوله: {أَزْوَاجًا} أو حال. ولم يعطف بعضها على بعض بالواو، لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن. وعطف سبحانه {وَأَبْنَكَارًا} على ما قبله

لتنافی الوصفین، إذ الثیبات لا یوصفن بالأبکار، وكذلك الأبکار لا یوصفن بالثیبات، ولا یجتمع الوصفان فی ذاتٍ واحدة. قال صاحب الکشاف: فإن قلت: کیف تكون المبدلات خیراً منهن، ولم یکن علی وجه الأرض نساء خیر من أمهات المؤمنین؟، قلت: إذا طلقهن رسول الله -صلى الله علیه وسلم- لعصیانهن له، وإیذائهن إیاه، لم یبقین علی تلك الصفة، وكان غیرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله -صلى الله علیه وسلم- والنزول علی هذا ورضاه خیراً منهن. فإن قلت: لِمَ أُخْلِیت الصفات کلها من العاطف، ووسط بین الثبات والأبکار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافیتان، لا یجتمعان فیهن اجتماع سائر الصفات فیهن، فلم یکن بد من الواو. هذا، موال متأمل فی هذه الآیات الکریمة یراها ترسم جانباً من حياة الرسول -صلى الله علیه وسلم- مع أزواجه، وهذا الجانب فیہ ما فیہ من العظمت التي من أبرزها تکریم الله -تعالى- لنبيه -صلى الله علیه وسلم- وإرشاده إلى ما هو أهدى وأقوم، وسمو أخلاقه -صلى الله علیه وسلم- فی معاملته لأهله، وتحذیر أزواجه من أن یتصرفن أى تصرف لا یرغب فیہ، ولا یمیل إلیه: وتعلیم المؤمنین والمؤمنات - فی کل زمان ومکان - کیف تكون العلاقة الطیبة بین الرجال والنساء. (وفی (التفسیر المیسر): (یا أيها النبی لِمَ تمنع نفسك

عن الحلال الذي أحله الله لك، تبتغي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك. قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. والله ناصركم ومتولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله. وإذ أسرَّ النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثاً، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعته الله على إفشائها سرّه، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكريماً، فلما أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت: مَنْ أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية. إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إفشاء سرّه، وإن تتعاونوا عليه بما يسوءه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصره الله أعوان له ونصراء على مَنْ يؤذيه ويبغضه. عسى ربّه إن طلقكن -أيها الزوجات- أن يزوجه بدلاً منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله من طاعته،

كثيرات العبادة له، صائمات، منهنَّ الشيبات، ومنهنَّ الأَبكار.)
أَمَّا الْأَحَادِيثُ فَمِنْهَا:

فى (الجامع الصحيح للسنن والمسائيد):

1- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ " فى هامشه: (انظر صحيح الجامع: 2330،

6678 والضعيفة تحت حديث: 3854)

2- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا حَدَّثَ الْإِنْسَانُ حَدِيثًا، وَالْمُحَدَّثُ يَلْتَفِتُ حَوْلَهُ، فَهُوَ أَمَانَةٌ " (1) فى هامش (1) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد

حسن فى الشواهد. وفى رواية: " إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التَّفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ " (2) فى هامش (2) (انظر صحيح الجامع: 486، الصحيحة: 1090،

صحيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: 2025)

أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- فى (الآداب الشرعية) لابن مفلح: (وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا بَنِيَّ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ

يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يَطَّلِعَنَّ مِنْكَ عَلَى كِذْبَتِهِ.

2-3 في (الإحياء): (وقال الحسن: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروى أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثه فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثاً وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلي غيرك؟ قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه قال: فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة. وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن في إضرار.)

(ع) - مِنْ أَخْبَارِ حَافِظِي الْأَسْرَارِ:

في (رياض الصالحين) 1- حديث (685) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر - رضي الله عنه - حين تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رضي الله عنه - فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّ شِئْتَ أَنْ كَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لِيَالِي ثُمَّ لَقِينِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ - رضي الله عنه - فَقُلْتُ: إِنَّ شِئْتَ

أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثَ لِيَالِي ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ. فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لَقَبَلْتُهَا رواه البخاري.

«تَأَيَّمْتُ» أَي: صَارَتْ بِلَا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوفِّيَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «وَجَدْتَ»: غَضِبْتَ.

2- حديث (686) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَهُ، فَأَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَمْشِي، مَا تُحْطِي مَشِيَّتُهَا مِنْ مَشِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ بِهَا، وَقَالَ: «مَرَّحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ

اللَّهُ - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ، لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: أَمَا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَا حِينَ سَارَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِيَ اللَّهُ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلْفُ أَنَا لَكَ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلم.

3- حديث (687) عن ثَابِتٍ، عن أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَى عَلِيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلِمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سُرٌّ. قَالَتْ: لَا تُخْبِرَنَّ بِسُرِّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَحَدًا، قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ

لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم وروى البخاري بعضه
مختصرًا.

خُطْبُ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ:

الْخُطْبَةُ الْأُولَى: (فضائلُ العفو):

{خ: 1} (ع) 1- فضائلُ العفوِ في القرآنِ والأحاديثِ والآثارِ: قال تعالى: {... وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...} [البقرة: 237] وقال- في وصفِ الْمُتَّقِينَ: {... وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران: 134] وقال سبحانه: مخاطبًا نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199] في (تفسير ابن كثير): (رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ جَمِيعًا: حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ أُمِّیِّ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا عَنِ أَبِي يَزِيدَ الْقُرَاطِيسِيِّ كِتَابَةً، عَنِ أَصْبَغِ بْنِ الْفَرَجِ عَنِ سُفْيَانَ عَنِ أُمِّیِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ، وَهَذَا مَرْسَلٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَدْ رَوَى لَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وُجُوهِ أُخْرَى، وَقَدْ رَوَى مَرْفُوعًا عَنِ جَابِرِ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَسْنَدَهُمَا ابْنُ مَرْدَوَيْهِ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: 40] وقال: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: 43]
 أمَّا الأحاديثُ فمِنها:

1- في (المُستدرک) حديث (3161) عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُشْرِفَ لَهُ الْبُنْيَانُ، وَتُرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتُ، فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَلْيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ» وذكره الألباني في (ضعيف الترغيب) حديث (1464 - (6)) وقال: [ضعيف]

2- وفي (المُسند) حديث (17334) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبْتَدَأْتُهُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: " يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ " قال مُحققوه: حديثٌ حسنٌ.

3- وفي صحيح مسلم. حديث 69 - (2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»

أَمَّا الْآثَارُ: فمنها:

1-2 في (صفة الصفوة): (قال عبدُ الله بن مسعود: ومن يعف، يعف الله عنه. ومن يكظم الغيظ، يأجره الله. ومن يغفر، يغفر الله له. ومن يصبر على الزرية، يعقبه الله... وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تُبادره بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشكِّ، ولكن القه، وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر ان تسمى له المبلِّغ. فإن انكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبرُّ، لا تزيد على ذلك شيئاً. وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر، فاقبل منه. وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ماله وجهه من العذر، فاقبل منه. وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر، وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت، كافأته بمثله من غير زيادة. وإن شئت، عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: **{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}** [الشورى: 40] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة، فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها، ثم ابدر له إحسانًا بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإنّ ذلك الظلم بعينه. يا يونس إذا كان لك

صديق، فشدُّ يديك به؛ فإن اتخاذا الصديق صعباً، ومفارقتة سهلٌ.)
 3- فى (تفسیر ابن كثير): (قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الطَّرْسُوسِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ يَزِيدَ خَادِمُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْكَ رَجُلًا، فَقُلْ: يَا أَخِي اعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، فَإِنْ قَالَ: لَا يَحْتَمِلُ قَلْبِي الْعَفْوَ، وَلَكِنْ أَنْتَصِرُ كَمَا أَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقُلْ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْتَصِرَ وَاللَّهِ فَارْجِعْ إِلَى بَابِ الْعَفْوِ، فَإِنَّهُ بَابٌ وَاسِعٌ، فَإِنَّهُ مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَصَاحِبُ الْعَفْوِ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ بِاللَّيْلِ، وَصَاحِبُ الْإِنْتِصَارِ يُقَلَّبُ الْأُمُورَ.)
 (خ: 2) (ع) 2- مِنْ أَخْبَارِ الْعَافِينَ:

1- فى (صحيح البخارى) الحديثين (2125 - 4838) ولفظاً أولهما: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍوَ بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: " أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: 45]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيَّتَكَ الْمَتَوَكَّلُ لَيْسَ بِفِظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ

المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ یَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَیَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمًیًّا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا"، تَابَعَهُ عَبْدُ العَزِیزِ بْنُ أبِی سَلَمَةَ، عَنِ هِلَالٍ، وَقَالَ سَعِیدُ: عَنِ هِلَالٍ، عَنِ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ سَلَامٍ غُلْفٌ: كُلُّ شَیْءٍ فِی غِلَافٍ، سَیْفٌ أَغْلَفٌ، وَقَوْسٌ غُلْفَاءٌ، وَرَجُلٌ أَغْلَفٌ: إِذَا لَمْ یَكُنْ مَخْتُونًا.

2- وعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كِلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ -عليه السلام- فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبِينَ» فَقَالَ النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ

شَيْئًا» متفقٌ عَلَيْهِ. «الْأَخْشَبَانِ»: الْجَبَلَانِ الْمُحِيطَانِ بِمَكَّةَ. وَالْأَخْشَبُ: هُوَ الْجَبَلُ الْغَلِيظُ. (رياض) حديث (642)

3- وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ. (رياض) حديث (644)

4- وفي (صحيح البخاري) الحديثين (4642 - 7286) ولفظُ ثانيهما: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةَ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، فَتَنَزَلَ عَلَيَّ ابْنُ أَخِيهِ الْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمْرٌ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمْرٍ وَمُشَاوَرَتِهِ، كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذِنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَمَا

تَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199]، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، «فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ» 5-وفى (المُسند) حديث (9624) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَعَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقَمْتَ، قَالَ: " إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَدَ مَعَ الشَّيْطَانِ " ثُمَّ قَالَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثُ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُعْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ، يُرِيدُ بِهَا صِلَةً، إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً، إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً " قال مُحققوه: حسن لغيره.

الخطبة الثانية: (فضائل الحج المبرور):

(خ: 1) (ع) 1- فضائل الحج المبرور، ومعنى البر في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة: 197] في (التفسير الوسيط): (والرفث في الأصل: الفحش من القول. والمراد به هنا الجماع، أو الكلام المتضمن لما يستقبح ذكره من الجماع ودواعيه... والفسوق: الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي، ومن ذلك السباب وفعل محظورات الإحرام، وغير ذلك مما نهى الله عنه، والجدال على وزن فعال من المجادلة. وهي مشتقة من الجدل وهو الفتل ومنه: زمام مجدول. وقيل: هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض. فكأن كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه، فيكون كمن ضرب به الجدالة. والمراد النهي عن الممارسة والمنازعة التي تؤدي إلى البغضاء وتغيير القلوب. والمعنى: أوقات الحج أشهر معلومات فمن نوى وأوجب على نفسه فيهن الحج وأحرم به فعليه أن يجتنب الجماع للنساء ودواعيه وأن يبتعد عن كل قول أو فعل يكون خارجاً عن آداب الإسلام، ومؤدياً إلى التنازع بين الرفقاء والإخوان، فإن

الجميع قد اجتمعوا على مائدة الرحمن، فعليهم أن يجتمعوا على طاعته، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.) وقال سبحانه: **{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** [البقرة: 177] في (تفسير ابن كثير): (وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْآيَةَ قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلِّهَا، وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عَرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَصَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ... وَقَوْلُهُ: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا}**، أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا الْإِيْمَانَ الْقَلْبِيَّ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا **{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** لِأَنَّهُمْ انْتَقَوْا الْمَحَارِمَ وَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ.) في (لطائف المعارف): (فتضمنت الآية: أن أنواع البر ستة أنواع من استكملها فقد استكمل البر: أولها: الإيمان بأصول

الإيمان الخمسة. وثانيها: إيتاء المال المحبوب لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب. وثالثها: إقام الصلاة. ورابعها: إيتاء الزكاة. وخامسها: الوفاء بالعهد. وسادسها: الصبر على البأساء والضراء وحين البأس. وكلها يحتاج الحاج إليها؛ فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان، ولا يكمل حجه ويكون مبروراً بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فإن أركان الإسلام بعضها مرتبطة ببعض فلا يكمل الإيمان والإسلام حتى يؤتي بها كلها، ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهد في المعاقبات والمشاركات المحتاج إليها في سفر الحج، وإيتاء المال المحبوب لمن يحب الله إيتاءه، ويحتاج مع ذلك إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في السفر. فهذه خصال البر. ومن أهمها للحاج: إقام الصلاة فمن حج من غير إقام الصلاة لا سيما إن كان حجه تطوعاً، كان بمنزلة من سعى في ربح درهم، وضع رأس ماله، وهو ألوف كثيرة. وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل على راحلته في أسفاره كلها، ويوتر عليها. أمّا الأحاديث: فمنها:

1- في (صحيح البخارى) الأحاديث (1521 - 1819 - 1820) ولفظ آخرها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ

حَجَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 438 - (1350) بَلْفِظٍ قَرِيبٍ.

2- وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) الْحَدِيثَيْنِ (26 - 1519) وَلَفِظُ ثَانِيهِمَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 135 - (83) بَلْفِظٍ قَرِيبٍ.

3- وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) الْحَدِيثَيْنِ (1520 - 2784) وَلَفِظُ أُولَاهُمَا: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ» 4- وَفِي (التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ) حَدِيثٌ (1690) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، يَعْنِي: ابْنَ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَابَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ" وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ) حَدِيثٌ (1105) وَقَالَ: (حَسَنٌ)

5- وفی (المُسند) حدیث (7511) عن أبی هُرَیْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ: إِيْمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَغَزْوٌ لَا غُلُوفَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ " وَقَالَ أَبُو هُرَیْرَةَ: " حَجٌّ مَبْرُورٌ يُكْفِّرُ خَطَايَا تِلْكَ السَّنَةِ " قَالَ مُحَقِّقُوهُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

6- وفی (صحيح البخارى) حدیث (1773) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 437- (1349) بِلَفْظٍ قَرِيبٍ.

7- وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» مُسْلِمٌ. حَدِيثٌ 14- (2553) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصَّلَةِ، وَبِمَعْنَى اللَّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ الْخُلُقِ).

أما الآثارُ فمنها:

1- في (رياض الصالحين)- تحت حديث (1273): («المبرور» هُوَ: الَّذِي لَا يَرْتَكِبُ صَاحِبُهُ فِيهِ مَعْصِيَةً.)

2- في (دليل الفالحين)- تعليقا على كلام الإمام النووي السابق:-
 ("المبرور" اسم مفعول من البر، وهو الطاعة (هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية) ولو صغيرة وإن تاب منها من إحرامه به إلى تحلله الثاني، هذا أحد القولين فيه. وقيل: هو المقبول وعلامة القبول أن يرجع خيرا مما كان عليه بأن يصير عابداً بعد أن كان غافلاً.)

3- وقال ابن عُثيمين في (شرح رياض الصالحين)- تعليقا على الكلام السابق:- (فالحج المبرور هو الذي اجتمعت فيه أمور: الأول: أن يكون خالصاً لله بأن لا يحمل الإنسان على الحج إلا ابتغاء رضوان الله والتقرب إليه سبحانه وتعالى لا يريد رياءً ولا سُمعةً، ولا أن يقول الناس: فلان حج، وإنما يريد وجه الله. الثاني: أن يكون الحج على صفة حج النبي - صلى الله عليه وسلم- يعني أن يتبع الإنسان فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ما استطاع. الثالث: أن يكون من مالٍ مُباحٍ، ليس حراماً بأن لا يكون رباً، ولا

من غشٍّ، ولا من میسر ولا غیر ذلك من أنواع المفاسد المحرمة بل يكون من مال حلال ولهذا قال بعضهم:

(إذا حججت بمال أصله سحت)... (فما حججت ولكن حجت العیْرُ)

یعنی: الإِبل حجت، أما أنت فما حججت. لماذا لأن مالك حرام. الرابع: أن یجتنب فیہ الرفث والفسوق والجدال لقول الله تعالى: **{فمن فرض فیهن الحج**

فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج} فیجتنب الرفث، وهو الجماع

ودواعیه، ویجتنب الفسوق سواء كان فی القول المحرم: الغيبة النمیمة

والكذب، أو الفعل كالنظر إلى النساء، وما أشبه ذلك. لابد أن يكون قد

تجنب فیہ الرفث والفسوق والجدال: المجادلة والمنازعة بین الناس فی الحج

هذه تنقص الحج كثيراً. اللهم إلا جدالاً یراد به إثبات الحق وإبطال الباطل

فهذا واجب فلو جاء إنسان مبتدع یجادل والإنسان محرم فإنه لا یتركه، بل

یجادله، ویبین الحق لأن الله أمر بذلك **{ادع إلى سبیل ربك بالحكمة**

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} لكن الجدال من غیر داعٍ،

یتشاحنون أيهم یتقدم أو عند رمي الجمرات أو عند المطار أو ما أشبه ذلك.

هذا كله مما ینقص الحج، فلا بد من ترك الجدال فالحج المبرور لیس له جزاء

(إلا الجنة).

4- وفی (الترغیب والترهیب) تحت حدیث (1678) المبرور، قیل: هُوَ الَّذِي لَا يَتَّقِي فِيهِ مَعْصِيَّةَ وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ مَرْفُوعًا إِنَّ بِرَّ الْحَجِّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ وَطَيْبَ الْكَلَامِ وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ إِطْعَامَ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءَ السَّلَامِ. وفیه: تحت تحت حدیث (2046): وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَحَجٌّ مَبْرُورٌ" فَلَمَّا وَلِيَ الرَّجُلُ، قَالَ: وَأَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ إِطْعَامَ الطَّعَامِ، وَلِينَ الْكَلَامِ، وَحَسَنَ الْخَلْقِ. فَلَمَّا وَلِيَ الرَّجُلُ، قَالَ: وَأَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ لَا تَتَّهَمُ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ قَضَاهُ عَلَيْكَ. وذكره الألبانی فی (صحيح الترغیب) حدیث 1307 - وقال: (حسن لغيره)

5- وفی (الإحياء): (ويقال: إن من علامة قبول الحج أيضاً تزك ما كان عليه من المعاصي، وأن يتبدل بإخوانه الباطلين إخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة).

6- وفی (التبصرة) لابن الجوزي: (وَقَدْ سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ؟ فَقَالَ: أَنْ تَعُودَ زَاهِدًا: فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ).

7- وفي (شرح النووي على صحيح مسلم): -تحت حديث 135 - (83) وقد سبق:- (فَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ شَمْرُ هُوَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَأْثَمِ وَمِنْهُ بَرَّتْ يَمِينُهُ إِذَا سَلِمَ مِنَ الْحَنْثِ وَبَرَّ بَيْعُهُ إِذَا سَلِمَ مِنَ الْخِدَاعِ وَقِيلَ الْمَبْرُورُ الْمُتَقَبَّلُ وَقَالَ الْحَرَبِيُّ بَرَّ حَجَّكَ، بضم الباء، وَبَرَّ اللَّهُ حَجَّكَ، بِمُتَحِهَا إِذَا رَجَعَ مَبْرُورًا مَا جُورًا. وَفِي الْحَدِيثِ " بَرُّ الْحَجِّ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ " فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِنَ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْجَمِيلِ. وَمِنْهُ: . بَرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْمُؤْمِنِينَ قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَبْرُورُ الصَّادِقُ الْخَالِصُ لِلَّهِ تَعَالَى. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي صِحَاحِهِ: بَرَّ حَجَّهُ، وَبَرَّ حُجَّهُ، بفتح الباء وضمها، وبر الله حجه. وقول من قال: المبرور المتقبل قد يستشكل من حيث إنه لا اطلاع على القبول، وجوابه أنه قد قيل: من علامات القبول أن يزداد بعده خيرا.)

8- وفي (لطائف المعارف): (فمغفرة الذنوب بالحج، ودخول الجنة به مرتب على كون الحج مبرورا. وإنما يكون مبرورا باجتماع أمرين فيه: أحدهما: الإتيان فيه بأعمال البر. والبر يطلق بمعنيين: أحدهما: بمعنى الإحسان إلى الناس كما يقال: البر والصلة، وضده العقوق. وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن البر؟ فقال: "حسن الخلق" وكان ابن عمر

رضي الله عنهما يقول: إن البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. وهذا يُحتاج إليه في الحج كثيراً، أعني: معاملة الناس بالإحسان بالقول والفعل. قال بعضهم: إنما سمي السفر سفراً لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال. وفي المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" قالوا: وما بر الحج يا رسول الله؟ قال: "إطعام الطعام وإفشاء السلام" وفي حديث آخر: "وطيب الكلام" وسئل سعيد بن جبير: أي الحج أفضل؟ قال: من أطعم الطعام، وكف لسانه. قال الثوري: سمعت أنه من بر الحج. وفي مراسيل خالد بن معدان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصال ثلاثة: ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يضبط به جهله، وحسن صحابة لمن يصحب. وإلا فلا حاجة لله بحجه" وقال أبو جعفر الباقر: ما يُعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاثة: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به غضبه، وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين. فهذه الثلاثة يُحتاج إليها في الأسفار خصوصاً في سفر الحج، فمن كملها فقد كمل حجه وبر. ومن أجمع خصال البر التي يحتاج إليها الحاج ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أبا جزي الهُجيمي فقال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك

فی إناء المستسقی، ولو أن تعطي صلة الحبل، ولو أن تعطي شسع النعل، ولو أن تنحي الشی من طریق الناس یؤذیهم، ولو أن تلقی أخاک ووجهک إلیه منطلق، ولو أن تلقی أخاک المسلم علیه فتسلم علیه، ولو أن تؤنس الوحشان فی الأرض " -قُلْتُ: (الحديثُ فی (المُسند) حديث(15955) عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ فَقَالَ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنْحِيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ، وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ، فَلَا تَسَبَّهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوِزْرُهُ عَلَيْهِ، وَمَا سَرَّ أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاعْمَلْ بِهِ، وَمَا سَاءَ أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ" قال مُحققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.)-وفى (لطائف المعارف)أيضًا: (وكان ابن المبارك يطعم أصحابه في الأسفار أطيب الطعام وهو صائم. وكان إذا أراد الحج من بلده مرو، جمع أصحابه، وقال: من يريد منكم الحج؟ فيأخذ منهم نفقاتهم فيضعها عنده في صندوق، ويقفل عليه، ثم يحملهم، وينفق عليهم أوسع النفقة، ويطعمهم أطيب الطعام، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من

الهدایا والتَّحْفُ ثم یرجع بهم إلی بلده. فإِذَا وصلوا، صنع لهم طعامًا، ثم جمعهم علیه، ودعا بالصندوق الذی فیہ نفقاتهم فردَّ إلی کل واحدٍ نفقته.)
 (خ: 2) (ع) 2- أعمالٌ تنوبُ عنِ الحجِّ لمن لم یقدِرْ علیه أو أثر غیره علیه
 لحاجةٍ أو مصلحةٍ راجحةٍ (أثارٌ وأخبارٌ):

1- فی (صفة الصفة): (عن ابن عباس قال: لأن أعل أهل بیت من المسلمین شهرًا أو جمعة أو ما شاء الله، أحب إلی من حجة بعد حجة.)
 2- فی (مثیر الغرام الساکن إلی أشرف الأماكن) لابن الجوزی: (بابُ ذِکر مَنْ أثارَ ذَا فاقَةٍ بِنَفَقَةِ الْحَجِّ وَلَمْ یُحِجَّ فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا فَحَجَّ عَنْهُ: قَرَأْتُ عَلَی مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَقِيهِ، قَالَ: حَكَی لِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْهَدَلِيُّ، قَالَ: حَكَی لِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سَمْعُونَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، قَالَ: كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ قَدْ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْحَجُّ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: وَرَدَ الْحَجِيجُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ إِلَى بَعْدَادَ، فَعَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِلَى الْحَجِّ، فَأَخَذْتُ فِي كُمِّي خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ أَشْتَرِي آلَةَ الْحَجِّ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَارِضَتْنِي امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: رَحِمَكَ اللَّهُ، أَنَا امْرَأَةٌ شَرِيفَةٌ وَلِي بَنَاتٌ عَرَاءٌ، وَلِیَوْمِ الرَّابِعِ مَا أَكَلْنَا شَيْئًا. قَالَ: فَوَقَعَ كَلَامُهَا فِي قَلْبِي، فَطَرَحْتُ الْخَمْسَ مِائَةَ دِينَارٍ فِي طَرْفِ إِزَارِهَا، وَقُلْتُ: عُوْدِي

إِلَى بَيْتِكَ، وَاسْتَعِينِي بِهَذِهِ الدَّنَائِيرِ عَلَى وَقْتِكَ، وَانصَرَفْتُ، وَنَزَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَلْبِي حَلَاوَةَ الْخُرُوجِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَحَجُّوا وَعَادُوا، فَقُلْتُ: أَخْرُجْ لِقَاءِ الْأَصْدِقَاءِ وَالسَّلَامِ، فَخَرَجْتُ، فَجَعَلْتَ كُلَّمَا لَقَيْتُ صَدِيقًا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: قَبْلَ اللَّهِ حَجَّكَ وَشَكَرَ سَعْيِكَ، يَقُولُ لِي: وَأَنْتَ، قَبْلَ اللَّهِ حَجَّكَ وَشَكَرَ سَعْيِكَ. فَطَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَنْ كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: «يَا فُلَانُ لَا تَعَجَبْ مِنْ تَهْنِئَةِ النَّاسِ لَكَ بِالْحَجِّ، أَغَثَتْ مَلْهُوفًا، وَأَعْنَتَ ضَعِيفًا، فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَخَلَقَ عَلَيَّ صُورَتَكَ مَلَكًا فَهُوَ يَحُجُّ عَنْكَ فِي كُلِّ عَامٍ، فَإِنْ شِئْتَ حُجَّ، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَحُجَّ» أَنَّهَا مَيْتَةٌ، فَوَقَفَ وَقَالَ: يَا هَذِهِ، أَهَذِهِ مَيْتَةٌ أَوْ مَدْبُوحَةٌ؟ فَقَالَتْ: مَيْتَةٌ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَكَلَهَا وَعِيَالِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ الْمَيْتَةَ، وَأَنْتِ فِي هَذِهِ الْبَلَدِ. فَقَالَتْ: يَا هَذَا انصَرَفَ عَنِّي. فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُهَا الْكَلَامَ إِلَيَّ أَنْ تَعَرَّفَ مَنْزِلَهَا، ثُمَّ انصَرَفَ فَحَمَلَ مَعَهُ بَعْلًا عَلَيْهِ نَفَقَةٌ وَكِسْوَةٌ وَزَادُ، وَجَاءَ فَطَرَقَ الْبَابَ، فَفَتَحْتُهُ، فَنَزَلَ عَنِ الْبُعْلِ وَجَذَبَهُ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: هَذَا الْبُعْلُ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْكِسْوَةِ وَالرَّادِ لَكُمْ. ثُمَّ أَقَامَ حَتَّى رَجَعَ الْحَاجُّ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهَنِّئُونَهُ بِالْحَجِّ، فَقَالَ: مَا حَجَّجْتُ السَّنَةَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلَمْ أُوَدِّعْكَ نَفَقَتِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ الْآخَرُ: أَلَمْ تَشْتَرِ لِي

كَذَا. فَقَالَ: لَا أُدْرِي مَا تَقُولُونَ، أَمَا أَنَا فَلَمْ أَحِجَّ الْعَامَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَتَيْ فِي مَنَامِهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ قَبِلَ صَدَقَتَكَ، وَإِنَّهُ بَعَثَ مَلَكًا عَلَى صُورَتِكَ فَحَجَّ عَنْكَ. وَحِكْيَ عَنِ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ نَوَى الْحَجَّ وَمَعَهُ ثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَعَرَضَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ حَاجَةٌ، فَبَعَثَ وَلَدَهُ إِلَى بَعْضِ جِيرَانِهِ، فَرَجَعَ الْوَلَدُ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا بَنِيَّ؟ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى جَارِنَا وَعِنْدَهُمْ طَبِيخٌ فَاشْتَهَيْتُهُ فَلَمْ يُطْعِمُونِي، فَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى جَارِهِ يُعَاتِبُهُ عَلَى مَا فَعَلَ، فَبَكَى الْجَارُ، وَقَالَ: قَدْ أَلْبَأْتَنِي إِلَى كَشْفِ حَالِي، إِنَّا مُنْذُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ لَمْ نَطْعَمَ، فَطَبَخْنَا مَيْتَةً وَأَكَلْنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّ وَلَدَكَ يَجِدُ مَا لَا يَحِلُّ مَعَهُ أَكْلُ الْمَيْتَةِ، فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: كَيْفَ النِّجَاةُ وَفِي جِوَارِكَ مِثْلُ هَذَا، وَأَنْتَ تَتَأَهَّبُ لِلْحَجِّ؟ فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَأَعْطَاهُ الثَّمَانِ مِائَةَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا كَانَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ أَرَى ذَا النُّونِ الْمِصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِهِ وَهُوَ بِعَرَفَاتٍ كَانَ قَائِلًا يَقُولُ: يَا ذَا النُّونِ تَرَى هَذَا الرَّحَامَ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا حَجَّ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ تَخَلَّفَ عَنِ الْوُقُوفِ فَحَجَّ بِهِمْ، فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ. قَالَ ذُو النُّونِ: مَنْ هُوَ؟ قِيلَ لَهُ: رَجُلٌ يَسْكُنُ دِمَشْقَ، فَذَهَبَ ذُو النُّونِ إِلَى دِمَشْقَ، وَبَحَثَ عَنْهُ حَتَّى عَرَفَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ.)

الخطبة الثالثة: فضائل العشر الأوائل من ذي الحجة:

(خ: 1) (ع) 1- فضائل العشر الأوائل من ذي الحجة في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج: 27-28] في (تفسير ابن كثير): (الأيام المَعْلُومَاتُ أَيَّامُ الْعَشْرِ). وفي (لطائف المعارف): (وكان سعيد بن جبير... إذا دخل العشر اجتهد اجتهادًا حتى ما يكاد يقدر عليه. ورُوي عنه أنه قال: لا تطفئوا سُرُجكم ليالي العشر؛ تعجبه العبادة. وأما استحباب الإكثار من الذكر فيها فقد دل عليه قول الله عز وجل: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج: 28] فإن الأيام المَعْلُومَات هي أيام العشر عند جمهور العلماء... ورُوي عن أبي موسى الأشعري أن الأيام المَعْلُومَات هي تسع ذي الحجة غير يوم النحر، وأنه قال: لا يرد فيهن الدعاء. وقال سبحانه: {وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: 1-3] في (تفسير ابن كثير): (وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ... وقوله تعالى: {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} الْوَتْرُ يَوْمٌ عَرَفَةَ لِكَوْنِهِ التَّاسِعَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ لِكَوْنِهِ الْعَاشِرَ).

أما الأحادیثُ فمنها:

1- فی (صحیح البخاری) حدیث (969) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» وأخرجه الإمام أحمد في (المُسند) حدیث (1968) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ - يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ - " قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: " وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ " قال مُحققوه: إسناده صحیح على شرط الشيخين. فی (لطائف المعارف): (وقد دل هذا الحدیث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها. وإذا كان أحب إلى الله، فهو أفضل عنده. وقد ورد هذا الحدیث بلفظ: " ما من أيام العمل فيها أفضل من أيام العشر " وروي بالشك في لفظه: " أحب أو أفضل " وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه وإن كان مفضولاً أفضل من العمل في غيره وإن كان فاضلاً؛ ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا

الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد" ثم استثنى جهادًا واحدًا هو أفضل الجهاد فإنه صلى الله عليه وسلم سئل: أي الجهاد أفضل قال: "من عقر جواده وأهريق دمه" وصاحبه أفضل الناس درجة عند الله.)
 2- وفي (المُسند) حديث (5446) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا مِنْ أَيَّامٍ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ" قَالَ مُحَقِّقُوهُ: حديث صحيح.

أَمَّا الْآثَارُ فَمِنْهَا:

1- في (لطائف المعارف): (لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حينئذٍ إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين. فمن عجز عن الحج في عام، قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل (من الحج).)

وفيه أيضاً:

2- (وقال سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن كعب قال: اختار الله الزمان وأحب الزمان إلى الله الأشهر الحرم وأحب الأشهر الحرم إلى الله ذو الحجة وأحب ذي الحجة إلى الله العشر الأول).

3- في (زاد المعاد): (فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ الْعَشْرَيْنِ أَفْضَلُ؟ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، أَوِ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ؟... فَالصَّوَابُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ: لِيَالِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ لِيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَيَّامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ رَمَضَانَ، وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَزُولُ الْإِشْتِبَاهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ لِيَالِي الْعَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ إِنَّمَا فَضِّلَتْ بِاعْتِبَارِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَهِيَ مِنَ اللَّيَالِي، وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ إِنَّمَا فَضِّلَ بِاعْتِبَارِ أَيَّامِهِ، إِذْ فِيهِ يَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ).

4- وفي (تفسير ابن كثير) - [الحج: 28]-: (وَبِالْجُمْلَةِ، فَهَذَا الْعَشْرُ قَدْ قِيلَ:

إِنَّهُ أَفْضَلُ أَيَّامِ السَّنَةِ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْحَدِيثُ، وَفَضَّلَهُ كَثِيرٌ عَلَى عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَخِيرِ، لِأَنَّ هَذَا يُشْرَعُ فِيهِ مَا يُشْرَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَصَدَقَةٍ وَغَيْرِهِ، وَيَمْتَّازُ هَذَا بِاخْتِصَاصِهِ بِأَدَاءِ فَرَضِ الْحَجِّ فِيهِ. وَقِيلَ: ذَلِكَ أَفْضَلُ لِإِسْتِمَالِهِ عَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَتَوَسَّطَ آخَرُونَ فَقَالُوا: أَيَّامُ هَذَا أَفْضَلُ، وَلِيَالِي ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَبِهَذَا يَجْتَمِعُ شَمْلُ الْأَدِلَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

5- وفي (فتح الباري)- حديث (969): (وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ السَّبَبَ فِي امْتِيَاذِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ لِمَكَانِ اجْتِمَاعِ أُمَّهَاتِ الْعِبَادَةِ فِيهِ: وَهِيَ الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْحَجُّ. وَلَا يَتَأْتَى ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ.)

(خ: 2) (ع) 2- الأعمال الصالحة (فضائلها وعلاقتها بالإيمان وشروط قبولها وتنوعها): أمّا عن فضائل الأعمال الصالحة وعلاقتها بالإيمان: قال تعالى:

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: 82] وقال: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: 97] وقال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

عَمَلًا } [الكهف: 30] وقال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } [الكهف: 107-

108] أمّا عن شروط قبول الأعمال الصالحة، فهي: ثلاثة: أولها: الإخلاص، وثانيها: المتابعة وخلوها من البدع، وثالثها: ترك إيذاء الغير: قال تعالى:

{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف: 110] وقد تَضَمَّنَتْ هذه الآية الشرطين الثاني ثم

الأول. ومثلها قوله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْعَفُورُ} [الملك: 1-2] فى (مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم
 الجوزية): {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ،
 مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقْبَلْ.
 وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا،
 وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى:
 {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
 أَحَدًا} [الكهف: 110]. وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
 وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: 125].

وفى (صحيح البخارى) حديث (2697) ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
 قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ
 فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» وأخرجه مسلم. حديث 17 - (1718) بلفظ قريب، أما الشرط
 الثالث: ترك إيذاء الغير: عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي
 سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بضعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ

الْوُضوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَظُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ؛ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمَهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْهَظُهُ» هُوَ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ وَبِالزَّيِّ: أَي يُخْرِجُهُ وَيُنْهَضُهُ. (رياض) حديث (10) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي النَّارِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد. حديث (9675) قَالَ مُحَقِّقُوهُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. فِي (النهاية) لابن الأثير: { أَقْطُ } : قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْأَقْطِ وَهُوَ لَبْنٌ مُجَفَّفٌ يَابِسٌ مُسْتَحْجَرٌ يُطْبَخُ بِهِ. أَمَّا عَنْ تَنْوُوعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَفِي ذَلِكَ أَحَادِيثٌ مِنْهَا:

1- عن جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية حُدَيْفَةَ - رضي الله عنه. (رياض) حديث (134)

2- وعن أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ». رواه مسلم. (رياض) حديث (694)

3- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا " (الجامع الصحيح للسنن والمسنايد) وفي هامشه: (الصَّحِيحَةُ: 906، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: 2623)

4- وعن أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ

المَلْهُوفَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ». قَالَ:
أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ. (رياض) حديث (141)

5- وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ
زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ
مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ
بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ
أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه: بِأَبِي أَنْتَ
وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَيَّ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ
يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ. (رياض) حديث (1216) وفي [تعليق مصطفى البغا] على (صحيح
البخارى) حديث (1897): ("أنفق زوجين" عمل صنفين من أعمال
البر). وفي (شرح النووي على صحيح مسلم): (وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْحَدِيثُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ الْبِرِّ مِنْ صَلَاتَيْنِ أَوْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ وَالْمَطْلُوبُ تَشْفِيعُ
صَدَقَةٍ بِأُخْرَى وَالتَّنْبِيهُ عَلَى فَضْلِ الصَّدَقَةِ وَالتَّفَقُّةِ فِي الطَّاعَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ
مِنْهَا وَقَوْلُهُ: "فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قِيلَ: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْخَيْرِ).

(ع)3- فی تحریم صیام المرأة تطوعاً، وزوجها حاضر، إلا بإذنه: عن أبي هريرة - رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجَهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» متفق عليه. (رياض) حديث (1750)

(ع)4- جواز تأخير المرأة قضاء ما فاتها من رمضان مراعاةً لحق زوجها: في (صحيح البخاري) حديث (1950) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: «كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ»، قَالَ يَحْيَى: الشُّغْلُ مِنَ النَّبِيِّ أَوْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأخرجه مسلم. حديث 151 - (1146) بلفظ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: «كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَهُ إِلَّا فِي شَعْبَانَ، الشُّغْلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» في (شرح النووي على صحيح مسلم): (وَفِي رِوَايَةٍ (قَالَتْ: إِنْ كَانَتْ إِحْدَانَا لَتُفْطِرُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَتَّى يَأْتِيَ شَعْبَانُ) هَكَذَا هُوَ فِي التُّسْحِ الشُّغْلُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ مَرْفُوعٌ. أَيْ: يَمْنَعُنِي الشُّغْلُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَتَعْنِي بِالشُّغْلِ وَقَوْلِهَا فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي: "فَمَا تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ تَقْضِيَهُ" أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَانَتْ مُهَيِّئَةً نَفْسَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتْرَصِّدَةً لِاسْتِمْتَاعِهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهَا إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ، وَلَا تَدْرِي مَتَى يُرِيدُهُ، وَلَمْ تَسْتَأْذِنْهُ فِي الصَّوْمِ مَخَافَةَ أَنْ يَأْذَنَ وَقَدْ يَكُونُ لَهُ حَاجَةٌ فِيهَا فَتَفَوُّتُهَا عَلَيْهِ. وَهَذَا مِنَ الْأَدَبِ. وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا يَحِلُّ لَهَا صَوْمُ النَّطْوَعِ وَرُؤُوسِهَا حَاضِرًا إِلَّا بِإِذْنِهِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ السَّابِقِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي كِتَابِ الرِّكَاعِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَصُومُهُ فِي شَعْبَانَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصُومُ مُعْظَمَ شَعْبَانَ؛ فَلَا حَاجَةَ لَهُ فِيهِنَّ حِينَئِذٍ فِي النَّهَارِ؛ وَلِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ شَعْبَانُ يَضِيقُ قَضَاءَ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ عَنْهُ. وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَجَمَاهِيرِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ أَنَّ قَضَاءَ رَمَضَانَ فِي حَقِّ مَنْ أَفْطَرَ بِعُذْرٍ كَحَيْضٍ وَسَفَرٍ يَجِبُ عَلَى التَّرَاحِي، وَلَا يُشْتَرَطُ الْمُبَادَرَةُ بِهِ فِي أَوَّلِ الْإِمْكَانِ، لَكِنْ قَالُوا: لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ عَنْ شَعْبَانَ الْآتِي لِأَنَّهُ يُؤَخَّرُهُ حِينَئِذٍ إِلَى زَمَانٍ لَا يَقْبَلُهُ، وَهُوَ رَمَضَانُ الْآتِي فَصَارَ كَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَى الْمَوْتِ. وَقَالَ دَاوُدُ: تَجِبُ الْمُبَادَرَةُ بِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ بَعْدَ الْعِيدِ مِنْ شَوَّالٍ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ. قَالَ

الْجُمْهُورُ: وَيُسْتَحَبُّ الْمُبَادَرَةُ بِهِ لِلِإِحْتِيَاظِ فِيهِ فَإِنْ أَخَّرَهُ فَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْأُصُولِ، أَنَّهُ يَجِبُ الْعَزْمُ عَلَى فِعْلِهِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ الْوَأَجِبِ الْمَوْسَعِ، إِنَّمَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ بِشَرْطِ الْعَزْمِ عَلَى فِعْلِهِ حَتَّى لَوْ أَخَّرَهُ بِلَا عَزْمٍ، عَصَى. وَقِيلَ: لَا يُشْتَرَطُ الْعَزْمُ. وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ لَوْ مَاتَ قَبْلَ خُرُوجِ شَعْبَانَ، لَزِمَهُ الْفِدْيَةُ فِي تَرْكِهِ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مُدٍّ مِنْ طَعَامٍ. هَذَا إِذَا كَانَ تَمَكَّنَ مِنَ الْقَضَاءِ، فَلَمْ يَقْضِ. فَأَمَّا مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ بَعْدَ، ثُمَّ اتَّصَلَ عَجْزُهُ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الصَّوْمِ حَتَّى مَاتَ، فَلَا صَوْمَ عَلَيْهِ، وَلَا يُطْعَمُ عَنْهُ، وَلَا يُصَامُ عَنْهُ. وَمَنْ أَرَادَ قَضَاءَ صَوْمِ رَمَضَانَ، نُدِبَ مُرْتَبًا مُتَوَالِيًا. فَلَوْ قَضَاهُ غَيْرَ مُرْتَبٍ أَوْ مُفَرَّقًا، جَازَ عِنْدَنَا وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الصَّوْمِ يَقَعُ عَلَى الْجَمِيعِ. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَهْلِ الظَّاهِرِ: يَجِبُ تَتَابُعُهُ كَمَا يَجِبُ الْأَدَاءُ.

الخطبة الرابعة: (فضائل يوم عرفة والأضحية وبعض أحكامها):

(خ: 1) (ع) 1- فضائل يوم عرفة في القرآن والأحاديث والآثار: قال تعالى: {...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...} [المائدة: 3] في (تفسير ابن كثير): (وقوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرّعه، وكلُّ شيءٍ أخبر به فهو حقٌّ وصدقٌ لا كذب فيه ولا خُلف كما قال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام: 115] أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين، تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه... نزلت هذه الآية يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا

حَرَامٌ... وقال ابن جرير وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ يَوْمِ عَرَفَةَ بِأَحَدِ وَثَمَانِينَ يَوْمًا، رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنَتْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} وَذَلِكَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، بَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» قَالَ: أَبْكَانِي أَنَا كُنَّا فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِنَا، فَأَمَّا إِذَا أَكْمَلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ شَيْءٌ إِلَّا نَقُصَّ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ». وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَمَيْسِ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: قَوْلُهُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ. (وفى لطائف المعارف): (وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل من وجوه: منها: أن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام بعد فرض الحج قبل ذلك ولا أحد منهم. هذا قول أكثر العلماء أو كثير منهم فيكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها. ومنها:

أن الله تعالى أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد. قال الشعبي: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة حين وقف موقف إبراهيم، واضمحل الشرك، وهدمت منار الجاهلية، ولم يطف بالبيت عريان. وكذا قال قتادة وغيره. وقد قيل: إنه لم ينزل بعدها تحليل ولا تحريم. قاله أبو بكر بن عياش. وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: **{لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}** [الفتح: 2] وقال تعالى في آية الوضوء: **{وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ}** [المائدة: 6]... في يوم عرفة له فضائل متعددة: منها: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ومنها: أنه عيد لأهل الإسلام... ومنها: أنها قد قيل: إنه الشفع الذي أقسم الله به في كتابه، وأن الوتر يوم النحر. وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر خرجه الإمام أحمد والنسائي في تفسيره وقيل: إنه الشاهد الذي أقسم الله به في كتابه فقال تعالى: **{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}** [البروج: 3] وفي المسند عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا: "الشاهد يوم عرفة. والمشهود يوم الجمعة" وخرجه الترمذي مرفوعا. ورُوي ذلك عن علي

من قوله. وخرَجَ الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعاً: "الشاهد يوم الجمعة. والمشهود يوم عرفة" وعلى هذا فإذا وقع يوم عرفة في يوم الجمعة، فقد اجتمع في ذلك اليوم شاهد ومشهود. ومنها: أنه روي أنه أفضل الأيام خرجه ابن حبان في صحيحه من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الأيام يوم عرفة" وذهب إلى ذلك طائفة من العلماء. ومنهم من قال: يوم النحر أفضل الأيام لحديث عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر" خرجه الإمام أحمد وأبو دواد والنسائي وابن حبان في صحيحه ولفظه: "أفضل الأيام". ومنها: أنه روي عن أنس بن مالك أنه قال: كان يقال: يوم عرفة بعشرة آلاف يوم يعني في الفضل وقد ذكرناه في فضل العشر وروي عن عطاء قال: من صام يوم عرفة كان له كأجر ألفي يوم. ومنها: أنه يوم الحج الأكبر عند جماعة من السلف منهم عمر وغيره. وفي (زاد المعاد): وفي يوم عرفة خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- النَّاسَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ خُطْبَةً عَظِيمَةً، قَرَّرَ فِيهَا قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ، وَهَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، وَقَرَّرَ فِيهَا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي اتَّفَقَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى تَحْرِيمِهَا، وَهِيَ الدَّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْأَعْرَاضُ، وَوَضَعَ فِيهَا أُمُورَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَوَضَعَ فِيهَا

رَبَا الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ، وَأَبْطَلَهُ، وَأَوْصَاهُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، وَذَكَرَ الْحَقَّ، الَّذِي لَهُنَّ،
 وَالَّذِي عَلَيْهِنَّ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ لَهُنَّ الرِّزْقُ، وَالْكِسْوَةُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَقْدُرْ ذَلِكَ
 بِتَقْدِيرٍ، وَأَبَاحَ لِلْأَزْوَاجِ ضَرْبَهُنَّ إِذَا أَدْخَلْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ مَنْ يَكْرَهُهُ أَزْوَاجَهُنَّ،
 وَأَوْصَى الْأُمَّةَ فِيهَا بِالْإِعْتِصَامِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَضِلُّوا مَا دَامُوا
 مُعْتَصِمِينَ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ: بِمَاذَا يَقُولُونَ،
 وَبِمَاذَا يَشْهَدُونَ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ فَرَفَعَ أُصْبَعَهُ
 إِلَى السَّمَاءِ، وَاسْتَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدَهُمْ
 غَائِبَهُمْ. وفي (البداية والنهاية): (**كِتَابُ حَجَّةِ الْوُدَاعِ فِي سَنَةِ عَشْرِ وَيُقَالُ**
لَهَا: حَجَّةُ الْبَلَاغِ، وَحَجَّةُ الْإِسْلَامِ، وَحَجَّةُ الْوُدَاعِ: لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَدَعَّ النَّاسَ فِيهَا، وَلَمْ يَحْجَّ بَعْدَهَا، وَسُمِّيَتْ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ
يَحْجَّ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَهَا، وَلَكِنْ حَجَّ قَبْلَ الْهَجْرَةِ مَرَّاتٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ
وَبَعْدَهَا... وَسُمِّيَتْ حَجَّةُ الْبَلَاغِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَّغَ النَّاسَ شَرْعَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ
قَوْلًا وَفِعْلًا، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِهِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدَ بَيْنَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ شَرِيعَةَ الْحَجِّ، وَوَضَّحَهُ، وَشَرَحَهُ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
عَلَيْهِ - وَهُوَ وَقِفْتُ بِعَرَفَةَ - {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا})

أما الأحاديث فمنها:

1- فى صحيح مسلم. حديث 436 - (1348) عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ "

2- وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " سنن الترمذى. حديث (3585) [حكم الألبانى]: حسن.

3- وعن طلحة بن عبيد الله بن كرز، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أغيط منه في يومِ عرفة، وما ذاك إلا لما يرى فيه من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رؤى يوم بدر، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة " (أدحر): أي أبعد وأذل. ذكره الألبانى فى (ضعيف الترغيب) حديث (739 - (2)) وقال:

[ضعيف]

4- وفى صحيح مسلم. حديث 196 - (1162) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ». رواه مسلم. وفى (شرح النووى على صحيح مسلم): (" صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفِرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ " مَعْنَاهُ: يُكْفَرُ ذُنُوبَ صَائِمِهِ فِي السَّنَتَيْنِ. قَالُوا: وَالْمُرَادُ بِهَا الصَّغَائِرُ. وَسَبَقَ بَيَانٌ مِثْلُ هَذَا فِي تَكْفِيرِ الْخَطَايَا بِالْوُضُوءِ. وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَغَائِرٌ يُرْجَى التَّخْفِيفُ مِنَ الْكِبَائِرِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُفِعَتْ دَرَجَاتٍ). وقال أيضًا- فى (باب فضل الوضوء والصلاة عقبه)-: (وَقَدْ يُقَالُ: إِذَا كَفَّرَ الْوُضُوءُ، فَمَاذَا تُكْفِّرُ الصَّلَاةُ؟ وَإِذَا كَفَّرَتِ الصَّلَاةُ، فَمَاذَا تُكْفِّرُ الْجُمُعَاتُ وَرَمَضَانُ؟ وَكَذَلِكَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةٌ سَنَتَيْنِ وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ سَنَةٍ، وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؟ وَالْجَوَابُ مَا أَجَابَهُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ صَالِحٌ لِلتَّكْفِيرِ. فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكْفِرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ، كَفَّرَهُ. وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، كُنِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ، وَرُفِعَتْ بِهِ دَرَجَاتٌ. وَإِنْ صَادَفَتْ كَبِيرَةً أَوْ كِبَائِرًا وَلَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً، رَجَوْنَا أَنْ يُخَفَّفَ مِنَ الْكِبَائِرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). وفى (دليل الفالحين): (والمكفر صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله،، والمراد بغفران ما

سيأتي. إما العصمة عن ملابسته، أو وقوعه مغفوراً إن وقع.)
أما الآثارُ فمنها:

1- في (لطائف المعارف): (كانت أحوال الصادقين في الموقف بعرفة متنوعة: فمنهم: من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء. وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير وبكر المزني بعرفة فقال أحدهما: اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي، وقال الآخر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أنني فيهم. وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون -وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة- قد حال البكاء بينه وبين الدعاء. فلما كادت الشمس أن تغرب، رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأته منك وإن عفوت. وقال الفضيلُ أيضاً لشعيب بن حرب بالموسم: إن كنت تظن أنه شهد الموقف أحد شراً مني ومنك، فبئس ما ظننت. دعا بعض العارفين بعرفة فقال: اللهم إن كنتَ لم تقبل حجي وتعبي ونصبي، فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني. وقف بعضُ الخائفين بعرفة إلى أن قرب غروب الشمس فنادى الأمان فقد دنا الانصراف، فليت شعري ما صنعتَ في حاجة المساكين؟)

2- وفيه أيضاً: (مَنْ فاته في هذا العام القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرفه. مَنْ عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله وقد قربه

وأزلفه. مَنْ لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف، فليقم لله بحق الرجاء والخوف. مَنْ لم يقدر على نحر هديه بمننا، فليذبح هواه هنا وقد بلغ المُنَا. مَنْ لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من جبل الوريد).

(خ: 2) (ع) 2- بعض أحكام الأضحية: في (فقه السنّة): (تعريفها: الأضحية والضحية اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقرباً إلى الله تعالى. مشروعيتها: وقد شرع الله الأضحية بقوله سبحانه: {إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر} وقوله: {والبُدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير} والنحر هنا هو ذبح الأضحية. وثبت أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ضحى وضحى المسلمون وأجمعوا على ذلك فضلها: روى الترمذي عن عائشة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم. إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً"

-قلت: (الحديث في سنن الترمذي. حديث (1493) وأخرجه ابن ماجه. حديث (3126) [حكم الألباني]: ضعيف. وقال شعيب الأرنؤوط:

إسناده ضعيف) - **حكمها:** الأضحية سنة مؤكدة، ويكره تركها مع القدرة عليها لحديث أنس الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، "ضحى بكبشين أملحين - الأملح ما يخالط بياضه سواد - أقرنين - ما له قرنٌ - ذبحهما بيده وسمى وكبر". وروى مسلم عن أم سلمة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره". فقوله: " أراد أن يضحي " دليل على السنة، لا على الوجوب. وروي عن أبي بكر وعمر أنهما كانا لا يضحيان عن أهلهما، مخافة أن يرى ذلك واجبًا.

متى تجب؟: ولا تجب إلا بأحد أمرين:

- 1 - أن ينذرها لقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: " من نذر أن يطيع الله فليطعه " وحتى لو مات الناذر فإنه تجوز النيابة فيما عينه بنذره قبل موته "
- 2 - أن يقول: هذه لله، أو: هذه أضحية. وعند مالك إذا اشتراها نيته الأضحية وجبت. **حكمتها:** والأضحية شرعها الله إحياء لذكرى إبراهيم، وتوسعة على الناس يوم العيد، كما قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: " إنما هي أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل " **مِمَّ تَكُونُ؟: ولا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم، ولا تجزئ من غير هذه الثلاثة.** يقول الله سبحانه: { **ليذكروا اسم الله على ما**

رزقهم من بهیمة الأنعام { ویجزئ من الضأن ما له نصف سنة، ومن المعز ما له سنة، ومن البقر ما له سنتان، ومن الإبل ما له خمس سنین، یتسوی فی ذلك الذکر والأنثی.

1 - روى أحمد والترمذی عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " نعمت الاضحیة الجذع من الضأن "

2 - وقال عقبه بن عامر: قلت يا رسول الله، أصابني جذع قال: ضح به. رواه البخاری ومسلم.

3 - وروى مسلم عن جابر أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: " لا تذبحوا إلا مسنة، فإن تعسر عليكم فاذبحوا جدعة من الضأن ". والمسنة الكبيرة هي من الإبل ما لها خمس سنین، ومن البقر ما له سنتان. ومن المعز ما له سنة، ومن الضأن ما له سنة وستة أشهر، على الخلاف المذكور من الأئمة. وتسمى المسنة بالثنية. **الأضحیة بالخصی**: ولا بأس بالأضحیة بالخصی. روى أحمد عن أبي رافع قال: " ضحى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بكبشینٍ أملحینٍ موجهینٍ خصیینٍ "، ولأن لحمه أطيب وألذ. **ما لا يجوز أن یضحى به**: ومن شروط الأضحیة السلامة من العیوب، فلا تجوز الاضحیة بالمعیبة، مثل: 1 - المريضة البین مرضها، 2 - العوراء البین

عورها، 3 - العرجاء البين ظلعتها، 4 - العجفاء التي لا تنقي، 5 - العضباء التي ذهب أكثر أذنها أو قرننها. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربعة لا تجزئ في الاضاحي: العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ظلعتها والعجفاء التي لا تنقي". ويلحق بهذه: الهتماء - هي التي ذهب ثناياها من أصلها -، والعصماء - ما انكسر غلاف قرننها، والعمياء والتولاء - التي تدور في المرعى ولا ترعى -، والجرباء التي كثر جربها. ولا بأس بالعجماء والبتراء والحامل وما خلق بغير أذن أو ذهب نصف أذنه أو أليته. والأصح عند الشافعية لا تجزئ مقطوعة الألية والضرع لفوات جزء مأكول، وكذا مقطوعة الذنب. قال الشافعي: لا نحفظ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في الاسنان شيئاً. **وقت الذبح:** ويشترط في الأضحية ألا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد، ويمر من الوقت قدر ما يصلح العيد، ويصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليلٍ أو نهارٍ، ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام. فعن البراء، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء". وقال أبو بردة: خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

يوم النحر فقال: " من صلى صلاتنا، ووجه قبلتنا، ونسك نسكنا، فلا يذبح حتى يصلي، روى الشيخان عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " من ذبح قبل الصلاة، فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين ". **كفاية أضحية واحدة عن البيت الواحد:** إذا ضحى الإنسان بشاة من الضأن أو المعز، أجزأت عنه، وعن أهل بيته. فقد كان الرجل من الصحابة، رضي الله عنهم، يضحى بالشاة عن نفسه، وعن أهل بيته، فهي سنة كفاية. روى ابن ماجه والترمذي وصححه أن أبا أيوب قال: " كان الرجل في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يضحى بالشاة عنه، وعن أهل بيته فيأكلون، ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى " **جواز المشاركة في الأضحية:** تجوز المشاركة في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر، وتجزئ البقرة أو الجمل عن سبعة أشخاص إذا كانوا قاصدين الأضحية والتقرب إلى الله، فعن جابر قال: " نحرنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، بالحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ". رواه مسلم وأبو داود والترمذي. **توزيع لحم الأضحية:** يسن للمضحى أن يأكل من أضحيته، ويهدي الأقارب، ويتصدق منها على الفقراء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلوا، وأطعموا، وادخروا " وقد قال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويدخر

الثلث. ويجوز نقلها ولو إلى بلد آخر، ولا يجوز بيعها ولا بيع جلدتها. [ولا يعطى الجزار من لحمها شيئاً كأجر، وله أن يكافئه نظير عمله] وإنما يتصدق به المضحى أو يتخذ منه ما ينتفع به. وعند أبي حنيفة أنه يجوز بيع جلدتها، ويتصدق بثمنه، وأن يشتري بعينه ما ينتفع به في البيت. **المضحى يذبح بنفسه:** يسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده، ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن فلان - ويسمي نفسه - فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذبح كبشاً وقال: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي" رواه أبو داود والترمذي. فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره، فإن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لفاطمة: يا فاطمة، قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته، وقولي: {إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} "فقال أحد الصحابة: يا رسول الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين عامة؟ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "بل للمسلمين عامة".

الخطبة الخامسة: (عيد الأضحى):

(خ: 1) (ع: 1- الأعيادُ مناسباتٌ للفرحِ والسُرورِ: فى (لطائف):) (والعيد هو موسم الفرح والسرور. وأفراح المؤمنين وسرورهم فى الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعدده لهم عليها بفضلته ومغفرته كما قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58] قال بعض العارفين: ما فرح أحد بغير الله، إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه... لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: "إن الله قد أبدلكم يومين خيراً منهما: يوم الفطر والأضحى" فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو، ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد: عيد يتكرر فهو يوم الجمعة، وهو عيد الأسبوع، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات فإن الله عز وجل فرض على المؤمنين في كل يوم وليلة خمس صلوات، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام. فكلما دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه، شرع لهم في يوم استكمالهم، وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم، وأدخل الجنة، وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة فالجمعة من

الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة، وجعل ذلك لهم عيداً؛ ولهذا نهى عن إفراذه بالصيام. وفي شهود الجمعة شبه من الحج. وروي: أنها حج المساكين. وقال سعيد بن المسيب: شهود الجمعة أحب إليّ من حجة نافلة. والتبكير إليها يقوم مقام الهدى على قدر السبق فأولهم كالمهدي بدنة ثم بقرة ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بيضة. وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى إذا سلم ما بين الجمعيتين من الكبائر كما أن الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة إلى الحجة الأخرى. وقد روي إذا سلمت الجمعة، سلمت الأيام. وروي أن الله تعالى يغفر يوم الجمعة لكل مسلم. وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة" وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في يوم الجمعة: "هو أفضل عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى" فهذا عيد الأسبوع وهو متعلق بإكمال الصلوات المكتوبة، وهي أعظم أركان الإسلام ومبانيه بعد الشهادتين. وأما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام، وإنما يأتي كُلُّ واحدٍ منهما في العام مرة واحدة، فأحدهما: عيد الفطر من صوم رمضان، وهو مترتب على إكمال صيام رمضان، وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ومبانيه. فإذا استكمل المسلمون صيام

شهرهم المفروض عليهم، استوجبوا من الله والمغفر والعتق من النار؛ فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، وآخره عتق من النار، يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه؛ فشرع الله تعالى لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له، وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة، وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة. والعيد الثاني: عيد النحر، وهو أكبر العيدين وأفضلهما، وهو مترتب على إكمال الحج، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه. فإذا أكمل المسلمون حجهم، غُفر لهم. وإنما يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم كما قال صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفة" ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق الله من النار مَنْ وقف بعرفة وَمَنْ لم يقف بها مِنْ أهل الأمصار مِنَ المسلمين؛ فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم، مَنْ شهد الموسم منهم، وَمَنْ لم يشهده لا شتراكمهم في العتق والمغفرة يوم عرفة، وإنما لم يشترك المسلمون كلهم في الحج كل عام رحمة من الله وتخفيفاً على عباده فإنه جعل الحج فريضة العمر، لا فريضة كل عامن وإنما هو في كل عام فرض كفاية بخلاف الصيام فإنه فريضة كل عام على كل مسلم. فإذا

كمل يوم عرفة وأعتق الله عباده المؤمنين من النار، اشترك المسلمون كلهم في العيد عقب ذلك، وشرع للجميع التقرب إليه بالنسك، وهو إراقة دماء القرابين. فأهل الموسم يرمون الجمرة فيشرعون في التحلل من إحرامهم بالحج، ويقضون تفتهم، ويؤفون نذورهم، ويقربون قرابينهم من الهدايا، ثم يطوفون بالبيت العتيق، وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له قال مخنف بن سليم وهو معدود من الصحابة: الخروج يوم الفطر يعدل عمرة، والخروج يوم الأضحى يعدل حجة، ثم ينسكون عقب ذلك نسكهم، ويقربون قرابينهم بإراقة دماء ضحاياهم؛ فيكون ذلك شكراً منهم لهذه النعم. والصلاة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذي في عيد الفطر لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر أن يصلي لربه وينحرو قيل له: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 162]؛ ولهذا ورد الأمر بتلاوة هذه الآية عند ذبح الأضاحي... قال الحسن: كل يوم لا يعصى الله فيه، فهو عيد كل يوم يقطع المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد. أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها خمسة: الشهادتان والصلاة والزكاة وصيام رمضان والحج فأعياد عموم المسلمين في الدنيا عند

إكمال دور الصلاة وإكمال الصيام والحج يجتمعون عند ذلك اجتماعًا عامًا. فأما الزكاة فليس لها وقت معين ليتخذ عيدًا، بل كل من ملك نصابًا، فحوله بحسب ملكه. وأما الشهاداتان فأكمالهما يحصل بتحقيقهما، والقيام بحقوقها. وخواص المؤمنين يجتهدون على ذلك في كل وقت فلذلك كانت أوقاتهم كلها أعيادًا لهم في الدنيا والآخرة... ولما كان عيد النحر أكبر العيدين وأفضلهما ويجتمع فيه شرف المكان والزمان لأهل الموسم؛ كانت لهم فيه معه أعياد قبله وبعده، فقبله وبعده فقبله يوم عرفة، وبعده أيام التشريق، وكل هذه الأعياد أعياد لأهل الموسم كما في حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب" خرج أهل السنن وصححه الترمذي؛ ولهذا لا يشرع لأهل الموسم صوم يوم عرفة لأنه أول أعيادهم، وأكبر مجامعهم، وقد أفطره النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة، والناس ينظرون إليه، وروي أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة. ورُوي عن سفيان بن عيينة: أنه سئل عن النهي عن صيام يوم عرفة بعرفة؟ فقال: لأنهم زوار الله، وأضيافه، ولا ينبغي للكريم أن يجوع أضيافه. وهذا المعنى يوجد في العيدين وأيام التشريق أيضًا فإن الناس كلهم في ضيافه الله عز وجل لاسيما عيد النحر؛ فإن الناس

يأكلون من لحوم نسكهم أهل الموقف وغيرهم. وأيام التشريق الثلاثة هي أيام عيد أَيْضًا؛ ولهذا بَعَثَ النبي صلى الله عليه وسلم من ينادي بمكة: أنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل فلا يصومن أحدٌ. وقد يجتمع في يومٍ واحدٍ عيدانٍ كما إذا اجتمع يومُ الجمعة مع يوم عرفة أو يوم النحر فيزداد ذلك اليوم حرمةً وفضلًا لاجتماع عيدين فيه.) وفي (المُسند) حديث (22166) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: " إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِثْمُ؟ قَالَ: " إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعَهُ " قَالَ مُحَقِّقُوهُ: حديث صحيح. وفي (لطائف): (فإنَّ الله إذا تقبل عمل عبدٍ، وفقه لعملٍ صالحٍ بعده كما قال بعضهم: ثوابُ الحسنةِ الحسنةُ بعدها. فمن عمل حسنة ثم أتبعها بعد بحسنةٍ، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئةٍ، كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.) وفي (الفوائد) لابن القيم: (فصل: إذا استغنى النَّاسُ بالدنيا فاستغن أنت بالله وإِذَا فرحوا بالدنيا، فافرح أنت بالله وإِذَا أنسوا بأحبابهم فَاجْعَلْ أنسك بالله وإِذَا تعرفوا إلى مُلوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العِزَّةَ والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تتل بذلك غَايَةَ العِزِّ

والرفعة.) وفي (الغنية): (فصل: وإنما سمي العيد عيداً لأنه يعيد الله إلى عبادة الفرح والسرور في يوم عيدهم. وقيل: إنما سمي عيداً لأن فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان منه للعبد. وقيل: لأنه يعود العبد فيه إلى التضرع والبكاء، ويعود الرب - عز وجل - فيه إلى الهبة والعطاء. وقيل: لأنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الطهارة. وقيل: معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومن الفريضة إلى السنة، ومن صوم رمضان إلى صوم ستة أيام من شوال. وقيل: إنما سمي عيداً لأنه يقال المؤمن فيه: عودوا إلى منازلكم مغفوراً لكم. وقيل: إنما سمي العيد عيداً لأن فيه ذكر الوعد والوعيد، ويوم الجزاء والمزيد، ويوم عتق الإماء والعبيد، وإقبال الحق إلى القريب من خلقه والبعيد، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود.)

(خ: 2) (ع) 2- وقفات مع النحر وقصة الذبيح: في (الغنية): (فصل: وأما النحر: والأصل في النحر أمر الله تعالى لخليله إبراهيم النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن إبراهيم خليل الرحمن لما أنجاه الله تعالى من نار نمرود الجبار، وسلمه من كيده وعذابه، قال: {إني ذاهب إلى ربي} [الصفات: 99] يعني مهاجراً إلى ربي، يعني: إلى رضا ربي بالأرض المقدسة

{سیهدین} [الصفات: 99] لدينه، وهو عليه السلام - أول من هاجر من خلق الله في دين الله عز وجل، فهاجر ومعه لوط وسارة أخت لوط، وهو ابن خال إبراهيم عليه السلم، فلما قدم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد قال: {رب هب لي من الصالحين} [الصفات: 100] يقول: هب لي ولدًا صالحًا، فاستجاب الله له {فبشرناه بغلامٍ حلیم} [الصفات: 101] يعنى عليم وهو العالم، وهو إسحاق بن سارة، {فلما بلغ معه السعی} [الصفات: 102] يعنى المشى إلى الجبل {قال يا بنى انى أرى في المنام أنى أذبحك} [الصفات: 102] يعنى: أمرت في المنام بذبحك. وذلك لنذر كان عليه في - عليه السلام - {فانظر ماذا ترى} [الصفات: 102] فرد عليه إسحاق - عليه السلام - بقوله: {يا أبت أفعل ما تؤمر} وأطع ربك، فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم: افعل ما رأيت في المنام، ورأى ذلك إبراهيم - عليه السلام - ثلاث ليالٍ متتابعاتٍ، وكان إبراهيم صام وصلى قبل الذبح فقال: {ستجدنى إن شاء الله من الصابرين} [الصفات: 102] على الذبح {فلما أسلما} [الصفات: 103] يقول: أسلما لأمر الله تعالى وطاعته {وتله للجبين} [الصفات: 103] يقول: كبه على جبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه لله، علم الله منهما الصدق، وقال الله - عز وجل - : {وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا} [الصفات:

104 - 105] فی ذبح ابنک، فخذ الكبش واذبحه فداء عن ولدک، قال اللہ عز وجل: **{وفدیناه بذبح عظیم}** {الصفات: 107] واسم الكبش زریر، وكان من الوعول یرعی فی الجنة أربعین سنة قبل أن یذبح. وقیل: إنه هو الكبش الذی قربه هاییل بن آدم المقتول شهیدًا - علیه السلام -، وكان یرعی فی الجنة قد فدی به إسحاق النبی - علیه السلام - من الذبح، قال اللہ - عز وجل -: **{إنّا كذلك نجزی المحسنین}** {الصفات: 105] یعنی: هكذا نجزی كل محسن، فجزاه اللہ خیرًا بإحسانه بطاعته لأمر اللہ تعالی فی الذبح لابنه إسحاق. وقیل: إن المأمور بذبحه إنما هو إسماعیل بن إبراهيم - علیه السلام -، ثم قال اللہ عز وجل: **{إن هذا لهو البلاء المبین}** {الصفات: 106] یعنی النعیم المبین حین عفا عنه وفداه بالكبش. وقیل: إنه لما وضع الخلیل - علیه السلام - السکین علی حلق ولده، نودی: **{أن یا إبراهيم}** {الصفات: 104] خلّ ولدک، فإن مرادنا لم یکن قربانًا للولد، وإنما كان مرادنا خلو القلب عن محبة الولد، ولهذا قیل: إنه ذکر فی بعض الكتب أن إبراهيم - علیه السلام - لما أراد أن یذبح ولده، قال - فی سره -: یا رب، أیش لو كان هذا الذبح علی یدی غیري؟، قال اللہ تعالی: لا یكون إلا علی یدک، فقالت الملائكة: یا ربنا لم فعلت هكذا؟ قال: حتی یزید بلاء علی بلاء، فقالت الملائكة: لم؟ قال: حتی لا

یحب أحدًا غیري، فإني لا أقبل الشریك فی الحب، فإبراهیم - علیه السلام -
أحب ولده فابتلی بذبحه، ویعقوب أحب یوسف فغاب عنه أربعین سنة
وابتلی بفراقه، ونبینا محمد - صلی الله علیه وسلم - أحب الحسن والحسین -
رضی الله عنهما - وعلقا بقلبه، فجاء جبریل - علیه السلام - وأخبره بأن
أحدهما یُسْمُ، والآخر یُقْتَلُ حتی لا یحب مع الحبيب سواه. - **قلتُ:** (وجدتُ
فی هذا النَّصِّ اضطرابًا كثيرًا سببه الخلافُ فی الذبیح: هل هو إسحاقُ أم
إسماعیل؟ فوجدتُ فی بعض النُّسخ أنَّ الذبیح هو إسحاق مع ذکرِ الرأى الآخر
أنَّه إسماعیل، وفی بعضها العکس. والمُثبتُ فی هذا النَّصِّ أنَّ الذبیح هو
إسحاق، والذي أمیلُ إليه هو المشهورُ والذي اختاره ابنُ كثير فی (البداية
والنهاية) وهو كونُ الذبیح إسماعیل علیه السلام. -

تَمَّ الفراغُ منه بحمد الله بعد عصر يوم الجمعة الخامس من صَفَر 1446
هجريّة المُوافق التاسع من أغسطس 2024 ميلادية.
كتبه حامد عبد الخالق أبو الذهب